

و أما قوله: **فِدْيَةُ طَعَامٍ مُسْكِينٍ** اختلفوا في مقدار الفدية فقال بعضهم نصف صاع من كل يوم وهو قول أهل العراق وقال الشافعي، مُدٌّ عن كل يوم الشَّيْخُ فِي التَّبَيَانِ بعد نقل القولين وعندنا أن كان قادراً فمُدَّان وأن لم يقدر أجزاءهُ مُدٌّ واحد قال بعض المحققين ولا أعرف هذا القول إلا للشَّيْخِ فِي النِّهَايَةِ والتَّهْذِيبِ ولم نقف على ما يدل على هذا التَّفْصِيلِ.

أقول ما ذكره حق نعم روى الشَّيْخُ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ذَكَرَ الصَّدَقَةَ بِمُدَيْنِ.

و أما التَّفْصِيلُ فلا يُوجَدُ فِي الْأَخْبَارِ فِيمَا نَعْلَمُ وَلَعَلَّ الشَّيْخَ وَقَفَ عَلَى مَا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ وَكَيْفَ كَانَ ذَكَرَ الطَّبْرَسِيُّ هَذَا الْقَوْلَ عَنْهُ وَتَبِعَهُ وَحَمَلَهُ بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ وَلَا بُعْدَ فِيهِ فَأَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الْفِدْيَةَ بِمُدٍّ ثُمَّ أَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى وَجوب الفدية لمن أَفْطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِمَرِيضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْذَارِ ثُمَّ رَفَعَ الْعُذْرَ وَلَمْ يَقْضِ مَا فَاتَ مِنْهُ حَتَّى جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ أُخِرَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ وَيَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مُدًّا مِنَ الطَّعَامِ كَمَا هُوَ صَرِيحُ الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنِ الصَّادِقِ فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَقِيدُوا الْحُكْمَ بِوَجوب الفدية عَلَى مَنْ يُطِيقُ الصَّوْمَ بَعْدَ رَفْعِ الْعُذْرِ عَنْهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفِدْيَةَ كَفَّارَةُ التَّأْخِيرِ سِوَاءَ قَدَرِ عَلَى الصَّوْمِ أَمْ لَمْ يَقْدِرْ فَلَوْ فَرَضْنَا طَوْلَ عُذْرِهِ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ أُخِرَ تَجِبَ الْفِدْيَةُ عَلَيْهِ كَمَا إِذَا زَالَ الْعُذْرُ وَلَمْ يَقْضِ مَا فَاتَ مِنْهُ تَجِبَ الْفِدْيَةُ أَيْضاً هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْمَفْسَّرِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُمْ حَمَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** عَلَى مَنْ كَانَ يُطِيقُ الصَّوْمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِثْلًا ثُمَّ صَارَ مَعْذُورًا عَنْهُ بِمَرِيضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ هَرَمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ زَالَ الْعُذْرُ وَلَمْ يَقْضِ مَا فَاتَ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ فَتَجِبَ عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُطِيقُ أَوَّلًا وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَا يَقُولُونَ بِوَجوب الفدية عَلَى الْمَجْنُونِ وَالَّذِي كَانَ مَرِيضًا مِنْ أَوَّلِ التَّكْلِيفِ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ حَمَلُوا الطَّاقَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى الطَّاقَةِ حِينَ التَّكْلِيفِ لَا عَلَى الطَّاقَةِ حَالِ الْقَضَاءِ.

ولقائل أن يقول بعموم الطّاقة فتجب الفدية على من أطاق الصّوم قبل العُذر ومن يطيقه حال القضاء فَمَنْ لا يُطيقه حال القضاء لا تجب عليه الفدية أطاق أولاً و بعبارة أُخرى وجوب الفدية مشروطاً بالقُدرة على الصّوم فعلاً ولو بمشقة فَمَنْ لا يطيقه تسقط عنه كما إذا امتد مرضه حتّى جاء شهر رمضان آخر فعلى هذا القول ل اتجب الفدية عليه وبه قال المفيد والمرتضى و سائر و ابن إدريس والعلامة في المختلف ونقله عن أكثر علمائنا فقالوا أنما تجب الفدية على من أطاق الصّوم بمشقة و أما من لا يطيقه فتسقط عنه و إستدل العلامة بمفهوم الآية والأصل أمّا مفهوم الآية فلا أنّ الضمير في قوله: يُطِيقُونَهُ يرجع الى الصّوم على المشهور و أمّا احتمال عوده الى الفدية أو الفداء، كما قيل فيدفعه أن عود الضمير على المتأخر لفظاً ومعنى وحكماً، لايجوز وعليه إتفاق النحويين والفداء مؤخر عنه لفظاً وهو معلوم ومعنى و حكماً لأنّ الفداء مترتب على عدم الصّوم وهو واضح فحكمه مؤخر عن حكمه فاذا إستحال عود الضمير اليه لابدّ من رجوعه الى الصّوم وعليه جمهور المفسرين فيصير المعنى و على الذين يطيقون الصّوم تجب الفدية ومفهوم الآية أنّ الذين لا يطيقون الصّوم لا تجب الفدية عليهم وهو المطلوب.

و أمّا إستدلاله بالأصل، فلو جود الشك في وجوب الفدية على من لا يطيق قضاء الصّوم والأصل عدم الوجوب وهو واضح فهذا القول قويّ متين جدّاً و عليه فثبت الفدية مقيّد عندنا بالطّاقة على الصّوم حين القضاء فمن لا طاقة له عليه لا شيء عليه و أمّا الصّوم فهو مطلق سواء كان قادراً عليه أم لا الأشهر بين المتأخرين و أوفق بقواعد الإحتياط قال **عَلَيْهِ السَّلَام** أخوك دينك فاحتط لدينك واللّه أعلم بحقائق الأمور:

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا. بَأَن يُطْعَمَ أَكْثَرَ مِنْ مُسْكِينٍ وَاحِدٍ وَقِيلَ أَطْعَمَ الْمُسْكِينَ الْوَاحِدَ أَكْثَرَ مِنْ قَدَرِ الْكِفَايَةِ بَأَن يَزِيدَهُ عَلَى نِصْفِ صَاعٍ وَقِيلَ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ أَيْ أَنَّ التَّطَوُّعَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَدَمِهِ.

وَأَنَّ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ. أَنَّ مَصْدَرِيَّةَ أَي صَوْمَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ قَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ كَانَ هَذَا مَعَ جَوَازِ الْفِدْيَةِ فَأَمَّا بَعْدَ النَّسْخِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الصَّوْمُ خَيْرٌ مِنَ الْفِدْيَةِ مَعَ أَنَّ الْإِفْطَارَ لَا يَجُوزُ أَصْلًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ الصَّيَامِ لِلصَّحِيحِ الْقَادِرِ أَكْثَرَ مِنْ ثَوَابِ الْفِدْيَةِ لِلْعَاجِزِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الصَّيَامَ لِمَنْ لَا يَطِيقُهُ إِلَّا بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ مِنَ الضَّعِيفِ وَذَوِ الْعَظَاشِي وَالْحَامِلِ وَقَلِيلَةِ اللَّبَنِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْطَارِ مَعَ الْفِدْيَةِ لِأَنَّ غَايَةَ مَا أُسْتَفِيدَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ هُوَ جَوَازُ الْإِفْطَارِ لَهُمْ لَا وَجُوبُهُ، وَأَمَّا الْمَرِيضُ وَالْمُسَافِرُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِمَا عُرِفَتْ مِنْ دَلَالَةِ ظَاهِرِ الْآيَةِ وَالزَّوَايَاتِ عَلَى وَجُوبِهِ وَعَصْيَانِ مَنْ صَامَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ لِمَطْبَقِهِ وَأَكْثَرَ ثَوَابًا وَأَفْضَلَ مِنَ التَّكْثِيرِ لِمَنْ أَفْطَرَ بِالْعَجْزِ.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْفِدْيَةِ وَقِيلَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفْضَلَ أَعْمَالِكُمْ، وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّهُ يَقْتَضِي الْمَضِيَّ عَلَى الصَّوْمِ أَيْ فَأَعْلَمُوا ذَلِكَ وَصُومُوا وَهُوَ وَاضِحٌ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ
مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

◀ اللغة

شَهْرُ رَمَضَانَ: الشَّهْرُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْإِشْهَارِ لِأَنَّهُ مُشْتَهَرٌ لَا يَتَعَذَّرُ عِلْمُهُ عَلَى أَحَدٍ
يُرِيدُهُ يُقَالُ شَهَرْتُ السَّيْفَ إِذَا سَلَلْتَهُ، وَرَمَضَانَ مَاخُذٌ مِنْ رَمَضِ الصَّائِمِ
يَرْمِضُ إِذَا حَرَّ جَوْفُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالرَّمْضَاءُ مَمْدُودَةٌ شِدَّةُ الْحَرِّ، قِيلَ هُوَ
مَاخُذٌ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَجَمْعُهُ عَلَى رَمَضَانَاتٍ وَإِرْمَضَاءُ قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ فَقَدْ نَقَلَ
أَنَّهُ لَمَّا نَقَلُوا أَسْمَاءَ الشُّهُورِ مِنَ اللَّغَةِ الْقَدِيمَةِ سَمَّوْهَا بِالْأَزْمَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا
فَوَافَقَ هَذَا الشَّهْرَ أَيَّامَ رَمَضِ الْحَرِّ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ وَقِيلَ أَنَّمَا سُمِّيَ رَمَضَانَ لِأَنَّهُ
يَرْمِضُ الذَّنُوبَ أَيْ يُحْرِقُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْإِرْبَاضِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ وَ
مَنْهُ رَمَضَتْ قَدَمُهُ مِنَ الرَّمْضَاءِ أَيْ إِحْتَرَقَتْ، وَقِيلَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَأْخُذُ فِيهِ مِنْ
حَرَارَةِ الْمَوْعِظَةِ وَالْفِكْرَةِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا يَأْخُذُ الرَّمْلُ وَالْحِجَارَةُ مِنْ حَرِّ
الشَّمْسِ، وَالرَّمْضَاءُ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ، قِيلَ وَ سُمِّيَ الشَّهْرُ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
يُومِضُونَ أَسْلِحَتَهُمْ فِي رَمَضَانَ لِيُحَارِبُوا بِهَا فِي شَوَالٍ قَبْلَ دُخُولِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
وَحُكِيَ الْمَاورِدِيُّ أَنَّ إِسْمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (فَاتِق) وَأَنْشَدَ لِلْمُفَضَّلِ.

وَفِي فَاتِقٍ أَجَلَتْ لَدَيْ حَوْمَةِ الْوَعْدِ وَوَلَّتْ عَلَى الْإِدْبَارِ فُرْسَانُ حَشَعْمَا
الْقُرْآنُ: هُوَ إِسْمُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ وَأَتَمَّا سُمِّيَ
قُرْآنًا لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّورَ وَيَضُمُّهَا وَقِيلَ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقِصَصَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَ
الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْآيَاتِ وَالسُّورَ بَعْضُ إِلَى بَعْضٍ وَهُوَ مُصَدَّرُ كَالْغَفَرَانِ وَ

الْفُرْقَان والكفران يقال فلان يقرأ قرآنًا حَسَنًا أي قراءته حَسَنَةٌ وفي الحديث القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العَمَلُ به.

وَيَبَيَّنَاتٍ: جمع بَيِّنَةٍ وهي الدليل الواضح.
الْيُسْرُ: اليُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ وفي الآية اليُسْرُ الإفطار في السَّفر والعُسْرُ الصَّوم فيه.
وَلْتُكْمِلُوا: بتشديد الميم وتخفيفها قال أبو العباس، أَكْمَلْتُ وَكَمَلْتُ بمعنى واحد.

◀ الإِعْرَاب

شَهْرُ رَمَضَانَ في رفعه وجهان.
أحدهما: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره، هي شهر يعني الأيام المعدودات فَعَلَى هذا يكون الَّذِي أَنْزَلَ نَعْتًا لِلشَّهْرِ أو لِرَمَضَانَ.
ثانيهما: هو مبتدأ، والخبر.
إِمَّا قَوْلُهُ: الَّذِي أَنْزَلَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَمَنْ شَهِدَ وَأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ، صفة، والفاء زائدة على قول الأخفش وغير زائدة على قول غيره الشَّهر ظرف أو مفعول به على السَّعة يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ الباء لِلإِصْطِقِ والمعنى يريد أن يلصق بكم اليُسْرَ فيما شرعه لكم.

◀ التَّفْسِير

كر الله سبحانه هذه الآية عقيب ما مرَّ سابقاً تأكيداً لوجوب الصَّوم في هذا الشَّهر وتحريضاً عليه حيث بيَّن أولاً شرافته بنزول القرآن فيه و ثانياً أَنَّهُ تعالى يَسِّرُهُ عليكم وَأَنَّ في ذلك بتكبير الله وتعظيمه و شكر نِعَمَتِهِ الوافرة ولهذا أَكثَرَتْ فيه مَوَاهِبَ اللَّهِ وَعُتِقَاؤُهُ مِنَ النَّارِ كما دَلَّتْ عليه الأخبار وقد يفهم تعظيم هذا الشَّهر أيضاً من إضافته اليه سبحانه لأنَّ رمضان إسم من أسماء الله تعالى فمعناه شهر الله كما يدلُّ عليه.

ما رواه في الكافي بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كُنَّا عنده ثمانية رجال فذكرنا عنده رمضان فقال لا تقولوا هذا رمضان ولا ذَهَبَ رمضان ولا جاء رمضان فَأَنَّ رمضان إِسْمٌ من أسماء الله عزَّ وجلَّ ولا يجيئ ولا يذهب وأنما يجيئ ويذهب الزَّائِلُ ولكن قولوا شهر رمضان فَأَنَّ الشَّهْرَ مضاف إلى الإِسْمِ والإِسْمُ إِسْمُ الله عزَّ ذكره وهو الشَّهْرُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ جَعْلُهُ مَثَلًا ووَعِيدًا انتهى.

وعن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان فَأَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ ما رمضان انتهى.

أقول فعلى هذا يكون مجموع المضاف والمضاف إليه عَلَمًا وَمَنْعَهُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالْأَلْفِ وَالنُّونِ وَقِيلَ أَنَّ الْعَلَمَ هُوَ رَمَضَانَ أَيَّ عَلَمٍ لِلشَّهْرِ كَرَجَبٍ وَشَعْبَانَ وإضافة الشَّهْرِ إليه من قبيل إضافة الْعَامِ إِلَى الْخَاصِّ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ إِشْتِقَاقَهُ فَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ عِنْدَ شَرْحِ اللُّغَاتِ.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. فإن قيل قد ثبت نزول كثير من الآيات في غير شهر رمضان بل أكثرها كما هو بيّن في كُتُبِ التفسير فكيف قال تعالى أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ، والجواب من وجوه.

أحدها: أَنَّ المراد ابتداء نزوله فيه.

ثانيها: أَنَّ الله تعالى أُنْزَلَ جميع القرآن دفعةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أُنْزِلَ على النَّبِيِّ بعد ذلك نجومًا وبه قال سعيد بن جبیر وهو المروزي عن أبي عبد الله أيضًا.

ثالثها: أَنَّ المراد نزوله كلّ فيه لكن إلى البيت المعمور ثم نَزَلَ في ظرف مدّة إلى الدنيا ويدل على هذا القول.

ما رواه في الكافي عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله قال: سألته عن قول الله عز وجل: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وَآتَمَّا أُنْزِلَ بَيْنَ عَشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ثُمَّ نَزَلَ فِي عَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَزَلَ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ فَصِيْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشَرَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لثَمَانِ عَشَرَ خَلُّونَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ فِي ثَلَاثَ وَ عَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ انْتَهَى.

و نحوه رواه ابن بابويه في الأموال والطبرسي في تفسيره عن العياشي وأيضاً فيه وفي الفقيه بأسنادهما عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت التَّوْرَةُ فِي سِتِّ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ فِي اثْنِي عَشَرَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَنَزَلَ الزَّبُورُ فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْفَقِيهِ وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ انْتَهَى.

أقول وسيجيء تمام البحث فيه عند قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ (١) إن شاء الله إن أمهلنا الأجل.

هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ

وصف الله كتابه أعني به القرآن بكونه هُدىً لِلنَّاسِ أي يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم وقد وصفه الله تعالى بهذا الوصف في كثير من الآيات: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (٢)

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

قال الله تعالى: وَلَئِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا^(١)
 قال الله تعالى: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ^(٢)
 قال الله تعالى: إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ^(٣)
 قال الله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^(٤) وغيرها من
 الآيات.

وقد مرّ الكلام في معنى الهداية وأقسامها في أوائل البقرة أن قلت لِمَ قال
 هناك هُدًى للمتقين وفي المقام هُدًى للناس قلت لاشك أن القرآن هُدًى لكل
 الناس أجمعين وهذا هو الأصل في هداية القرآن إلا أن الإستضاءة بنور القرآن
 والإهتمام به مشروطة بالقابلية فأَن تَمَامِيَّةُ الْعِلَّةِ لا تكفي في إيجاد المعلول بل
 يشترط فيه التَّهَيُّؤُ وَالْقَبُولُ اذ التأثير فرعٌ على القابلية وحيث أن المؤمن
 لمعرفته وصفاء باطنه أكثر استعداداً لقبول الحق من غيره قال: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
 ولا يُستفاد من الآية إختصاص الهداية بالمتقين ونفيها عن غيرهم. وأمّا قوله:
 وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ. ففي ذكر البينات بعد الهدى إشارة الى أنواع
 متعددة من الهدايات الى أمورٍ شَتَّى والمراد بالفرقان في الآية هو القرآن
 والفرق بينهما بالإعتبار.

فقد روي في الكافي ومعاني الأخبار عن أبي عبد الله عليه السلام: وقد
 سُأِلَ عَنِ الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ أَمْ شَيْئَانِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 الْقُرْآنُ جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَالْفُرْقَانُ الْمَحْكَمُ الْوَاجِبُ الْعَمَلُ بِهِ انْتَهَى.
 قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ

وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ
نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمَى وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ
مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَذْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ
عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرَ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّبَقُّاقُ وَالْغَى
وَالضَّلَالُ... إلى آخر كلامه عليه السلام.

وقال عليه السلام في موضع آخر من الخطبة وإنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْطَ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ (حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ) وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَتَابِعُ الْعِلْمَ وَمَا
لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ... إلى آخر كلامه عليه السلام (١).

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ. الظَّاهِرُ أَنَّ شَهِدَ، بمعنى حَضَرَ فيه كَلَّا أَوْ
بَعْضًا كما يُرْشَدُ إِلَيْهِ الْمَقَابِلَةُ بِقَوْلِهِ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ، وَعَلَيْهِ فَنَصَبُ
الشَّهْرِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ فِيهِ وَكَذَا ضَمِيرُ يَصُمْهُ، أَيِ فَلْيَصُمْ فِيهِ فَحُذِفَ الْجَارُ وَ
وَصَلَ الضَّمِيرُ بِالْفِعْلِ وَيَحْتَمِلُ كَوْنُهُ مَفْعُولٌ بِهِ أَيِ فَلْيَصُمْ مِنْ حَضَرٍ فِيهِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ
اللَّهِ عليه السلام قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ قَالَ عليه السلام:
مَا أَبَيَّنَهَا مَنْ شَهِدَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ سَافَرَ فَلَا يَصُمْهُ انْتَهَى.

وَقِيلَ نَصَبُ الشَّهْرِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَيَكُونُ ذِكْرُ الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ مِنْ
قَبِيلِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ عَمُومٍ، مَنْ شَهِدَ، وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى إِبْتِغَاءِ قَيْدٍ فِي
وَجُوبِهِ عَلَى مَنْ شَهِدَ، وَقَدْ مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَدَمُ جَوَازِ الصَّوْمِ مِنَ الْمَرِيضِ
وَالْمَسَافِرِ وَتَكَرُّرِهِ فِي الْمَقَامِ لِلتَّأْكِيدِ أَوْ لِلإِشَارَةِ إِلَى مَا رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ
وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ الْخِ وَالْإِ هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

بَيِّنَاتُ
الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ

جزء ٢

الْعِدَّةُ
الْخِ

وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. وَقَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِيهِ.

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ. والى هذا المعنى أشار رسول الله بقوله بُعِثْتُ إِلَى الشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يجوز عطفه على اليسر أي يريد بكم اليسر في إسقاط الصوم عنكم في تلك الحال ويريد إكمال عِدَّة ما أفطرتموه في حال المقدرة، ويجوز أن يكون العطف على عِلَّةٍ مَقْدَرَةٍ مثل يسهل عليكم أو لتعلموا ما تعلمون، أو المعنى شرع لكم ما ذكر وبين، فتكملوا العِدَّة وتَعْظُمُوا اللَّهَ فِي إِمْتِثَالِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَدْخُلُونَ بِذَلِكَ فِي جَمَلَةِ الشَّاكِرِينَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ فِي هَذَا الشَّهْرِ بِالنَّاءِ عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى هِدَايَتِهِ لَكُمْ وَإِرْشَادِهِ إِلَى مَا يُوصِلُكُمْ إِلَى شُكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ.

روى البرقي في المحاسن عن بعض أصحابنا رفعه قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:
التَّكْبِيرُ التَّعْظِيمُ لِلَّهِ وَالهَدَايَةُ الْوَلَايَةُ وَفِي خَبَرٍ آخَرَ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَشْكُرُ الْمَعْرِفَةَ.

ويمكن أن يكون المراد بالتكبير في الآية هو المسنون في الفطر الذي هو بعد أربع صلوات كما قال الأصحاب وبه وردت الزواية، وأما استدلال بعضهم بقوله ولتكملوا العِدَّة، على أن شهر رمضان لا ينقص أبداً فهو في غير محله لأن المعنى تكملوا عِدَّة الشَّهْرِ تَاماً كَانَ أَوْ نَاقِصاً فَأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ يَدْخُلُهُ مَا يَدْخُلُ الشُّهُورَ مِنَ النِّقْصَانِ وَأَنَّ الْمَنَاطَ فِي الْعَمَلِ هُوَ الْأَهْلَةُ فَالْمَرَادُ بِالْعِدَّةِ وَتَكْمِيلِهَا هُوَ عِدَّةُ الْهَلَالِ، وَقِيلَ عِدَّةُ الْأَدَاءِ لِمَنْ أَفْطَرَ فِي سَفَرِهِ أَوْ وَصَفِهِ.

إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. (١٨٦)

◀ اللّٰغَة

قَرِيبٌ: القُرب والبُعد يتقابلان ويُسْتعمل ذلك في المكان وفي الزّمان وفي النسبة وفي الخطوة والرّعاية والقدرة.
أُجِيبُ: بَضَم الألف متكلم وحده من أَجَاب يُجِيب.
دَعْوَةُ الدَّاعِ: الدّعوة مَخْتَصَة بِإِدْعَاء النّسبة وأصلها للحالة التي عليها الإنسان نحو القعدة والجلّسة.
يَرْشُدُونَ: من رَشَد يُرشد الرّشد والرّشد خلاف الغي يستعمل إستعمال الهداية يقال رَشَد يَرْشُد ورَشِد يَرْشُد.

◀ الإعراب

فَإِنِّي قَرِيبٌ أي فقل لهم أنّي قريب لأنّه جواب لقوله وإذا سَأَلَكَ أُجِيبُ خبر ثانٍ فَلْيَسْتَجِيبُوا بمعنى فليجيبوا كما تقول، قَرَّوْا واستقر بمعنى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ الجمهور على فتح الباء وضمّ الشّين وماضيه رَشَد بالفتح ويُقرأ بفتح الشّين وماضيه رَشَد بكسرها وهي لغة ويُقرأ بسكر الشّين وماضيه أَرَشَد من باب الأفعال أي غيرهم.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثالث

◀ التّفّسیر

قل ذكرت هذه الآية في هذا المقام تبعاً للقرآن ولتضمنها الدّعاء وإجابته وقد ورد في الخبر أنّ الدّعاء من الصّائم لا يحجب فكأنّ الدّعاء صار من الأمور

اللازمة للصائم ومن وظائفه سيمًا في شهر رمضان الذي تفتح فيه أبواب الجنان وتصفد فيه الشياطين وقد ورد فيه من الادعية والإذكار شيء كثير كما ذكره الأصحاب في كتب الأدعية، وأما شأن نزول الآية.

فقد روي أنه سأل سائل رسول الله ﷺ فقال: قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقيل أن يهود المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسير خمس مائة عام وأن غلط كل سماء مثل ذلك فنزلت.

وأما ذكرها هنا بعد آية الصوم ف قيل في وجهه أنه لما أمرهم بصوم الشهر و مراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بذكر هذه الآية فقال أتني قريب أي بالعلم والفطنة وإيصال المطالب وقضاء المأرب لمن يقصدني بذلك فهو من باب التمثيل بحال من قرب مكانه منهم.

إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ. معناه اذا سألك عبادي عني يا محمد ﷺ فقالوا أين ربنا فقل لهم أنني قريب منهم:

قال الله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(١)

قال الله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ^(٢)

قال الله تعالى: فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ^(٣) و أمثال ذلك من الآيات إعلم أن القرب بحسب موارد الاستعمال على أقسام فتارة يكون في المكان و يُعبّر عنه بالقرب المكناني:

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ^(٤)

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ^(٥)

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ (١)

قال الله تعالى: فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ غَائِمِهِمْ (٢) وأمثال ذلك.
و تارة يكون في الزمان:

قال الله تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (٣)

قال الله تعالى: وَإِنْ أَذْرَىٰ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدًا مَا تُوعَدُونَ (٤)
و تارة يكون في اللئنة:

قال الله تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ (٥)

قال الله تعالى: أُولَٰئِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ (٦)

قال الله تعالى: وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ (٧)

قال الله تعالى: وَلِذِي الْقُرْبَىٰ (٨)

قال الله تعالى: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ (٩) وغيرها.

و تارة في الخطوة:

قال الله تعالى: أَلْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ (١٠)

وقوله في عيسى:

قال الله تعالى: وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١)

قال الله تعالى: يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (١٢)

قال الله تعالى: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١٣)

قال الله تعالى: وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (١٤)

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

٢- التوبة = ٢٨

٤- الانبياء = ١٠٩

٦- النساء = ٧

٨- الانفال = ٤١

١٠- النساء = ١٧٢

١٢- المصطفين = ٢٨

١٤- مريم = ٥٢

١- الاسراء = ٣٢

٣- الانبياء = ١

٥- النساء = ٨

٧- المائدة = ١٠٦

٩- النساء = ٣٦

١١- آل عمران = ٤٥

١٣- الواقعة = ٨٨

و يقال للخطوة القربة:

قال الله تعالى: قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ (١)

قال الله تعالى: أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ (٢)

قال الله تعالى: تَقَرَّبْكُمْ عِندَنَا زُلْفَى (٣) وغيرها من الآيات.

وتارة في الرعاية نحو أن رحمة الله قريب من المحسنين.

وتارة في القدرة نحو ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وقوله: و

نحن أقرب إليه منكم يحتمل أن يكون من حيث القدرة اذا عرفت

هذا فنقول قوله تعالى: فَأَتَى قَرِيبٌ لَيْسَ الْقَرَبُ مَكَانِيًّا وَلَا رِمَانِيًّا وَ

لَا نَسْبِيًّا وَلَا فِي الْخَطْوَةِ بل أمره دائر بين الرعاية والقدرة والأقوى

في النظر الأول أعني به الرعاية وكيف كان فالقرب معنوي لا حسي

لأن القرب والبعد الجسبيين من خواص المادة ولواحقها تعالى منزلة

عنها بالكلية قال أمير المؤمنين عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى

عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي

الْعُلُوفِ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقُرْبَ فِي الدُّنُوفِ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدَهُ

عَنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ الْخ (٤)

و قال عليه السلام قُرْبُ فِتَائِي وَعَلَا فِدَانَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ وَدَانَ وَلَمْ يُدَنَّ

الْخ (٥)

ولنعم ما قيل بالفارسية:

يار نزدیکتر از من بمن است این عجب تر که من از وی دورم

١- التوبة = ٩٩

٢- خطبة «٤٩».

١- التوبة = ٩٩

٣- سبا = ٣٧

٥- خطبه ١٩٤.

أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. هو تقرير للقرب ووعدٌ للإجابة بل فيه حثٌ على الدَّعاء وتكراره في جميع الأحوال.

فقوله: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي. هذه لام الأمر لا بدّ منها للغائب و أمّا للحاضر فيجوز فيه إثباتها وإسقاطها كقولك قُمْ وَلتَقُمْ والأصل فيها أن تكون مكسورة ويجوز فيها السكون إذا إتصلت بحرفٍ واء كالفاء، فأماً، ثمّ فالوجه معها الكسر لأنها منفصلة قال أبو عبيدة، إستجاب وأجاب بمعنى واحد ومنه قول الشاعر:

وداعٍ دعا يامنُ يُجيب الـى التّدى فلم يَسْتجِيبُه عند ذاك مُجِيبٌ
وقال المبرّد هذا لا يجوز لأنّ في الإستجابة معنى الإذعان وليس ذلك في الإجابة في قوله: وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. حثٌ على التّصديق بذلك ليحصل لهم الرّشاد الـى الحقّ وإشارة الـى أنّه لا يجوز أن يأمنوا مكر الله بسبب الإهمال ولا يقنطوا من رحمة الله بسبب التأخير فالعالم المصدّق بالله يعرف أنّه لا خُلف لوعده وأتّما يقع التأخير وعدم المسارعة الـى الإنجاز لأسباب ومصالح للعبد كما ورد به الأخبار عن أهل البيت عليهم السّلام.

منها مارواه في الكافي عن البرنطي قال قلت لأبي الحسن عليه السلام جُعِلَتْ فداك أنّي قد سألت حاجة مُنذ كذا وكذا سنة وقد دَخَلَ قلبي من إبطاءها شيء فقال عليه السلام: يا أحمد إيّاك و الشّيطان أن يكون له عليك سبيل حتّى يقنّك أنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول أنّ المؤمن يَسأل الله عزّ وجلّ حاجة فيؤخّر عنه تعجيل إجابتها خُبّاً لصوته و إستماع تحييه ثمّ قال عليه السلام و ما أحرّ الله عزّ وجلّ عن المؤمنين ما يَطلبون من هذه الدّنيا خيرٌ لهم ممّا عَجّل لهم فيها أنّ أبا جعفر عليه السلام: كان يقول ينبغي للمؤمن أن يكون دعاءه في الرّخاء نحواً من دعاءه في الشّدّة ليس اذا أعطى فتر، فلا تَمَلّوا الدّعاء فإنّه من الله عزّ وجلّ

بمكانٍ الى أن قال صاحب النعمة في الدنيا اذا سأل فأعطى طلب غير الذي يسأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء و اذا كثرت النعمة كان المسلم من ذلك على خطرٍ للحقوق التي تجب عليه و ما يخاف من الفتنة فيها أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً أكنث تثق به مني فقلت له جعلت فداك اذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه فقال فكُن بالله أوثق فأنتك على موعدٍ من الله أليس الله عز وجل يقول، إذا سئلك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعانِ وقال لا تقنطوا من رحمة الله، وقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، فكُن بالله أوثق منك بغيره و لا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنه مغفورٌ لكم انتهى.

و عن أبي بصير قال سمعتُ أبا عبد الله يقول أن المؤمن يدعُو ويُؤخَّر إجابته الى يوم الجمعة انتهى.

و عن إسحاق بن عمار قال: قلتُ لأبي عبد الله يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخَّر قال: نعم عشرين سنةً انتهى.

و في صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن بين قول الله عز وجل قد أجيب دعوة توكما وبين أخذ فرعون كان أربعين عاماً.

و في رواية أخرى عن إسحاق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن المؤمن ليدعُو الله في حاجته فيقول الله عز وجل أخروا إجابته شوقاً الى صوته ودعائه فاذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل عبدي دعوتني فأخّرتُ إجابتك و ثوابك كذا وكذا ودعوتني في كذا وكذا فأخّرتُ إجابتك فتوابك كذا وكذا قال عليه السلام: فيتمنى المؤمن أنه لم يستجيب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب انتهى.

و في بعض الأخبار أن غير المؤمن قد يعجل إجابته كراهة أن يسمع صوته

ونداءه والأخبار بهذه المضامين كثيرة وبالجملة يجب أن يعتقد أن الدعاء في طلب الأمور المباحة لا يُحجب بمقتضى وعده الذي لا خلف فيه لكن قد تُؤخر الإجابة لمصالح شتى، وقد يُحجب اذا لم يكن بالأدب والكيفيات الواردة.

كما روى في حسنة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال الدعاء محجوباً حتى تصلي على محمد وآل محمد

وفي الصحيح عن الحرث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إاكم اذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئاً من حوائج الدنيا والأخرة حتى يبدأ بالثناء على الله عز وجل والمدح له والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وعليهم السلام ثم يسأل حوائجه.

وفي رواية أخرى أنما هي المدحة ثم الثناء ثم الإقرار بالذنب ثم المسألة وحاصل الكلام في الختام هو أن للدعاء أداب وكيفيات وأوقات وأمكنة كما هو مذكور في كتب الأدعية اذا عرفت هذا فلا يرد ما ذكره المفسرون من السؤال المشهور من أنه قد يدعو الداعي ولم تحصل الإجابة ولنعم ما قال الشاعر العارف في المقام:

أنسي لأرجو عطفة الله ولا
لابد أن ينشر ما كان طوى
وربما ينشر ما كان روى
وكل شيء ينتهي الى ندى
لطائف الله وإن طال المدى
كم فرج بعد إياس قد أتى
من لاذ بالله نجى فيمن نجا
سيحان من نهفوا ويعنوا دائماً
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه
أقول أن قيل متى ذاك متى
جوداً وإن يطر ما كان خوى
وربما قدر ما كان لوى
والشيء يرجى كشفه اذا إنتهى
كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
وكم سرور قد أتى بعد الأسا
من كل ما يخشى ونال ما رجا
ولم يزل مهما هفا العبد عفا
جلاله من العطاء لذي الخطا

وقد وَرَدَ في الحديث أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كَانَ دَعَاءَ أَيِّ كَانَ عليه السلام كَثِيرَ الدَّعَاءِ كَيْفَ وَفِي الدَّعَاءِ حَلَاوَةُ الْمَنَاجَاتِ لِلدَّاعِي فَإِنَّ الْمُحِبَّ يُحِبُّ التَّكَلُّمَ مَعَ الْمُحِبُّوبِ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَهُ.

لِذَا قَالَ بَعْضُ الْعُرَفَاءِ أَلَذَّى اللَّذَاتِ مَنَاجَاتِ الْعَبْدِ لِلرَّبِّ وَأَنْ كَانَ لِسَانُ حَالِهِ وَمَقَالُهُ:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعَدَّ لِكُلِّ مَا يَتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالتَّفَرُّعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سَوْى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسَيْلُهُ فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَالِي سَوْى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلُهُ فَلَنْ رَدَدْتُ فَبِأَيِّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لَجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيَا الْفَضْلُ أَجْزَلَ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
ثَمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ خَيْرُ الْإِمَامِ وَمَنْ بِهِ يَتَشَفَّعُ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الدَّاعِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

فَأَنِّي أَقُولُ:

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا رَبَّ الْعِبَادِ وَمَنْ قَدْ قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ إِدْعُونِي
إِنِّي دَعَوْتُكَ مُضْطَرّاً فَخُذْ بِيَدِي يَا جَاعِلَ الْأَمْرِ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
نَجَّيْتَ أَيُّوبَ مِنْ بَلْوَاهُ حِينَ دَعَا بَصِيرَ أَيُّوبَ يَا ذَا اللَّطْفِ نَجِّنِي
وَأَطْلِقْ سِرَاحِي وَأَمْنُنْ بِالْخِلَاصِ كَمَا نَجَّيْتَ مَنْ ظَلَمَاتِ الْبَحْرِ ذَا النُّونِ
اللَّهُمَّ أَنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ أَنْتَ
رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ
لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ
فَالْأَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى
اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي
الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

◀ اللغة

أَحِلَّ: بالبناء المجهول على المشهور.
الرَّفَثُ: الرَّفَثُ بفتح الراء والفاء كلامٌ متضمنٌ لما يُستقبح ذكره من ذكر الجماع
ودواعيه وجعل كناية عن الجماع في الآية وعُدِّي، بألّ، لِتَضَمُّنِهِ معنى الإفضاء.
لِبَاسٌ لَكُمْ: اللباس ما يُؤارى به الجسد.
تَخْتَانُونَ: الإختيان الخيانة يقال خانَهُ ويخونه خَوْنًا وخيانةً وإختانه
إختيانًا: وألفه مُبدلة من واو لأنّه من خان يَخُون.
بَاشِرُوهُنَّ: المباشرة إصاق البَشْرَةِ بالبَشْرَةِ وهى ظاهر الجلد.
وَابْتَغُوا: الإبتغاء طلب البغية.
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ: كناية عن بياض الفجر.
الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ: سواد الليل.
عَاكِفُونَ: العُكُوف والإعتكاف أصله الإلْزُوم يقال عَكِفْتُ بِالْمَكَانِ أَيِ
أَقَمْتُ بِهِ مَلازِمًا لَهُ.

بَابُ
التَّوْقُفَانِ فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ

جزء ٢

الجلد الثاني

◀ الإعراب

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ ظَرْفٌ لِأُحِلَّ لَا لِلرَّفْتِ مِنْ جِهَةِ الإِعْرَابِ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ وَالْمُصَدَّرُ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَعْمُولُهُ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ظَرْفًا لَهُ عَلَى التَّبْيِينِ وَعَلَيْهِ فَالتَّقْدِيرُ أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَرْفُثُوا لَيْلَةَ الصَّيَامِ فَحُذَفَ وَجُعِلَ الْمَذْكُورُ مُبَيَّنًا لَهُ نِسَائِكُمْ، النِّسَاءُ جَمْعُ النِّسْوَةِ وَقِيلَ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ فَلِأَنَّ حَقِيقَةَ الْآنَ الْوَقْتُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَقَدْ يَقَعُ عَلَى الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِينَ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ ظَرْفٌ لِبَاشِرِ وَهَنْ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ لِأَنَّ الْمَعْنَى حَتَّى يَبَايِنَ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ مِنَ الْفَجْرِ حَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْأَبْيَضِ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعٍ الْحَالِ كَذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ صِفَةً لِمُصَدَّرٍ مُحذُوفٍ أَيْ بَيْنًا مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ يُبَيِّنُ.

◀ التفسير

قِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا إِذَا صَامَ أَحَدُهُمْ فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يَفْطُرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَأَنَّ قَيْسَ بْنَ صَرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا وَفِي رَوَايَةٍ كَانَ يَعْمَلُ فِي التَّخِيلِ بِالنَّهَارِ وَكَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى إِمْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا أَعِنْدَكَ طَعَامٌ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ إِنِ انْطَلَقَ فَأَطْلُبُ لَكَ وَكَانَ يَوْمُهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ إِمْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَبِيَّةٌ لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غَشَى عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ. فَفَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ، كُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ، قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ثُمَّ قَالَ، وَفِي الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ يَقَالُ خَانَ وَاحْتَانَ بِمَعْنَى مِنَ الْخِيَانَةِ أَيْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بِالْمُبَاشَرَةِ فِي لَيْلَالِي الصَّيَامِ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ إِذْ جَلَبَ إِلَيْهَا الْعِقَابَ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ أَصْلُ الْخِيَانَةِ أَنْ يُؤْتَمَنَ الرَّجُلُ عَلَى شَيْءٍ فَلَا يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فِيهِ انْتَهَى مَوْضِعُ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

وذكر الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ حَدَّثَنَا إِبْنُ أَبِي لَيْلَى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا فطَرَ فَنَامَ لَمْ يَأْتِهَا وَإِذَا نَامَ لَمْ يَطْعَمْ حَتَّى جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَرِيدُ امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ قَدْ كُنْتُ نَمْتُ فَظَنْ أَنَّهَا تَعَلَّتْ فَوَقَعَ بِهَا قَالَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَرَادَ أَنْ يَطْعَمْ فَقَالُوا نَسَخْنَا لَكَ شَيْئاً قَالَ ثُمَّ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، احْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْقُ إِلَى نِسَائِكُمْ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنَا بَنُو إِدْرِيسَ قَالَ حَدَّثَنَا حَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ كَانُوا يَصُومُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ كَانُوا يَصُومُونَ فَإِذَا لَمْ يَأْكُلِ الرَّجُلُ عِنْدَ فِطْرِهِ حَتَّى يَنَامَ لَمْ يَأْكُلِ إِلَى مِثْلِهَا وَأَنْ نَامَ أَوْ نَامَتْ امْرَأَتُهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهَا إِلَى مِثْلِهَا فَجَاءَ شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقَالُ لَهُ حِرْمَةُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَطْعَمُونِي فَقَالَتْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ شَيْئاً وَظَنُّوا أَنَّهَا تَعْتَلُّ فَوَاقِعُهَا فَبَاتَ هَذَا وَهَذَا يَتَقَلَّبَانِ لَيْلَتَهُمَا ظَهراً وَبَطْناً فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَلَاماً وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْآيَةُ.

أَقُولُ هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ فِي تَفَاسِيرِهِمْ وَالْحَقُّ عِنْدَنَا فِي سَبَبِ نَزُولِهَا.

مَا رَوَاهُ فِي التَّهْذِيبِ وَالْكَافِي عَنْ أَبِي بصيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَحَدِهِمَا، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ احْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْقُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي خَوَاتِ بْنِ جَبْرِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مَعَ النَّبِيِّ فِي الْخَنْدَقِ

وهو صائم فأمسى على تلك الحال و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حَرُم عليه الطَّعام والشَّراب فجاء خوات الى أهله حين أمسى فقال لهم هل عندكم طعام فقالوا لا تنم حتَّى نصلح لك طعاماً فإتكى فنام فقالوا له قد فعلت قال نعم فبات على تلك الحال فأصبح ثمَّ غدا الى الخندق فجعل يغشى عليه فَمَرَّ به رسول الله فلمَّا رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأَنزل الله فيه الآية و في تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه رفعه قال قال الصادق كان النِّكاح والأكل محرَّمين في شهر رمضان بالليل بعد النِّوم يعني كلَّ من صلَّى العشاء و نام و لم يفطر ثمَّ انتبه حرم عليه الإفطار و كان النِّكاح حراماً بالليل والنَّهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب النَّبي ﷺ يقول له خوات بين جبير أخو عبد الله بن جبير الذي وكلَّه رسول الله بمهمِّ الشَّعب في يوم أحد في خمسين من الرِّماة ففارقته أصحابه و بقي في إثني عشر رجلاً فقتل عليَّ باب الشَّعب وكان أخوه هذا شيخاً كبيراً ضعيفاً و كان صائماً فأبطأت عليه إمْرأته فنام قبل أن يفطر فلمَّا انتبه قال لأهله قد حرم على الأكل في هذه اللَّيلة فلمَّا أصبح حضر الخندق فأغمى عليه فرآه رسول الله ففرَّق له انتهى.

و كيف كان الأمر فنقول قوله تعالى: **أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** يدل على جواز اتيان النِّساء في ليالي شهر رمضان وذلك لأنَّ الرَّفَث في الآية الجماع و أمَّا قبل نزول الآية فلم يكن الجماع محللاً كما مرَّ و أمَّا قوله (هُنَّ لباس لكم و أنتم لباس لهنَّ) أي إنَّ نسائكم لباس لكم و أنتم لباس للنِّساء فالكلام خرج مَخْرَج الإستعارة و ذلك لأنَّ اللِّباس مُستعار والمراد به قرب بعضهم من بعض و اشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام قال النَّابغة:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنِي جِيدَهَا تَثَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسًا
عَلَى أَنَّ اللَّبَاسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ يَتَضَامَانُ فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
لِلْآخَرِ بِمَنْزِلَةِ اللَّبَاسِ وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الظَّاهِرُ مِنَ اللَّبَاسِ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفُ
وَهُوَ مَا يَسْتَرُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَدَنَهُ وَ الْجَمْلَتَانِ مِنْ قَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ فَأَنَّ كَلَامًا مِنْ
الزَّوْجَيْنِ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنْ إِتْبَاعِ الْفُجُورِ وَ إِشَاعَتِهِ بَيْنَ أَفْرَادِ النَّوعِ فَكَأَنَّ كُلَّ
مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ لِبَاسًا يُوَارِي بِهِ سَوَاتِهِ وَيَسْتَرُ بِهِ عَوْرَتَهُ انْتَهَى.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي تَشْبِيهِ الزَّوْجَيْنِ بِاللَّبَاسِ وَجْهًا.
أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ يَعْتَنِقَانِ فَيُضَمُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِسْمَهُ
إِلَى جِسْمِ صَاحِبِهِ حَتَّى يَصِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ كَالثُّوبِ الَّذِي يَلْبَسُهُ
سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسًا.

ثَانِيَهُمَا: أَنَّمَا سُمِّيَ الزَّوْجَانِ لِبَاسًا لِیَسْتَرِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَمَّا لَا
يَحِلُّ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ مِنْ تَزَوُّجٍ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ.

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا لِبَاسًا لِلرَّجُلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَخْصُهَا بِنَفْسِهِ كَمَا يَخْصُ
لِبَاسُهُ بِنَفْسِهِ وَيَرَاهَا أَهْلًا لِأَنَّهُ يَلَاقِي كُلَّ بَدَنِهِ كُلَّ بَدَنِهَا كَمَا يَفْعَلُهُ فِي اللَّبَاسِ.

وَابْعَثَهَا: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ سَتْرَهُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْمَفَاسِدِ الَّتِي تَقَعُ فِي
الْبَيْتِ لَوْلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ حَاضِرَةً كَمَا يَسْتَتِرُ الْإِنْسَانُ بِلِبَاسِهِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَثِيرٍ
مِنَ الْمَضَارِّ انْتَهَى.

أَنْ قُلْتُ لَمْ وَحْدَ اللَّبَاسِ بَعْدَ قَوْلِهِ، هُنَّ وَ أَنْتُمْ وَالْحَقُّ الْإِتْيَانُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ،
قُلْتُ لِأَنَّ اللَّبَاسَ يَجْرِي مَجْرَى الْمَصْدَرِ فَأَنَّ، فِعَالٌ مِنْ مَصَادِرٍ، فَاعِلٌ، فَتَأْوِيلُهُ،
هُنَّ مَلَابِسَاتٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَلَابِسَاتٌ لَهُنَّ، أَنْ قُلْتُ مَا مَوْقِعُ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، قُلْتُ
قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ هُوَ إِسْتِنَافٌ كَالْبَيَانِ لِسَبَبِ الْإِحْلَالِ أَيْ إِذَا حَصَلَتْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ هَذِهِ الْمَخَالَطَةُ وَ الْمَلَابِسَةُ قُلْتُ صَبِرْكُمْ عَنْهُنَّ وَصَعِبَ عَلَيْكُمْ
إِجْتِنَابَهُنَّ فَلِذَلِكَ رَخَّصَ لَكُمْ فِي مَبَاشَرَتِهِنَّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فِيهِ مَسَائِلُ.

الأولى: يقال خانته يخونه وخيانه، إذا لم يف له يقال خانته الدَّهر إذا تغيَّر حاله إلى الشَّر وخان الرجل الرجل إذا لم يرد الأمانة وناقض العهد خائن كأنه ينتظر منه الوفاء فغدر إذا علّمت معنى الخيانة ففي هذه الآية سمى الله المعصية بالخيانة:

قال الله تعالى: **لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ** ^(١)
قال الله تعالى: **وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ** ^(٢).

قال صاحب الكشف الإختنان من الخيانة كالإكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة.

المسألة الثانية: أن الله تعالى ذكر في الآية أنهم كانوا يخنون أنفسهم إلا أنه لم يذكر أن تلك الخيانة كانت فيما ذا فلا بد من حمل هذه الآية على شيء يكون له تعلّق بما تقدّم وما تأخر والذي تقدّم هو ذكر الجماع والذي تأخر قوله فالآن بأشروهم فيجب أن يكون المراد بهذه الخيانة الجماع.

الثالثة: قيل في معناه، لما حرّم عليهم الجماع والأكل بعد النّوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله بالنّعمة في الرّخصة التي سخت تلك التّحريمه فقال علّم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم بالمعصية أي لا تؤدّون الأمانة بالإمتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون، أي تنقصون أنفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها بإجتنب ما نهيتهم عنه فخفّفه الله عنكم.

الرابعة: إختلفوا في أنها هل هي ناسخة لما قبلها أم لا فقال قوم بالنسخ واستدلوا بما حاصله أن حكم الصّيام كان قبل نزول الآية حرمة الجماع في ليلة الصّيام بدليل قوله: **أُحِلَّ لَكُمْ** وقوله: **كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ** وقوله، **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** وقوله: **وَعَفَا عَنْكُمْ** وقوله: **فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ** إذ لولا حرمة سابقة لكان المناسب أن يقال فلا جناح عليكم الآن أن تباشروهن أو ما يؤدّي هذا المعنى ولم يقل كذلك بل قال **أُحِلَّ لَكُمْ الْخ.**

و هو من أدل الدلائل على ثبوت النسخ، و قال الآخرون أن الآية ليست بناسخة.

لعدم وجود حكم تحريمي في آيات الصّوم بالنسبة الى الجماع أو الى الأكل والشرب بل الظاهر أن المسلمين لما نزل حكم فرض الصّوم بقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ^(١) فهموا منه التساوي في الأحكام من جميع الجهات وكانت النصارى كما قيل ينكحون ويأكلون ويشربون في أول الليل ثم يمسون بعد ذلك فالمسلمون أخذوا بذلك غير أن ذلك صعب عليهم ولا سيما شبابهم كانوا لا يكفون عن النكاح سرّاً مع كونهم يرونه معصية و خيانة لأنفسهم و الشيوخ منهم ربّما أجهدهم الكفّ عن الأكل والشرب بعد التّوم فنزلت الآية وبيّنت أن النكاح الأكل والشرب غير محرّم عليهم بالليل في شهر رمضان و عليه فالمراد بالتشبيه في قوله تعالى: **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمُ** التشبيه في أصل الصّوم وأنّه فرض على المسلمين كما كان فرضاً على الذين كانوا قبلهم لا في جميع خصوصيّاته وأما قوله تعالى: **أُحِلَّ لَكُمْ** لا يدلّ على سبق حكم تحريمي بل يدلّ على مُجرّد تحقق الحليّة كقوله تعالى، **أُحِلَّ لَكُمْ صيد البحر الآية**، إذ من المعلوم أن صيد البحر لم يكن مُحَرَّمًا عليهم قبل نزول الآية من قبل الله تعالى و هكذا الكلام في قوله تعالى: **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ** فإنّ المعنى أنكم كنتم تختانون أنفسكم ولم يقل تختانون فلو كان الجماع مثلاً في ليلة الصّيام محرّم عليهم شرعاً فحقّ العبارة أن يقال تختانون الله لأنّ فعل الحرام خيانة بالله ورسوله وكذا قوله: **فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ** غير صريح في كون النكاح والأكل والشرب معصية محرّمة هذا مخلص كلام الطّرفين في الآية من حيث النسخ و عدمه و الأقوى عند قول الأول أعني وجود النسخ في

في تفسير القرآن

جزء ٢

الجزء الثاني

الآية لدلالة الأخبار الواردة عن المعصومين عليه وقد مرّت في صدر البحث و لا سيّما.

ما نقلناه عن تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام حيث قال: كان النكاح و الأكل محرّمان في شهر رمضان بالليل بعد النوم يعني كلّ من صلّى العشاء ونام ولم يَفْطُرْ ثمّ إنتبه حرّم عليه الإفطار و كان النكاح حراماً بالخبر وهكذا ما نقلناه قبله عن الكافي حيث قال عليه السلام: و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية اذا نام أحدهم حرّم عليه الطّعام و الشّراب الخبر فهذه الأخبار قد دلّت على وجود حكم الحرّمة قبل نزول الآية ثمّ رفع الحكم و لا نعني بالنسخ إلّا هذا و من المعلوم أنّ أهل البيت أدركوا بما فيه.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ففيه أيضاً مباحث.

الأول: قوله فَتَابَ عَلَيْكُمْ فعلى قول من يقول بالنسخ لابدّ فيه من إضمار تقديره، تبتم فتاب الله عليكم و أمّا على قول القائلين بعدمه معناه فرجع عليكم بالإذن.

الثاني: قوله وَعَفَا عَنْكُمْ فعلى القول بالنسخ تقديره عفا عن ذنوبكم، و على القول بعدمه معناه وسع عليكم بإباحة الأكل و الشّرب والمباشرة في كلّ اللّيل قالوا أنّ لفظ العفو قد يشتمل في التوسعة والتّخفيف قال عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل و الرّقيق، و قال عليه السلام أوّل الوقت رضوان الله و آخره عفو الله والمراد منه التّخفيف بتأخير الصّلاة الى آخر الوقت و يقال أتاني المال عفواً أي سهلاً.

الثالث: قوله فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ فعلى القول بالنسخ فالأمر بالمباشرة للإباحة لأنّهم قالوا أنّ الأمر الوارد عقيب الحضر ليس إلّا للإباحة وهو ظاهر و

أَمَّا عَلَى الْقَوْمِ بَعْدَ النَّسْخِ فَالْأَمْرُ لَيْسَ عَقِيبَ الْحُظَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ قَالَ أَنَّ الْأَمْرَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْقِرَائِنِ أَوْ صِغَةِ الْأَمْرِ بِمَا هِيَ هِيَ لَا يَفِيدُ إِلَّا الْإِبَاحَةَ وَالْأُذْنَ فَالْوَجُوبُ وَالنَّدْبُ يَحْتَاجَانِ إِلَى الدَّلِيلِ فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ مَطْلُقَ الْأَمْرِ لِلْوَجُوبِ فَلَا يَدُّ لَهُ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْإِبَاحَةِ ضَمَّ الْجَمَاعَ إِلَيْهِ ثُمَّ أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ فِيهَا قَوْلَانِ.

أحدهما: ما ذهب إليه الجمهور من أنها الجماع فقط قالوا سُمِّيَ بهذا الاسم لتلاصق البشريين وإنضمامهما.

ومنه ما روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَاشِرَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ وَثَانِيهَا، وَهُوَ قَوْلُ الْأَصَمِّ أَنَّهَا الْجَمَاعُ فَمَا دُونَهُ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ مَا سَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ الرَّابِعُ قَوْلُهُ: وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَفِيهِ مَسَائِلٌ.

الأولى: قالوا وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْوَلَدِ بِالْمُبَاشَرَةِ أَوْ لَا تَبَاشِرُوهُنَّ لِقِضَاءِ الشَّهْوَةِ وَحَدَّاهَا وَلَكِنْ بَاشِرُوهُنَّ لِقِضَاءِ الْإِبْتِغَاءِ وَضَعَ اللَّهُ لَهُ النِّكَاحَ مِنَ التَّنَاسُلِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَاسَلُوا تَنَاسَلُوا تَكَثَّرُوا.

الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْعَزْلِ لَمَّا رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَعْزَلَ عَنِ الْحَرَّةِ إِلَّا بِإِذْنِهَا.

ثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى ابْتَغُوا الْمَحَلَّ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَحَلَّهُ دُونَ مَا لَمْ يَكْتُبْ لَكُمْ مِنَ الْمَحَلِّ الْمَحْرَمِ نَظِيرَ قَوْلِهِ فَأَتَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ.

رَابِعُهَا: أَنَّ هَذَا التَّأَكِيدَ تَقْدِيرُهُ قَالَ لَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَيْكُمْ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةُ كَثِيرَةٌ جَدًّا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمِيتِفَادَ مِنَ الْآيَةِ إِبَاحَةَ الْمُبَاشَرَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَأَمَّا مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَإِذْ لَيْسَ فَلَيْسَ.

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ

فمعناه أن الأكل والشرب مباح لكم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض وهو الفجر الثاني المعترض في الأفق كالخيط الممدود، من الخيط الأسود، وهو ما يمثل معه من ظلمة آخر الليل شبههما بخيطين أبيض وأسود قالوا وليس ذلك من باب الإستعارة لأن من شروطها أن يجعل المستعار منه تسيماً منسياً أقول ليس الأمر على ما ذكروه من عدم الإستعارة بل هذه إستعارة عجيبة كما أعترف به مَهْرَة الْفَرْقِ قال السيد الرضوي رحمته الله في كتاب مُجَازَاتِ الْقُرْآن ما لفظه والمراد بها على أحد التأويلات، حتى يتبين بياض الصُّبْح من سواد الليل والخيطان ههنا مُجَاز وإِنَّمَا شَبَّهَا بِذَلِكَ لِأَنَّ خَيْطَ الصُّبْحِ يَكُونُ فِي أَوَّلِ طُلُوعِهِ مُسْتَدَقاً خَافِئاً وَيَكُونُ سَوَادُ اللَّيْلِ فَاقِضاً مُلِئاً فَهُمَا جَمِيعاً ضَعِيفَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَزِدُّهُ إِنتِشَاراً وَهَذَا يَزِدُّهُ إِسْتِمْرَاراً إِنَّتَهَى.

رُوي بعض المفسرين عن سهل الساعدي أنها نزلت ولم يكن فيها من الفجر وكان رجال إذا صاموا يَشْدُونَ فِي أَرْجُلِهِمْ خُيُوطاً بَيْضاً وَسُوداً فَلَمْ يَزَالُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُمْ ثُمَّ نَزَلَ الْبَيَانُ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفَجْرِ، إِنَّتَهَى. أَقُولُ لَا دَلِيلَ عَلَى صَحَّةِ هَذَا التَّحْقُلِ وَالَّذِي نَعُولُ عَلَيْهِ فِي الْبَابِ.

ما رُوي في التَّهْذِيبِ وَالْكَافِي عَنِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ فَقَالَ عليه السلام بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ قَالَ عليه السلام وَكَانَ بِلَالٌ يُؤَدِّنُ لِلنَّبِيِّ وَإِنْ مَكْتُومٌ وَكَانَ أَعْمَى يُؤَدِّنُ بِاللَّيْلِ حِينَ يَطْلُعُ الْفَجْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَ بِلَالٍ فَدَعُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ إِنَّتَهَى.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَقُلْتُ مَتَى يُحْرَمُ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ وَتَحُلُ الصَّلَاةُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَقَالَ لِي إِذَا

إِعْتَرَضَ الْفَجْرَ وَكَانَ كَالْقَبْطِيَّةِ فَتَمَّ يَحْرِمُ الطَّعَامَ وَتَحُلُّ الصَّلَاةُ
صَلَاةُ الْفَجْرِ إِنْتَهَى.

ثُمَّ أَتَوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ
فِيهِهِ مَسْئَلَتَانِ.

الأولى: قوله ثُمَّ أَتَوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ.

الثانية: قوله وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ.

أَمَّا مَسْئَلَةُ الْأُولَى: فَحَاصِلُهَا أَمْرُهُ تَعَالَى بِإِتِمَامِ الصِّيَامِ إِلَى اللَّيْلِ وَهَذَا الْأَمْرُ لَا كَلَامَ فِيهِ فَقَوْلُهُ إِلَى اللَّيْلِ هُوَ غَايَةُ الصِّيَامِ فِي الْيَوْمِ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ مِنَ الْفَجْرِ هُوَ ابْتِدَاءُ الصَّوْمِ فَكَأَنَّهُ قَالَ صُومُوا مِنَ الْفَجْرِ إِلَى اللَّيْلِ أَمَّا عَنِّي بِهِ الْإِبْتِدَاءُ فَهُوَ مَعْلُومٌ وَأَمَّا اللَّيْلِ فَأَنَّهُ يَصْدُقُ عَلَى تَمَامِ اللَّيْلِ وَحَيْثُ لَمْ يَتَّبِعْ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ مِنْهُ صَرِيحاً فَلِذَلِكَ اِخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ الْمُرَادِ مِنْهُ أَعْنِي بِهِ لَحْظَةَ الْإِفْطَارِ بَعْدَ إِتِفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ، إِلَى، لِإِنْتِهَاءِ الْغَايَةِ وَأَنَّ الصَّوْمَ يَنْتَهِي عِنْدَ دُخُولِ اللَّيْلِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى اِتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ الْإِفْطَارِ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي تَعْيِينِ الْمَصْدَاقِ فَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ جَاءَ اللَّيْلُ وَلَمْ يَشْرُطُوا فِيهِ ذَهَابَ الْحُمْرَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَأَمَّا عِنْدَنَا فَيَشْرُطُ سَقُوطَ الْحُمْرَةِ مِنْ جَانِبِ الْمَشْرِقِ وَإِقْبَالَ السَّوَادِ مِنْهُ فَعَلَى قَوْلِ الْعَامَّةِ مَجْرَدُ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَكْفِي فِي صِدْقِ دُخُولِ اللَّيْلِ فَيَجُوزُ الْإِفْطَارُ وَأَمَّا عَلَى الْمُخْتَارِ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَا يَكْفِي بَلْ يَشْرُطُ سَقُوطَ الْحُمْرَةِ عَنِ الْمَشْرِقِ.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِيهِ مَارُويٌّ عُمَرُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّوْمَ يَنْتَهِي فِي هَذَا الْوَقْتُ أَنْتَهَى
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَسْطَرِ الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ اِخْتَلَفُوا فِي أَنَّ اللَّيْلَ مَا هُوَ فَمِنْ

النَّاسِ مِنْ قَالَ أَمَّا النَّهَارُ عَلَى أَوَّلِهِ فَاِعتَبَرُوا فِي حُصُولِ اللَّيْلِ زَوَالِ
أَثَارِ الشَّمْسِ كَمَا حَصَلَ إِبْتِغَارُ زَوَالِ اللَّيْلِ عِنْدَ ظُهُورِ أَثَارِ الشَّمْسِ
ثُمَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ إِكْتَفَى بِزَوَالِ الْحُمْرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ إِبْتِغَارَ ظُهُورِ
الظَّلَامِ التَّامِ وَظُهُورِ الْكَوَاكِبِ إِلَّا أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ عُمَرُ يُبْطَلُ
ذَلِكَ وَعَلَيْهِ عَمَلُ الْفُقَهَاءِ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ
فَأَنَّهُ تَعَالَى حَدَّ الصَّوْمِ بِأَنَّهُ آخِرُ وَقْتِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ كَمَا حَدَّ الْإِفْطَارِ
وَإِبَاحَةُ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَأَوَّلُ الصَّوْمِ بِمَجِيئِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَ
أَوَّلِ إِدْبَارِ آخِرِ اللَّيْلِ فَذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا صَوْمَ بِاللَّيْلِ كَمَا لَا فِطْرَ
بِالنَّهَارِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ وَعَلَى أَنَّهُ الْمَوَاصِلُ مُجَوِّعٌ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ
طَاعَةِ رَبِّهِ.

ثُمَّ رَوَى مَا رَوَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ عُمَرَ وَقَدْ نَقَلْنَاهُ وَرَوَى حَدِيثًا آخَرَ
بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي
مَسِيرٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ لِي
قَالُوا لَوْ أَمْسَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ فَقَالَ الرَّجُلُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ قَالَ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ لِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ عَلَيْنَا
نَهَارًا فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةُ فَنَزَلَ فَجْدَحَ لَهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ
مِنْ هَاهُنَا وَضَرَبَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ أَنْتَهَى.

وَرَوَى أَيْضًا بِأَسْنَادِهِ عَنْ رَفِيعٍ قَالَ قَرَضَ اللَّهُ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ فَإِذَا
جَاءَ اللَّيْلُ فَأَنْتَ مُفْطَرٌ إِنْ شِئْتَ فَكُلْ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَأْكُلْ أَنْتَهَى.

أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرُوهُ فِي الْبَابِ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي كَوْنِ
اللَّيْلِ غَايَةَ لِلصَّوْمِ وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ فَقَدْ نَمَّ الْيَوْمُ وَالصَّوْمُ وَهُوَ مِمَّا لَا خِلَافَ
فِيهِ أَمَّا الْخِلَافُ فِي صَدَقِ اللَّيْلِ فَانْتَهَى يَقُولُونَ بِغُرُوبِ الْقُرْصِ عُرْفًا وَأَنَّ كَانَتْ
الْحُمْرَةُ الْمَشْرِقِيَّةُ بَاقِيَةً وَنَحْنُ نَقُولُ بِذَهَابِهَا مِنْ جَانِبِ الْمَشْرِقِ وَإِقْبَالِ السَّوَادِ

منه وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الأفاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل ولا شك أن الحق ما نقول به لوجوه:

أما أولاً: فلما رواه الشيخ عن أبي عبد الله قال عليه السلام: وقت سقوط القرص ووقت الإفطار من الصيام أن تقوم بحذاء القبلة وتتفقد الحمرة التي ترتفع من المشرق فإذا جازت قمة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الإفطار وسقط القرص انتهى.

ثانياً: أن الأصل أيضاً يقتضيه لأن مجيء الليل بإستتار القرص مشكوك فيه وعند سقوطه متيقن والأخذ بالمتيقن وترك المشكوك هو الموافق للأصول المقررة.

ثالثاً: هو الموافق للإحتياط لقوله ﷺ أخوك دينك فأحتط لدينك والحاصل أن اليقين بوجود النهار لا يزول بالإستتار ولكن يزول بسقوط القرص.

المسألة الثانية: قوله ولا تبأشروهن وأنتم عاكفون في المساجد دلت الآية على مشروعية الإعتكاف كما دل عليه قوله تعالى: طهراً بيئتي للطائفتين والعاكفين ويدل عليه أيضاً مضافاً إلى الإجماع والسنة المستفيضة من أنه ﷺ إعتكف وأمر به وأحكام الإعتكاف مسطورة في الكتب الفقهية ولنشر إلى بعضها على ما تضمنته الآية فنقول:

الإعتكاف لغة هو الإقامة والإحتباس في المكان ونقل في الشرع إلى كون مخصوص في مكان مخصوص مشروط بالصوم إبتداءً فقله تعالى لا تبأشروهن، قيل المراد بالمباشرة هنا يشمل اللمس والتقبيل والجماع قال في المدارك قطع الأصحاب بتحريم كل من الثلاثة عملاً بإطلاق الآية إلا أنهم قيدوا الأولين بالشهوة واختلفوا في أنه هل يفسد بها الإعتكاف أم لا على قولين إختار الثاني في المختلف ثم قال بعض المحققين بعد نقله عن المدارك ما نقلناه من الاختلاف.

أقول لم أظفر في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ما يدل على التعميم بل فيها ما يدل على خلاف ذلك.

ففي حسنة الحلبي عن أبي عبد الله قال كان رسول الله إذا كان عشر الأواخر إعتكف في المسجد وضربت له قبة من شعر وشمر المئزر وطوى فراشه فقال بعضهم وإعتزل النساء فقال أبو عبد الله أمّا إعتزال النساء فلا انتهى.

قال فإن الظاهر أن تشمير المئزر كناية عن التوجه إلى العبادة وطوي الفراش كناية عن الجماع خاصة

وقال الشيخ في التهذيب بعد نقله لهذا الخبر ونقله للأخبار الدالة على لزوم الكفارة بالجماع في رفع التنافي بينها، المراد بقوله علا أمّا إعتزال النساء فلا، مُحالطَتُهُنَّ ومُجالَسَتُهُنَّ ومُحاذَئَتُهُنَّ دون الجماع والذي يحرم على المعتكف من ذلك الجماع دون غيره فهذا تصريح منه بتخصيص التحريم بالجماع وهذا هو الظاهر من ابن بابويه في الفقيه وهو المتبادر من إطلاق مباشرة النساء مع إصالة الإباحة وظاهر إطلاق الآية يدل على شمول التحريم في الليل والنهار وهو المفتى به ويدل عليه أخبار كثيرة حتى أنه لو جامع بالنهار فعليه كفارتان وبالليل كفارة واحدة.

الثاني: أن الآية مشعرة بأن الإعتكاف في المساجد وعليه أجمع العلماء كافة وأنما اختلفوا في تعيينه قال الشيخ رحمته في تفسير الآية.

فالإعتكاف عندنا هو اللَّبَث في أحد المساجد الأربعة، المسجد الحرام، أو مسجد النبي صلّى الله عليه وآله، أو مسجد الكوفة، أو مسجد البصرة للعبادة من غير اشتغال بما يجوز من أمور الدنيا وله شرائط ذكرناها في كتب الفقه وأصله اللزوم.

قال الطرماح:

نبات نبات اللّيل حَولي عُكُفًا عكوف البواكي بينهم صرُح

وقال الفرزدق:

ترى حَوْلَهُنَّ الْمُقِنِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صِنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكُفٌ
قال بعض الفقهاء يَصَحُّ أيضاً في مسجد المدائن، وضابطه عند هؤلاء أن
يكون مسجداً صَلَّى فِيهِ نَبِيٌّ أَوْ وَصِي نَبِيٍّ صلاة جماعة أو جُمُعة على
إختلاف بينهم وتظهر الفائدة في مسجد المدائن فالمنقول أَنَّ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
صَلَّى فِيهِ جَمَاعَةٌ لَا جُمُعة، وقيل المراد المسجد الجامع وهذا هو الأقوى
لدلالة أكثر الروايات عليه فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَا يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ إِلَّا فِي
مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْمُعْتَكِفَ يَعْتَكِفُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ.
وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ عَلِيّاً كَانَ يَقُولُ لَا أَرَى الْإِعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَوْ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ أَوْ فِي مَسْجِدِ جَامِعٍ.
وَعَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَقُولُ فِي الْإِعْتِكَافِ
بِبَغْدَادِ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا إِعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدِ
جَمَاعَةٍ قَدْ صَلَّى فِيهِ إِمَامٌ عَدَلَ صَلَاةَ جَمَاعَةٍ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَذْهَبِنَا وَ
أَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْعَامَّةِ فَقَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَالتَّشَافَعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَ
أَصْحَابُهُمَا بِجَوَازِ الْإِعْتِكَافِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَحُجَّتُهُمْ حَمْلُ الْآيَةِ
عَلَى عُمُومِهَا فِي كُلِّ مَسْجِدٍ لَهُ إِمَامٌ وَمُؤَدِّنٌ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ فِي أَحَدِ
قَوْلَيْهِ وَغَيْرِهِمْ وَرَوَى الدَّارِ قُطْنِي عَنْ الضَّحَّاكِ عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كُلُّ مَسْجِدٍ لَهُ مُؤَدِّنٌ وَإِمَامٌ
فَالْإِعْتِكَافُ فِيهِ يَصْلَحُ، ثُمَّ قَالَ الدَّارِ قُطْنِي، وَالضَّحَّاكُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ
حَذِيفَةَ، وَذَهَبَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ خَرَجَتْ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ
وَهُوَ مَا بَنَاهُ نَبِيٌّ كَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ وَمَسْجِدِ إِبْلِيسَ
(إِسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ) فَلَا يَجُوزُ الْإِعْتِكَافُ عَنْدهُمْ فِي غَيْرِهَا وَ
قَالَ آخَرُونَ لَا إِعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تَجْمَعُ فِيهِ الْجَمْعَةُ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ

في الآية عندهم الى ذلك الجنس من المساجد رُوي هذا عن علي ابن ابي طالب و ابن مسعود وهو قول عروة والحكم و حنّاد و الزّهري و أبي جعفر محمّد ابن عليّ و هو أحد قولي مالك، نقل ذلك كلّهُ القُرطبي في تفسيره أقول قد علمه من هذا أنّ العامّة أيضاً اختلفوا في المسجد والمشهور عندهم هو مطلق المَسجد أو مسجد تُجمع فيه الجمعة.

الثالث: أنّ في الآية دلالة على بطلان الإعتكاف اذا حَصَلَت المُباشرة المذكورة في الآية وذلك لأنّ النّهْي في العبادة مُبطل لها ولأنّ المُباشرة مُبطلة للصّوم الذي هو شرط الإعتكاف وبطلان الشّروط يستلزم بطلان المَشروط هكذا قيل وفيه نظر وتحقيقه في الفقه.

الزّابع: حدّ الإعتكاف عندنا ثلاثة أيّام بلياليها ولا يكون أقلّ منها، وإختلف العامّة فيه فقال مالك لا يجوز أقلّ من عشرة أيّام وقال أبو حنيفة حدّه يوم ولا تحديد عند الشّافعي فيجوز عنده ولو ساعة.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فقولهُ: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ إشارة الى جميع ما ذُكر من الأحكام وهو من قبيل التأكيد والتعبير بالقرب مبالغة في ذلك كما يظهر من قوله ^{عائلاً} من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه أعاننا الله على ذلك وأشار في آخر الآية بقوله: لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ للإشعار بأنّ ما بيّن لهم من الأدلة على ما أمرهم به ونهاهم عنه لكي يتّقوا معاصيه ويراعوا حدوده هي حدوده التي أمرهم الله بها ونهاهم عنها وفي ذلك كلّهُ دلالة واضحة على أنّ الله تعالى أراد التقوى من جميع الناس الذين بيّن لهم هذه الحدود وجعلنا الله من الممتّعين بمحمّد وآله.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا
إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

◀ اللغة

وتُدْلُوا: بضم التاء مضارع أدلى يقال أدلى أدلى دَلَّوه أي أرسلها ليملاها ثم
أُسْتَعِيرَ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الشَّيْءِ، قال الشاعر:
وليس الرزق عن طَلَبِ حَثِيثٍ ولكن أَلَقِ دَلَّوكِ فِي الدَّلَاءِ
والتَّدْلَى: الدُّنُو وَالِإِسْتِرْسَالُ قَالَ تَعَالَى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى^(١) أَي تَعَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ
عَلَى جَبْرِئِيلَ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ مِثْلُ فِي الْقُرْبِ أَي قَرُبَ بِهِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

◀ الإعراب

يَبْنِيكُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا، لِتَأْكُلُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ الْأَمْوَالِ أَيْ
كَائِنَ بَيْنَكُمْ أَوْ دَائِرَةَ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ بِتَأْكُلُوا أَيْ لَا تَأْخُذُوهَا
بِالسَّبَبِ الْبَاطِلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ الْأَمْوَالِ أَيْضًا وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ
الْفَاعِلِ فِي تَأْكُلُوا أَيْ مُبْطِلِينَ تَدْلُوا مَجْزُومٌ عَطْفًا عَلَى تَأْكُلُوا وَاللَّامُ فِي لِتَأْكُلُوا،
مُتَعَلِّقَةٌ بِتَدْلُوا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَدْلُوا مَنْصُوبًا بِمَعْنَى الْجَمْعِ أَيْ لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ
أَنْ تَأْكُلُوا وَتَدْلُوا بِالْإِثْمِ مِثْلُ بِالْبَاطِلِ.

بَابُ
الْفَتْحِ
وَيُفَسِّرُ
الْقُرْآنَ

جزء ٢

◀ التفسير

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَكْلِ الْمَالِ
بِالْبَاطِلِ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

الْعَدْلُ
الْقَائِلُ

أحدهما: أن يكون ذلك على جهة الظلم نحو الخيانة والسُّرقة والغصب و عليه بالتقدير، لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ومثله قوله تعالى: **وَلَا تَمْزُوا أُنْفُسَكُمْ** معناه لا يلمز بعضكم بعضاً وقوله: **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** أي لا يقتل بعضكم بعضاً.

ثانيهما: لا تأكلوه على وجه الهزء واللَّعب مثل ما يُوجد في القمار والملاهي ونحوها لأنَّ كلَّ ذلك من أكل المال بالباطل قاله الشيخ في التبيان ثم قال أبو جعفر في معنى الآية يعني باليمين الكاذبة يَقْتَطَعُونَ بها الأموال.

وقال أبو عبد الله عليه السلام عَمَّ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حُكَّامٌ يَحْكُمُونَ بِخِلَافِ الْحَقِّ فَتَهْجَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ انْتَهَى قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَشْوَعِ الْحَضْرَمِيِّ إِذْ عَمِيَ مَالاً عَلَى إِمْرَأَةِ الْقَيْسِ الْكِنْدِيِّ وَاخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَكَرَّ إِمْرَأَةُ الْقَيْسِ وَأَزَادَ أَنْ يَحْلِفَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فَكَفَّ عَنْ اليمينِ وَحَكَّمَ عَبْدَانِ فِي أَرْضِهِ وَلَمْ يُخَاصِمِهِ نَقْلُهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.

وقال بعضُ أنَّها في الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنَةٌ فَيَجْحَدُ الْمَالَ وَيُخَاصِمُ إِلَى الْحُكَّامِ وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ آكِلٌ لِلْحَرَامِ نَقْلُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعُكْرَمَةَ وَأَمْثَالِهِمْ.

أقول الحقُّ أَنَّ الْخِطَابَ بِهَذِهِ آيَةِ مُتَوَجِّهٍ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَخُصُوصِيَّةِ الْمُرُودِ عَلَى فَرْضِ ثبُوتِهَا لَا تُتَنَافَى عُمُومُ الْمَرَادِ فَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِمَارِ وَالْخِدَاعِ وَالْغُصُوبِ وَجَحْدِ الْحَقُوقِ وَمَا لَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسٌ مَالِكِهِ أَوْ حَرَمَتِهِ الشَّرِيعَةُ طَابَتْ بِهِ نَفْسٌ مَالِكِهِ كَمَهْرِ الْبَغْيِ وَخُلُوانِ الْكَاهِنِ وَأَثْمَانِ الْخُمُورِ وَالْخَنَازِيرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَبِالْجُمْلَةِ كُلَّمَا صَدَّقَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي آيَةِ وَمَعْنَى الْبَاطِلِ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ الذَّاهِبُ الزَّائِلُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **جَاءَ الْحَقُّ وَ**

زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١) فَمَنْ أَخَذَ مَالَ غَيْرِهِ لَا عَلَى وَجْهِ أَذْنِ الشَّرْعِ فَقَدْ أَكَلَهُ بِالْبَاطِلِ وَلَا يَنَافِي هَذَا.

ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ قَرِيشٌ يَقَامِرُ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَهَنَاهُمُ اللَّهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ مُصَادِيقِ الْبَاطِلِ أَوْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهَا وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ حَمْلَهَا عَلَى الْجَمِيعِ أَوْلَى.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْوَدَائِعُ وَمَا لَا يَقُومُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ وَقِيلَ أَنَّهُ مَالُ الْيَتِيمِ فِي يَدِ الْأَوْصِيَاءِ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَهُ إِلَى الْحُكَّامِ إِذَا طُوبُوا بِهِ لِيَقْطَعُوا بَعْضَهُ وَتَقُومَ لَهُمْ فِي الظَّاهِرِ حِجَّةٌ.

ثَالِثُهَا: مَا يُؤْخَذُ بِشَهَادَةِ الزُّورِ وَالْأُولَى أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْجَمِيعِ أَيْضًا.

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيَّ لِتَأْكُلُوا طَائِفَةً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْفِعْلِ الْمَوْجِبِ لِلْإِثْمِ بِأَنْ يَحْكُمَ الْحَاكِمُ بِالظَّاهِرِ وَكَانَ الْأَمْرُ فِي الْبَاطِنِ بِخِلَافِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَنَّ ذَلِكَ الْفَرِيقَ مِنَ الْمَالِ لَيْسَ بِحَقٍّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مُبْطِلُونَ هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَاهَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ مَا نَقَلْنَاهُ وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَبَيْنَ الْإِدْلَاءِ إِلَى الْحُكَّامِ بِالْحُجَجِ الْبَاطِلَةِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٢) وَهُوَ مِنْ قِبَلِ قَوْلِكَ لَا تَأْكُلِ السَّمَكِ وَتَشْرَبِ اللَّبَنَ ثُمَّ قَالَ، وَقِيلَ الْمَعْنَى لَا تُصَالِحُوا بِأَمْوَالِكُمُ الْحُكَّامَ وَتَرْشُوهُمْ لِيَقْضُوا لَكُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَهَذَا الْقَوْلُ يَتَرَجَّحُ لِأَنَّ الْحُكَّامَ مَطْطَنَتُهُ الرِّشَاءُ إِلَّا مِنْ عَصَمٍ وَهُوَ الْأَقْلُ انْتَهَى.

بِ
الْقُرْطُبِيِّ
فِي
تَفْسِيرِهِ
لِالْآيَةِ

جزء ٢

بِ
الْقُرْطُبِيِّ
فِي
تَفْسِيرِهِ
لِالْآيَةِ

قال القرطبي في آخر البحث قلت فالحُكَّام اليوم عَيْن الرِّشَا لا مَظَنَّة وَلِنَعَمْ ما قال:

ولنُشر الى بعض ماورد فيه من الأخبار:

منها ما رواه محمد بن يحيى بأسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله قول الله عزَّ وجلَّ: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا بصير أِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ حُكَّاماً يجورون أَنَا أَنَّهُ لم يعن حُكَّام أهل العدل و لكنَّهُ عني حُكَّام أهل الجور انتهى.

و منها ما رواه العياشي في تفسيره عن الحسن بن علي قال قرأت في كتاب أبي الأسد الى أبي الحسن الثاني وجوابه بخطه سأل ما تفسير قوله تعالى وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ قال فكتب اليه الحُكَّام القضاة قال ثمَّ كُتِبَ تحته هو من يعلم الرَّجل أَنَّهُ ظالم عاص هو غير معذورٍ في أَخْذِهِ ذلك الَّذي حَكِمَ له به اذا كان قد عَلِمَ أَنَّهُ ظالم انتهى. و منها ما رواه في الفقيه عن سماعة بن مهران قال قلت لأبي عبد الله الرَّجل مَنَّا يكون عنده الشَّيْ يبلِّغ به وعليه الدِّين أَيطمعه عياله حتَّى يأمنه الله عزَّ وجلَّ بميسرة فيقضي دينه أو يستعرض على ظهره في خبث الزَّمان وشدة المكاسبة أو يقبل الصدقة فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ يقضي بما عنده وفيه ولا تأكل أموال النَّاسِ إلَّا و عنده ما يؤدِّي اليهم أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقول: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ انتهى.

و منها ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره لهذه الآية، قال العالم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يكون حُكَّاماً يحكمون بغير الحقِّ فنَهَى أَن يُحاكم اليهم لأَنَّهُم لا يحكمون بالحقِّ.

فَتَبَطَّلَ الْأَمْوَالِ.

تنبيه:

قال في لسان العرب في مادة دَلَا، الدَّلُو معرفة واحدة الدَّلَاء الَّتِي يُسْتَسْقَى بِهَا تَذَكُر وَتَوْتٌ ثُمَّ سَاقَ الْكَلَامَ وَأَطَالَ حَتَّى قَالَ، وَأَدْلَى قَالَ فُلَانٌ إِلَى الْحَاكِمِ إِذَا دَفَعَهُ إِلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **تُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**؛ يَعْنِي الرِّشْوَةَ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ مَعْنَى، تَدَلُّوا فِي الْأَصْلِ مِنْ أَدَلَيْتِ الدَّلُو إِذَا أُرْسَلَتْهَا لَتَمْلَأَهَا قَالَ وَمَعْنَى أَدْلَى فُلَانٌ بِحُجَّتِهِ أَيْ أُرْسَلَهَا وَأَتَى بِهَا عَلَى صَحَّةٍ ثُمَّ قَالَ فَمَعْنَى قَوْلِهِ **وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** أَيْ تَعْمَلُونَ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْأَدْلَاءُ بِالْحُجَّةِ وَتُخَوِّنُونَ فِي الْأَمَانَةِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ كَأَنَّهُ قَالَ تَعْمَلُونَ عَلَى مَا يُوجِبُهُ ظَاهِرُ الْحُكْمِ وَتَتْرَكُونَ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَنْتَهَى مَا أَرَدْنَا ذَكَرَهُ.

أقول يستفاد من كلام أهل اللغة أنَّ الباطل مأخوذ في مفهوم الأدْلَاء وذلك لأنَّ دفع المال أو أَيْ شَيْءٍ إِلَى الْغَيْرِ أَنْ كَانَ بِحَقٍّ يَعْبَرُونَ عَنْهُ بِالْدَّفْعِ وَالْإِلْقَاءِ وَأَنْ كَانَ بِغَيْرِ حَقٍّ يُعْبَرُونَ عَنْهُ بِالْأَدْلَاءِ فَيُقَالُ دَفَعْتُ مَالَهُ إِلَيْهِ أَوْ دَفَعْتُ حَقَّهُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الْمَالُ أَوْ الْحَقُّ لَهُ كَمَا إِذَا كَانَ الْمَالُ أَمَانَةً عِنْدَهُ أَوْ دَيْنًا عَلَيْهِ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ الْمَالُ أَوْ الْحَقُّ لَهُ يَقَالُ أَدَلَيْتُ إِلَيْهِ كَمَا إِذَا دَفَعْتُ الْمَالَ إِلَى الْحَاكِمِ عَلَى سَبِيلِ الرِّشْوَةِ يَقُولُ أَدَلَيْتُ الْمَالَ إِلَيْهِ وَلَا يَقَالُ دَفَعْتُ الْمَالَ إِلَيْهِ وَحَيْثُ أَنْ دَفَعْتُ الْمَالَ إِلَى الْحُكَّامِ بَاطِلٌ فَاسِدٌ قَالَ تَعَالَى: **وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** إِذَا عَرَفَتْ هَذَا فَنَقُولُ لِأَجْلِ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْخُطْبَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالشَّقْشَقِيَّةِ - حَتَّى مَضَى الْأَوَّلَ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ أَوْ إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ، وَالْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ أَبُو بَكْرٍ وَقَوْلُهُ، فُلَانٍ، عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَوْلُهُ فَأَدْلَى بِهَا، الْخِلَافَةُ وَالْحُكُومَةُ إِلَيْهِ وَلَمْ يَقُلْ عليه السلام دَفَعَهَا إِلَى فُلَانٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ لَمْ تَكُنْ حَقًّا أَبِي بَكْرٍ وَلَا عَمْرٍ وَاتِّمَّاهُ حَقُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَلَمَّا تَصَدَّى أَبُو بَكْرٍ لَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُ فِيهَا ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى عَمْرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وهو أيضاً بغير حقٍّ قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فأدلى بها ولم يقل دفعها مشعراً بأنَّ أبا بكر دفع حقَّ الغير الى الغير ظلماً فصار بذلك مصداقاً كاملاً لهذه الآية.
وكان عالماً بذلك فصار مصداقاً لقوله: **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** وأما قلنا كان عالماً به لقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في أول الخطبة:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ الرَّخِي، الخ.

فقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ** دليلٌ على المدعى.

أَنْ قُلْتُ أَنَّ الآية تدل على التَّهْيِي عن أكل الأموال بالباطل وما ذكرته من كلامه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حقٌّ وليس بمالٍ قلت أمّا أولاً فقد ثَبِتَ في موضعه أَنَّ الحقَّ من الأموال في الحقيقة لأنَّ المراد بالمال ما يصلح للملكية سواء كان من الدرهم والدينار أم من الحقوق فَأَنَّ الإنسان مالكٌ لِحَقِّهِ كما أَنَّه مالكٌ لدرهمه وديناره. ثانياً: أَنَّ الحقَّ سبَّبَ له فتضييعه تضييعه ألا ترى أَنَّ تضييع حقَّ المسلمين في المقام صار سبباً لتضييع أموالهم الى آخر الدنيا و سيأتي الكلام في هذا الموضوع في محله إن شاء الله تعالى.



يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَ
قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

◀ اللغة

الْأَهْلَةُ: الأهلة بكسر الهاء جمع الهلال و هو القَمَر في أول ليلةٍ والثانية
ثم يقال له القمر ولا يقال له هلال وأنما قيل له هلال لأنَّ النَّاسَ يرفعون
أصواتهم بالأخبار عنه و منه إستهل ظ الصبي إذا ظهرت حياته بصراخه و
أستهل ظ وجهه فرحاً و يقال تهلل إذا ظهر فيه السرور.

مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ: مواقيت بفتح الميم جمع ميقات كمصاييح جمع مصباح
والميقات الوقت المضروب للشئ والوعد الذي جعل له وقت و قد يُقال
الميقات للمكان الذي يجعل وقتاً للشئ كميقات الحج وهو المراد في المقام.
الْحَجُّ: هو في الأصل القصد وفي الإصطلاح عند المتشرعة قصد البيت
للتقرب إلى الله بأفعال مخصوصة في أماكن مخصوصة في زمانٍ مخصوص و
هو بفتح الحاء المصدر وبالكسر الاسم.

وَلَا تَعْتَدُوا: الإعتداء التجاوز من الحد.

بَيِّنَاتُ
الْفَرَاقِ
فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

◀ الإعراب

وَالْحَجِّ معطوف على النَّاسِ البرُّ اسم ليس بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ خبرها و
بذلك لزم دخول الباء فيه.

﴿التفسير﴾

اختلفوا في شأن نزول الآية فقليل أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أن اليهود يكثرون مسئلتنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله ﷺ لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله الآية قال الطبرسي في المجمع وقال القرطبي بعد نقله ما نقلناه، وقيل أن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال وما سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس قاله ابن عباس و قتادة وغيرهما فقال الله تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ لَمَّا كَانَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِ الْأَهْلَةِ أَيَّ عَنْ زِيَادَتِهَا وَنَقْصَانِهَا وَوَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهَا، فَأُجِيبَ فِي الْآيَةِ بِأَنَّ مَقَادِيرَهَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي صَوْمِهِمْ وَفَطْرِهِمْ وَعَدَدِ نِسَائِهِمْ وَمَحَلِّ ذُنُوبِهِمْ وَحُجَّتِهِمْ وَحَسَابِهِمْ وَكِتَابِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَفِيهَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَثْبُتُ بِالْعَدِّ وَأَنَّهُ يَثْبُتُ بِالْهَلَالِ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَوْ كَانَ مُرَاعَى لَمَّا أُحِيلَ فِي مَوَاقِيتِ النَّاسِ فِي الْحَجِّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ أُحِيلَ عَلَى الْعَدَدِ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِيهِ تَبْيِينٌ لَوْجْهِ الْحِكْمَةِ فِي زِيَادَةِ الْقَمَرِ وَنَقْصَانِهِ وَهُوَ زَوَالُ الْإِشْكَالِ فِي الْأَجَالِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْإِيمَانِ وَالْحَجِّ وَالْعَدَدِ وَالصَّوْمِ وَالْفَطْرِ وَمَدَّةِ الْحَمْلِ وَالْإِجَارَاتِ وَالْأَكْرِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادَةِ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً لِلنَّاسِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ** (١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ** (٢)

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ إِحْصَاءَ الْأَهْلَةِ أَيْسَرُ مِنْ إِحْصَاءِ الْأَيَّامِ وَأَمَّا قَوْلُهُ:

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا فَقَالُوا إِنَّصِلْ هَذَا بِذِكْرِ مَوَاقِيتِ الْحَجِّ لِاتِّفَاقِ وَقُوعِ الْقَضِيَّتَيْنِ فِي وَقْتِ السُّؤَالِ عَنِ الْأَهْلَةِ وَعَنْ دُخُولِ الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا وَكَيْفِيَّتِهِ عَلَى مَا نَقَلَهُ لِمُفَسِّرُونَ هُوَ أَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا إِذَا حَجَّوْا وَعَادُوا لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ فَأَتَتْهُمْ كَانُوا إِذَا أَهَلُّوا بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ يَلْتَزِمُونَ شَرْعاً أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَائِلٌ فَإِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّ مِنْ إِحْرَامِهِ مِنْ بَيْتِهِ فَرَجَعَ لِحَاجَةٍ لَا يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ مِنْ أَجْلِ سَقْفِ الْبَيْتِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ فَكَانَ يَتَنَسَّمُ ظَهَرَ بَيْتِهِ عَلَى الْجِدْرَانِ ثُمَّ يَقُومُ فِي حُجْرَتِهِ فَيَأْمُرُ بِحَاجَتِهِ فَتَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ وَكَانُوا يَرُونَ هَذَا مِنَ النَّسْكِ وَالْبَرَكَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهَا أَشْيَاءَ نَسَكاً فَرَّدَ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَبَيَّنَ الرَّبُّ تَعَالَى أَنَّ الْبِرَّ فِي إِمْتِثَالِ أَمْرِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رَوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِذَا أَحْرَمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالْحَجِّ فَأَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينِ يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتِ نَقَبَ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ فَمِنْهُ يَدْخُلُ وَمِنْهُ يَخْرُجُ أَوْ يَضَعُ سَلْماً فَيَصْعَدُ مِنْهُ وَيَنْحَدِرُ عَلَيْهِ وَأَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ يَعْنِي أَهْلَ الْخِيَامِ يَدْخُلُ مِنْ خَلْفِ الْخِيَامِ الْخِيْمَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْحِمْسِ. وَرَوَى الزَّهْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهَلَ زَمَانَ الْحَدِيثِ بِالْعُمْرَةِ فَدَخَلَ حُجْرَتَهُ وَدَخَلَ خَلْفَهُ رَجُلٌ أَنْصَارِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ فَدَخَلَ وَخَرَقَ عَادَةً قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ قَدْ أَحْرَمْتَ، فَقَالَ دَخَلْتُ أَنْتَ فَدَخَلْتُ بِدُخُولِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَتَيْتَ أَحْمَسَ أَيَّ مِنْ قَوْمٍ لَا يَدِينُونَ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَأَنَا دِينِي دِينَكَ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ قِيلَ وَهُوَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيُّ ثُمَّ أَنَّ الْحُمْسَ، عِبَارَةٌ عَنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةٍ وَخِزَاعَةٍ وَثَقِيفٍ وَخَثْعَمٍ وَبَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَبَنُو نَصْرٍ وَسَمَوْهَا حُمْساً لِتَشْدِيدِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَالْحِمَاسَةُ الشَّدَّةُ وَإِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا فَقِيلَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَقِيلَ أَنَّهُ النَّسْيُ

و تأخير الحجّ به حتّى كانوا يجعلون الشّهر الحلال حراماً بتأخير الحجّ اليه والشّهر الحرام حلالاً بتأخير الحجّ عنه فيكون ذكر البيوت على هذا ثقلاً لمخالفة الواجب في الحجّ وشهوره وسيأتي بيان النّسبي في سورة، براءة وقال أبو عبيدة الآية ضرب مثل، المعنى ليس البرّ أن تسألوا الجهال ولكن إتقوا الله وإسألوا العلماء فهذا كما تقول أتيت هذا الأمر من بابهِ وحكى المهدوي ومكي عن الأنباري والماوردي عن ابن زيد أنّ الآية مثل في جماع النّساء أمر باتيانهن في القبل لا من الدّبر وسمي النّساء بيوتاً للإيواء اليهن كالإيواء الى البيوت وقال الحسن كانوا يتطيرون فمن سافر ولم تحصل حاجته كان يأتي بيته من وراء ظهره تطيراً من الخيبة ف قيل لهم ليس في التطير برّ بل البرّ أن تتقوا الله و تتوكلوا عليه أقول هذه الأقوال نقلها القرطبي في تفسيره ثمّ قال القول الأوّل أصح هذه الأقوال انتهى.

روى الشيخ مكي في تهذيب الأحكام بأسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن الأهلّة قال عليه السلام هي أهلّة الشّهور فإذا رأيت الهلال فصم وإذا رأيته فأفطر انتهى.

و بأسناده عن أبي الجارود قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول صم حين يصوم النّاس وأفطر حين يفطر النّاس فإنّ الله عزّ وجلّ جعل الأهلّة مواقيت انتهى.

و بأسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنّاسِ وَالْحَجِّ قال: لصومهم وفطرم وحجهم انتهى.

وفي كتاب الإحتجاج عن الأصمغ بن نباتة قال كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوّا فقال يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا فقال عليه السلام: نحن

البيوت أمر الله أن توتّي أبوابها نحن باب الله و بيوته التي يوتّي منه فمن بايعنا و أقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا و فضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها أن الله عزّ وجلّ لو شاء عرف النّاس نفسه حتّى يعرفونه و يأتونه من بابه و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و بابه الذي يوتّي منه فمن عدل عن و لايتنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها و أنّهم عن الصّراط لناكبون و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل و فيه و قد جعل الله للعلم أهلاً و فرض على العباد طاعتهم بقوله و أتوا البيوت من أبوابها، و البيوت هي بيوت العلم الذي إستودعته الأنبياء و أبوابها أوصياءهم انتهى.

أقول و يدلّ عليه مارواه الفريقين من قوله صلّى الله عليه وآله أنا مدينة العلم و عليّ بابها.

و في تفسير العيّاشي عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية و ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من أبوابها، فقال عليه السلام آل محمّد صلّى الله عليه وآله أبواب الله و سبيله و الدّعاة إلى الجنة و القادة إليها و الأدّلاء عليها إلى يوم القيامة انتهى.

ولنعم ما قيل في المقام:

ولما رأيت النّاس قد ذهب بهم
ركبتُ على إسم الله في سفن النّجاة
وأسكتُ حبل الله وهو ولاءهم
إذا افترقت في الدّين سبْعون فرقة
ولم يكُ ناج منهم غير فرقة
أفي الفرقة الهلاك آل محمّد

مذاهبهم في أبحر العي والجهل
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
وتّيف كما قد جاء في محكم الثّقل
فقل لي بها ياذا التّفكر والعقل
أم الفرق اللّاتي نجت منهم قل لي

فَأَنْ قُلْتُ فِي النَّاجِينَ فَالْقَوْلَ وَاحِدٌ وَإِنْ قُلْتُ فِي الْهَلَاكِ بَعْدَ عَنِ الْعِدْلِ
 إِذَا كَانَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَأَنْتَنِي رَضِيتُ بِهِمْ لَا زَالَ فِي ظِلِّهِمْ ظَلِي
 فَخَلُّوا عَلَيَّ لِي وَلِيًّا وَنَسَلَهُ وَأَنْتَمُ مِنَ الْبَاقِينَ فِي أَوْسَعِ الْحِلِّ
 وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** أَيِ اتَّقُوا
 اللَّهَ لِكَيْ تَتَّقُوا وَالتَّقَوُّى عبارة عن الإتيان بما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالتَّركَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ
 عَنْهُ وَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِمْتِثَالِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا**.
 الْخُطَابُ بِقَوْلِهِ **وَقَاتِلُوا** مَتَّوْجِهَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ مَنْ
 قَاتَلَهُمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ أَيِ لَا تَعْتَدُوا بِالْقِتَالِ بِقِتَالِ مَنْ لَمْ
 تَوْمَرُوا بِقِتَالِهِ، وَقِيلَ لَا تَعْتَدُوا إِلَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَمَنْ قَدْ أُعْطِيَتْهُمُ الْأَمَانُ،
 لَا تَعْتَدُوا بِالْقِتَالِ عَلَى غَيْرِ الدِّينِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** فَالْوَجْهَ
 فِيهِ أَنَّ الْإِعْتِدَاءَ ظَلَمٌ وَاللَّهُ تَعَالَى عَدُوٌّ لِلظَّالِمِينَ، إَعْلَمُ أَنَّ الْحَسَنَ وَابْنَ زَيْدَ
 وَالرَّبِيعَ وَالجُبَايِي وَغَيْرَهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ:
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ^(١)
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** ^(٢).

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَ
 قَالَ بَعْضُهُمْ أَمَرُوا بِقِتَالِ الْمُقَاتِلِينَ دُونَ النِّسَاءِ وَقِيلَ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِقِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَالْأُولَى حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى الْعُمُومِ إِلَّا مَنْ أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ قَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ
 رَوَى عَنْ أَيْمَنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** نَاسِخٌ
 لِقَوْلِهِ: **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ^(٣).

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **وَأَقْتُلُواهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ** ^(٤) نَاسِخٌ لِقَوْلِهِ: **وَلَا تَطْعَمُ الْأَكْفَارِينَ** وَ

الْمُنَافِقِينَ وَ دَعِ أَذْيَهُمْ^(١) انتهى.

قال بعض المحققين في معنى الآية أي جاهدوا وليكن ذلك صادراً منكم في سبيل الله لإعزاز دينه وإعلاء كلمته لا مطالب دنيوية وضغائن وأحقاد، والمراد بالَّذِينَ يقاتلونكم، مطلق الكفار إلا من أخرجه الدليل و ذلك لأنهم بصدد قتال المسلمين و من المترصدين لذلك فهم في مقصدهم ذلك و إستحلالهم له في حكم المقاتلين، و قيل المراد بهم أهل مكة الذين حاربوا المسلمين من قبل، و يرشد الى ذلك ما قيل أن سبب النزول لصلح حديبية أن رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام.

الذي أرادوا فيه العمرة فصدّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى وأحلّوا ثمّ صالحهم المشركون على أن يرجعوا من عامهم ويعودوا في العام القابل فيخلوا لهم مكة ثلاثة أيام فيرجعوا بعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفي لهم المشركون و يقاتلوهم في الحرم والشّهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وقيل معناه، قاتلوا الذين يتوقّع منهم القتال دون غيرهم من المشايخ والصّبيان والنساء ونحوهم، أو المراد قاتلوا المبادرين في القتال دون الكافين عنه كما قيل و على هذا تكون الآية منسوخة بقوله إقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله وَلَا تَعْتَدُوا أي لا يكون قتالكم في غير السبيل بأن تفعلوا ذلك لضغائن وأحقاد و يحتمل أن المعنى لا تفاجؤهم بالقتال قبل عرض الإسلام عليهم، أو لا تفعلوا في قتالهم وإهلاكهم ما لا يجوز كالإعراق بالنار وإلقاء السمّ بالماء و على الوجوه الباقية يكون النّهي عن قتال من لم يؤمروا بقتاله أو مجاوزة من ساغ قتاله الى غيره كالنساء والصّبيان قال القرطبي هذه الآية أول آية نزلت في الأمر بالقتال ولا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة:

قال الله تعالى: اذْفَعْ بِاللّٰهِ هِيَ اَحْسَنُ^(٢)

بَابُ الْقِتَالِ فِي الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ الْقِتَالِ

قال الله تعالى: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ^(١)

قال الله تعالى: وَ أَهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيعًا^(٢)

قال الله تعالى: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ^(٣)

وما كان مثله مما نزل بمكة فلما هاجر الى المدينة أمر بالقتال فنزل، وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ قاله الربيع بن أنس وغيره وروي عن أبي بكر أن أول آية نزلت في القتال، أذن للذين يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا^(٤).

الأول: أكثر وَأَ آية الأذن أنما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين وذلك أن النبي ﷺ خرج مع أصحابه الى مكة للعمرة فلما نزل الحديبية بقرب مكة والحديبية اسم بئر فسمي ذلك الموضع باسم تلك البئر فصدّه المشركون عن البيت وأقام بالحديبية شهراً، ثم نقل القصة الى أن قال فلما كان من قابل تجهز للعمرة القضاء وخاف المسلمون غدر الكفار وكرهوا القتال في الحرم وفي الشهر الحرام فنزلت هذه الآية أي يحل لكم القتال أن قاتلكم الكفار فالآية متصلة بما سبق من ذكر الحج واتيان البيوت من ظهورها فكان ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمّن كف عنه حتى نزل فأقتلوا المشركين فنسخت هذه الآية قاله جماعة من العلماء وقال ابن زيد والربيع نسخها، وقاتلوا المشركين كافة، فأمر بالقتال لجميع الكفار انتهى.

موضع الحاجة من كلامه ونحن نقول كلامنا في النسخ ما روي عن أئمتنا أن هذه الآية ناسخة لقوله: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ الخ.

وقد مرّ الكلام فيه فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة لا منسوخة وهو الحق الحقيقي بالإتباع والحمد لله رب العالمين.



وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ
حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا
تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ
فِيهِ فَإِنْ فَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ (١٩١)

◀ اللّغة

تَقِفْتُمُوهُمْ: التّقف الحِذْق في ادراك الشّيء وفعله يقال ثَقِفْتُ كَذَا إِذَا أَدْرَكْتَهُ
ببصرِكَ لحِذْقٍ فِي النَّظَرِ ثُمَّ يَتَجَوّزُ بِهِ فَيَسْتَعْمَلُ فِي الْإِدْرَاكِ وَأَنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ
ثَقَافَةٌ قَالَه الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُحْكَمُ يُقَالُ رَجُلٌ ثَقِفٌ إِذَا كَانَ
مُحْكَمًا لَمَّا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْأُمُورِ.

وَالْفِتْنَةُ: قَالَ فِي الْمَفْرَدَاتِ الْفِتْنَةُ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ
الْعَبْدِ وَمَتَى كَانَ مِنَ اللَّهِ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَمَتَى كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ يَكُونُ
بُضْدًا ذَلِكَ وَلِهَذَا يَذِمُّ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْوَاعِ الْفِتْنَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

◀ الإعراب

حَيْثُ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ ضَمَّ النَّاءُ وَفَتْحَهَا وَكَسَرَهَا وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعِ
جَرٍّ بِإِضَافَةٍ حَيْثُ إِلَيْهَا فِي الْمَوْضِعِينَ تَقَاتِلُوهُمْ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ أَنْ وَهُوَ صِلَةٌ،
أَنْ وَالْمَوْصُولُ وَالصَّلَةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، حَتَّى يَتَعَلَّقَ بِتَقَاتِلُوهُمْ.

◀ التّفسير

لَا شَكَّ أَنَّ الْخَطَّابَ بِقَوْلِهِ: وَأَقْتُلُوهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ الضَّمِيرُ
فِي قَوْلِهِ: وَأَخْرِجُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَالْمَعْنَى لَا تَبْدُوهُمْ بِقَتْلِ وَلَا

فَتَالٍ حَتَّى يَبْدُوكُمْ إِلَّا أَنَّ الْقَتْلَ نَقَضَ بُنْيَةَ الْحَيَاةِ وَالْقِتَالَ مُحَاوَلَةُ الْقَتْلِ مِمَّنْ يَحَاوِلُ الْقَتْلَ أَيْ إِقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ حَيْثُ أَخْرِجُوَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَيْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ كَمَا أَخْرِجُوَكُمْ مِنْهَا، رَوَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ قَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِيلَ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْخَضْرَمِيِّ حِينَ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَعَابُوا الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ كَانَ هُوَ أَيْضًا لَا يَجُوزُ وَتَوْضِيحُ الْمَعْنَى يَسْتَدْعِي التَّكَلُّمَ فِي الْآيَةِ إجمالاً فنقول هنا خمس مسائل.

الأولى: قوله: **وَأَقْتُلُوهُمْ** إلى قوله: **مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** أمرهم الله تعالى بقتل المشركين وإخراجهم من ديارهم كما دلت الآية عليه وذلك لأنَّ المشركين كانوا كذلك قبل نزول الآية فقتلوا غير واحدٍ من المسلمين وأخرجوهم من ديارهم أعني بها مكة وما حولها ولأجل ذلك وقعت الهجرة إلى المدينة والعقل والشرع يحكما بصحة هذا الحكم.

أما العقل فلأنَّ هذا الحكم منه تعالى أتما صدر للدفاع عن نفوسهم وأموالهم أمرٌ معقول وأما الشرع:

قال الله تعالى: **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ^(١)

قال الله تعالى: **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا** ^(٢)

قال الله تعالى: **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا** ^(٣)

قال الله تعالى: **وَإِنْ غَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ** ^(٤) وغيرها من الآيات

الثانية: قوله **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** قال الحسن وقتادة والربيع ومجاهد وابن زيد وجميع المفسرين أنها الكُفْر وأصل الفتنه الإختبار فكأنه قال والكفر الذي يكون عند الإختبار أعظم من القتل في الشهر الحرام قاله الشيخ في التبيان.

وقال القرطبي من العامة، أي الفتنه التي حملوكم عليها وراموا رجوعكم بها الى الكفر أشد من القتل وقال غيره أي شركهم بالله وكفرهم به أعظم جرماً وأشد من القتل الذي عيروكم به انتهى.

وقال الطبري يعني تعالى ذكره بقوله: **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** والشرك بالله أشد من القتل ثم قال فتأويل الكلام، وإبتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيماً على دينه متمسكاً عليه فحقاً فيه ثم نقل عن مجاهد أنه قال إرتداد المؤمن الى الوثن أشد عليه من القتل ونقل عن قتادة أيضاً كذلك وهكذا غيرهم، أقول يعلم من جميع ما نقلناه منهم أنهم إتفقوا على أن المراد بها الشرك أو الكفر.

وقال في تفسير الميزان، والفتنة هو ما يقع به إختبار حال الشيء ولذلك يطلق على نفس الإمتحان والإبتلاء وعلى ما يلزمه غالباً وهو الشدة والعذاب على ما يستعقبه كالضلال والشرك وقد أستعمل في القرآن الشريف في جميع هذه المعاني والمراد به في الآية الشرك بالله ورسوله بالزجر والعذاب كما يفعله المشركون بمكة بالمؤمنين بعد هجرة رسول الله وقبلها بالمعنى شددوا على المشركين بمكة كل التشديد بقتلهم حيث وجدوا حتى ينجر ذلك الى خروجهم من ديارهم وجلاءهم من أرضهم كما فعلوا بكم ذلك وما فعلوه أشد فأذن ذلك منهم كان فتنة والفتنة أشد من القتل لأن في القتل إنقطاع الحياة الدنيا وفي الفتنة إنقطاع الحياتين وإنهادم الدارين انتهى ما ذكره بعين ألفاظه وعباراته هذا ما قالوه في معنى الآية وبه قال غيرهم من العامة والخاصة وأنا أقول:

لنا معهم كلام في المراد بالآية وهو أَنَّ الأمر لو كان كما ذكروه أي كانت الفتنة بمعنى الكُفر أو الشُّرك لكان حقَّ الكلام أن يقال والكُفر أو الشُّرك أشدَّ من القتل لكونه أبلغ وأظهر في بيان المراد من الفِتْنَةِ التي ليس معناها مُنحصراً في الكُفر أو الشُّرك بل لا يراد منها الكُفر إلا بضربٍ من التأويل فما وجه العدول عن الكُفر إلى الفتنة وأيِّ حُسنٍ فيه ثمَّ أيِّ دليلٍ دلَّ على أنَّ المراد بهما الكُفر أو الشُّرك من جميع معانيهما المحتملة ونحن نُشير إلى شطريّ منها ثمَّ نقول ما هو الحقُّ عندنا قال في لسان العرب مادة، فِتْنٌ، الأزهري وغيره، معنى الفتنة، الإبتلاء، والإمتحان والإختبار وأصلها مأخوذ من قولك فتنْتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الردي من الجيد وساق الكلام إلى أن قال، قال ابن الأعرابي، الفتنة الإختبار والفتنة المحنة، و الفتنة المال و الفتنة الأولاد، والفتنة الكُفر و الفتنة إختلاف النَّاس والفتنة الإحراق بالنار وقيل الفتنة في التأويل الظلم وقال ابن سيّدة، الفِتْنَةُ الخبرة، إلى أن قال والفتنة إعجاب المرء وهكذا ثمَّ أَنَّ هذه الكلمة قد تَكَرَّرت في القرآن في آيات كثيرة منها:

قال الله تعالى: **وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ^(١)

قال الله تعالى: **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ** ^(٢)

قال الله تعالى: **لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ** ^(٣)

قال الله تعالى: **وَلَا تَقْتَتِبْ أَصْلًا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ^(٤)

قال الله تعالى: **وَلَاؤُضْغُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ** ^(٥)

قال الله تعالى: **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ^(٦)

١- البقرة = ٢١٧.

٢- آل عمران = ٧.

٣- التوبة = ٤٨.

٤- التوبة = ٤٩.

٥- التوبة = ٤٧.

٦- الأنفال = ٢٨.

و الآيات كثيرة اذا عرفت هذا فنقول ينبغي حَمَلُ الْفِتْنَةِ فِي كُلِّ آيَةٍ عَلَى معناها المناسب لها على ما سيجي بيانه إن شاء الله تعالى و الْفِتْنَةُ بِمعنى الكُفْر أو الشَّرْك لا تناسب الآية وذلك لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ كَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِ وَ أَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرِجُوهُمْ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ وَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ، صَعِبَ ذَلِكَ الْحُكْمُ عَلَى الْكُفَّارِ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا لِمَ أَمَرَ اللَّهُ بِقَتْلِنَا وَ إِخْرَاجِنَا مِنْ دِيَارِنَا مَعَ إِنَّا لَمْ نَقْتُلْهُمْ وَ أَنَّمَا أَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَ الْمَقَابِلَةَ بِالْمِثْلِ تَقْضِي إِخْرَاجِنَا فَقَطْ كَمَا أَخْرَجْنَاهُمْ فَأَمَّا الْقَتْلُ فَلِمَاذَا فَقَالَ اللَّهُ فِي جَوَابِهِمْ: وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ أَيِ أَنْكُمْ وَ أَنْ لَمْ تَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لَكِنْ أَوْجَدْتُمْ الْخِلَافَ وَ التَّفَاقُ بَيْنَ النَّاسِ وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ دُنْيَاهُمْ بِمَنْعِكُمْ أَيَّاهُمْ عَنْ قَبُولِ الْإِسْلَامِ وَ إِيْذَانِكُمْ الْمُسْلِمِينَ بِقَبُولِهِمْ الْإِسْلَامَ وَ هَذَا الَّذِي فَعَلْتُمْ بِالنَّاسِ أَشَدُّ ذَنْبًا وَ قُبْحًا مِنَ الْقَتْلِ الَّذِي فِيهِ قَطَعَ الْحَيَاةُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّكُمْ أَفْسَدْتُمْ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ وَ دُنْيَاهُمْ وَ الْمُسْلِمُونَ أَفْسَدُوا عَلَيْكُمْ دُنْيَاكُمْ فَقَطْ وَ أَنْ شِئْتَ قُلْتَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ أَيَّاكُمْ لَيْسَ مِنَ الْفَسَادِ بَشَيْءٍ بَلْ هُوَ إِصْلَاحٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ قَطْعَ مَادَّةِ الْفَسَادِ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِصْلَاحٌ لَهُ بِخِلَافِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ وَ الْإِفْسَادِ فِي الْجَامِعَةِ فَأَنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ قَطْعًا وَ عَلَيْهِ فَحَمَلُ الْفِتْنَةِ فِي الْآيَةِ عَلَى مَعْنَاهَا الْعُرْفِيِّ وَ هُوَ إِيجَادُ الْإِخْتِلَافِ وَ الْفَسَادِ وَ التَّفَاقُ ذَلِكَ أَوَّلَى وَ أَنْسَبُ.

مِنْ حَمَلِهَا عَلَى الْكُفْرِ أَوْ الشَّرْكِ إِذْ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ: أَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ لِأَنَّ الْكُفْرَ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، إِذْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ لِأَجْلِ كُفْرِهِمْ بَلْ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِهِمْ لِأَجْلِ الْإِفْسَادِ وَ إِيجَادِ التَّفَاقُ بَيْنَ النَّاسِ إِذْ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِالْقَتْلِ لِأَجْلِ الْكُفْرِ فَقَطْ فَلَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرِجُوهُمْ وَ أَنَّمَا قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْقَتْلِ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا فَعَلُوا كَذَلِكَ أَيِ أَخْرِجُوا

المسلمين من مكّة وأرعبوهم وأخافوهم أمرنا المسلمين بقتلهم لأنّ ما فعلوه بهم كان من أظهر مصاديق الفساد والإفساد الذي لا دواء له إلاّ القتل وأما الكُفَر بما هو هو.

قال الله تعالى: لَا إِخْرَافَ فِي الَّذِينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ^(١) كما سيأتي الكلام فيها إن شاء الله تعالى هذا ما فهمناه من الآية والعلم عند الله.

الثالثة: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفَاتِلُوكُمْ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ لِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ بقوله: وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ الذّال بإطلاقه قتلهم في المسجد الحرام أيضاً فقال وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ الْخ أي نهّاهم عن قتل الكفّار في المسجد الحرام لكن لا مطلقاً بل مشروطاً بأن لا يبدؤهم بالقتال فأن بدؤوا بالقتال حلّ للمسلمين قتالهم لقوله تعالى كذلك جزاء الكافرين قال بعض مفسري العامة للعلماء في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّها منسوخة.

الثاني: أنّها محكمة ولا يجوز قتل أحدٍ في المسجد الحرام إلاّ بعد أن يقاتل وبه قال طاووس وهو الذي يقتضيه نصّ الآية واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ثم روى عن ابن عباس أنّه قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة أنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرامٌ بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة.

و أنّه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلاّ ساعة من النهار فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة وقال قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى: فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ^(٢) وقال مقاتل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَخَهَا قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ثُمَّ نَسَخَ هَذَا قَوْلَهُ: **أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** فَيَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ وَمِمَّا إحتَجَّوْا بِهِ أَنَّ بَرَاءَةَ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِسِتِّينَ وَأَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ الْمَغْفِرُ فَقِيلَ أَنَّ ابْنَ خَطْلٍ مَتَّعَلِقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ أَقْتُلُوهُ وَقَالَ بَعْضُ الْعَامَّةِ أَنَّ الْآيَةَ أَعْنِي بِهِمَا قَوْلَهُ: **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** أَنْتَهَى.

أَقُولُ وَالْحَقُّ أَنَّ الْآيَةَ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** مَعْنَاهُ أَنْ إِنْتَهَوْا عَنِ قِتَالِكُمْ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيَرْحَمُ كَلَّامَهُمْ بِالْعَفْوِ عَمَّا إجتَرَمَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ إِنْ إِنْتَهَوْا عَنْ كُفْرِهِمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ وَقِيلَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْقَاتِلِ عَمْدًا لِأَنَّهُ بَيَّنَّ أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْمُشْرِكِ وَالشُّرْكَ أَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ مِنَ الْأَعْظَمِ وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَقْلِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.



فَإِنْ اٰتٰهُمُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٩٢﴾ وَ
 قَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تَكُوْنَ فِتْنَةٌ وَيَكُوْنَ الدِّيْنُ لِلّٰهِ
 فَإِنْ اٰتٰهُمُوْا فَلَا عُدُوَانَ اِلَّا عَلٰى الظّٰلِمِيْنَ ﴿١٩٣﴾

◀ اللغة

اٰتٰهُمُوْا: أي اٰمَنَعُوا من الكُفْرِ وَاذَعُوا بِالْإِسْلَامِ.
 فَلَا عُدُوَانَ: أي فلا قتل عليهم سُمِّي القتل به مجازاً من حيث كان عقوبة
 على العُدوان والظلم.

◀ الإعراب

حَتّٰى لَا تَكُوْنَ يَجُوزُ أَنْ تَكُوْنَ بِمَعْنَى كَيْ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُوْنَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ، وَ
 كَانَ هُنَا تَامَةً وَيَكُوْنَ الدِّيْنُ يَجُوزُ أَنْ تَكُوْنَ كَان تَامَةً وَأَنْ تَكُوْنَ نَاقِصَةٌ وَيَكُوْنَ
 لِلّٰهِ الْخَبَرُ اِلَّا عَلٰى الظّٰلِمِيْنَ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ خَبَرَ لَا.

◀ التفسير

قال الجبائي والحسن وغيرهما أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا
 تُقَاتِلُوْهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى يُقَاتِلُوْكُمْ فِيْهِ لِأَنَّهُ أَوْجَبَ قِتَالَهُمْ عَلَى كُلِّ
 حَالٍ حَتّٰى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ أَنَّ الْأَوَّلَى لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ فَلَا تَكُوْنَ هَذِهِ نَاسِخَةٌ بَلْ تَكُوْنَ مُؤَكَّدَةٌ قَالَ
 الْقُرْطُبِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ قَاتِلُوْهُمْ أَمْرٌ بِالْقِتَالِ لِكُلِّ مُشْرِكٍ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَلَى
 مِنْ رَأَاهَا نَاسِخَةٌ وَمِنْ رَأَاهَا غَيْرَ نَاسِخَةٌ قَالَ الْمَعْنَى قَاتِلُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ
 فِيهِمْ فَأَنْ قَاتِلُوْكُمْ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ وَهُوَ أَمْرٌ بِقِتَالٍ مُّطْلَقٍ لَا بِشَرْطٍ أَنْ يَبْدَأَ الْكُفَّارُ
 دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: وَيَكُوْنَ الدِّيْنُ لِلّٰهِ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتّٰى

يقولوا: لا إله إلا الله فدلّت الآية والحديث على أنّ سبب القتال هو الكُفر لأنّه قال حتّى لا تكون فتنة أي كفر، فجعل الغاية عدم الكُفر وهذا ظاهر وقال ابن عبّاس وقتادة والرّبيع والسّدي وغيرهم الفتنة هنا الشّرك وما تابعه من أذى المؤمنين وأصل الفتنة الإختبار والإمتحان مأخوذ من فتنت الفضة إذا أدخلتها النار لتتميز رديئها من جيّدتها انتهى.

وقال في تفسير الميزان ويظهر من هذا الذي ذكرناه أنّ هذه الآية ليست بمنسوخة بقوله تعالى: **وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآلِ يَوْمِ الْآخِرِ** ^(١) بناءً على أنّ دينهم لله سبحانه وذلك أنّ الآية أعني قوله:

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ خاصّة بالمُشركين غير شاملة لأهل الكتاب فالمراد بكون الدّين لله سبحانه هو أن لا يعبد الأصنام و يقرّ بالتّوحيد وأهل الكتاب مُصرون به وأن كان ذلك كُفراً منهم بالله بحسب الحقيقة كما قال تعالى: **لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآلِ يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ** ^(٢).

أقول الحقّ أنّ الآية مؤكّدة لقوله فأن قاتلوكم فأقتلوهم وليست بناسخة له وذلك لأنّه تعالى لما أذن لهم بقتال الكُفّار بعد ابتداءهم بالقتال بقوله فأقتلوهم الخ فكأنّه قيل أو سُأل عن مدّة القتال وأمدّه فقال في الجواب **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وهو ظاهر وأما معنى الآية فأن قلنا أنّ الفتنة في الآية بمعنى الكُفر والذين بمعنى جميع الأحكام والاعتقاد بها كما ذهب اليه المُفسّرون قاطبةً فيصير المعنى قاتلوا الكُفّار حتّى لا يكون كُفر في النّاس ويكون الدّين أي الاعتقاد بالتّوحيد والرّسالة والقيامة كلّهُ لله تعالى بمعنى أنّهم لم يعتقّدوا غيره ولازم ذلك وجوب القتال مع الكُفّار إلى أن حصلت الغاية أو الغايتين أعني بها عدم الكُفر والاعتقاد بالدّين الصّحيح السّالم عن المفاصد الإعتقادية ولا سيّما

في
القرآن
في
القرآن

جزء ٢

القرآن

على القول بعدم كونها منسوخة كما ذهب اليه صاحب الميزان والحق أن هذا المعنى لا يستقيم لجوهره:

أحدها: أن لازم ذلك وجوب القتال مع الكفار من وقت النزول الى حصول الغاية وهو محو الكفر بالكلية عن الاجتماع وثبات الدين المرضي له تعالى وهو الإسلام لقوله: **أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** وقوله: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**^(١) ومن المعلوم أن تحصيل هذه الغاية للمسلمين أمر غير معقول لو لم يكن مُمتنعاً عادةً.

ثانيهما: أن الله تعالى يقول في كتابه: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**^(٢) دلت الآية على عدم وجود الإكراه والإجبار في الدين ومعناه أن الناس مخيرون مختارون في قبول الدين وعدمه فلو كان القتال معهم واجباً حتى يكون الدين لله ومحي الكفر فأين الاختيار الثابت للناس في جميع شؤونهم عقلاً ونقلاً.

ثالثها: أنه يلزم من ذلك فسق من تقاعد عن القتال قبل حصول الغاية لأن مخالفته الأمر معصيةً وفسق وأكثر المسلمين لولا جميعهم تقاعدوا عن القتال في طول التاريخ والأن كذلك بمعنى أنهم لم يعملوا بهذه الآية إلا من شذو ونذر فهم فسقوا بذلك ونحن أيضاً من الفاسقين المتمردين في هذا العصر لأنهم تقاعدوا عنه وتقاعدنا أيضاً عن القتال وهو كما ترى.

رابعها: أن المسلمين كانوا أقل عدداً من الكفار والآن أيضاً كذلك فكيف يعقل أن يأمرهم الله بقتال الكفار حتى لا يكون كفر ويكون الدين لله وهل هذا إلا إهلاكهم وافناءهم بالكلية.

خامسها: أن رسول الله ﷺ والمسلمين في صدر الإسلام بعد نزول الآية

لَمْ يُقَاتِلُوا إِلَى آخِرِ عُمْرِهِمْ مَتَّصِلًا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَكَيْفَ يُقَالُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى حُصُولِ الْغَايَةِ.

سادسها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **وَلَا تُقَاتِلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ^(١) فلو كان الأمر كما يقولون من بقاء الآية على ظاهرها وَأَنَّ الْمَرَادُ بِالْفِتْنَةِ الْكُفْرُ يُلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ فِي التَّهْلُكَةِ وَلَا سِيَّما فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رِسْمُهُ أَوْ دَرَسُهُ وَصَارَ الْإِسْلَامُ كَالْأَسِيرِ بَيْنَ يَدَيِ الْكُفْرِ وَالْمُسْلِمُونَ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْكُفَّارِ فِي جَمِيعِ الشُّؤْنِ حَتَّى فِي غِذَائِهِمْ وَدَوَائِهِمْ وَبِالْجُمْلَةِ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ وَبِقَاءِهِ فَيَكْفِ يُعْقِلُ أَنْ يَقَالَ لَهُمْ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** أَيِ كُفْرٍ وَمُحْصَلُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** لَيْسَ بِنَاسِخٍ لِقَوْلِهِ: **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** بَلْ هِيَ مُؤَكَّدَةٌ لَهُ أَيِ اقْتُلُوهُمْ لِأَنَّهُمْ يَدُوكُمْ بِالْقِتَالِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ إِلَى مَتَى حُلِّ لَنَا الْقِتَالُ مَعَهُمْ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وَعَلَيْهِ فَالْمَرَادُ بِهَا قِتَالُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ أَيِ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَكْفُوا عَنِ الْقِتَالِ فَسَبَبُ الْقِتَالِ لَيْسَ هُوَ الْكُفْرُ كَمَا زَعَمَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَأَمْثَالُهُ بَلْ سَبَبُهُ الطُّغْيَانُ وَالْبَغْيُ فَإِذَا زَالَ السَّبَبُ وَزَالَ الْمُسَبَّبُ قَهْرًا فَالْفِتْنَةُ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَاهَا الْمِصْطَلَحُ فِي الْعُرْفِ أَعْنَى بِهِ الطُّغْيَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي النَّاسِ لَا الْكُفْرَ لِأَنَّهُ كَانَ ثَابِتًا لَهُمْ قَبْلَ إِبْتِلَاءِهِمْ بِالْقِتَالِ فَلَوْ كَانَ هُوَ السَّبَبُ لَكَانَ الْمُسْلِمُونَ مَأْمُورِينَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ إِيَّاهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ سَبَبَ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ كَانَ طُغْيَانُ الْكُفَّارِ وَالتَّجَاوُزُ بِحَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفْسِهِمْ فَلَا مَحَالَةَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الدِّفَاعُ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى حُصُولِ الْغَايَةِ وَهُوَ رَفْعُ التَّجَاوُزِ فَإِذَا حَصَلَ تَرَكَ الْقِتَالُ وَلِلَّذَلِكَ قُلْنَا بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَيِ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** مِنْ

بَابُ الْقِتَالِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ الْقِتَالِ

أَوَّلُ نَزُولِهَا لَمْ تَكُنْ مُطْلَقَةً بَلْ كَانَتْ مَقْبُودَةً بِزَمَانٍ رَفَعَ الْفِتْنَةَ بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ نَعَمْ لَوْ أُرِيدَ بِالْفِتْنَةِ فِي آيَةِ الْكُفْرِ وَقَلْنَا بِأَنَّ آيَةَ مَغْيَاةٍ بَرَفَعَهُ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَأَمْثَالُهُ فَلَا مُحَالَةَ يَجِبُ الْقِتَالُ إِلَى حَصُولِ الْغَرَضِ الَّذِي هُوَ رَفْعُ الْكُفْرِ عَنِ الْعَالَمِ وَهُوَ كَمَا تَرَى بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:

فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ أَيَّ أَنْ انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ عَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَعَنِ الطَّغْيَانِ وَالْإِفْسَادِ عَلَى قَوْلِنَا فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مَعْنَى الْإِنْتِهَاءِ (الشَّهْرُ عَنِ الْكُفْرِ دَخُولُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَ عَلَى قَوْلِنَا قَبُولُهُمْ الْجَزِيَّةَ وَالطَّاعَةَ وَأَنْ يَقُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْعُدْوَانَ بِضَمِّ الْعَيْنِ التَّعَدِّي وَالظُّلْمَ وَ سُمِّيَ مَا يَصْنَعُ بِالظَّالِمِينَ عُدْوَانًا مِنْ حَيْثُ هُوَ جَزَاءُ عُدْوَانٍ فَهُوَ مِنْ وَضْعِ السَّبَبِ مَوْضِعَ الْمُسَبَّبِ وَأَمَّا قَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ الظُّلْمَ يَتَضَمَّنُ الْعُدْوَانَ فَسُمِّيَ جَزَاءُ الْعُدْوَانِ عُدْوَانًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا^(١) وَالْمُرَادُ بِالظَّالِمِينَ فِي آيَةِ عَلَيَّ حَدِّ التَّأْوِيلِينَ مِنْ بَدْءِ الْقِتَالِ وَ عَلَى التَّأْوِيلِ الْآخَرِ مِنْ بَقْيِ عَلَى كُفْرِهِ وَ طُغْيَانِهِ وَفِتْنَتِهِ أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا أَنَّ الظَّالِمَ إِذَا تَرَكَ الظُّلْمَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْهِ فَالْعُدْوَانُ عَلَى الظُّلْمِ وَالظَّالِمَ لَا عَلَى الْكَافِرِ بِكَفَرِهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَوْافِقُ لِمَا اسْتَظْهَرْنَاهُ مِنَ آيَةِ عَلَيَّ مَا مَرَّ.



الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ
قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

◀ اللغة

الشَّهْرُ: مدّة شهوره بإهلال الهلال أو بإعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشَّمس من نقطةٍ إلى تلك النّقطة، قيل سُمِّي الشهر شهراً لأن الأيدي تشير بالإشارة إلى موضع الرّؤية ويدّلون عليه وجمعه على أشهر وشهور.

الْحَرَامُ: قيل المراد به في الآية ذو القعدة والأشهر الحرم أربعة، ذو القعدة، ذو الحجة ومحرم، ورجب المُرجب كانوا يحرمون فيها القتال.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ: الحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والقصاص بكسر القاف الأخذ للمظْلوم من الظّالم من أجل ظلمه إياه.

فَمَنْ اعْتَدَى: يقال اعتدى عليه وعدى عليه كما يقال قرب واقترَب وجَلَب وإجْتَلَب وقيل أن في، إفتعل، مبالغة ليست في فعل.

◀ الإعراب

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ يجوز أن تكون مَنْ، شرطية وأن تكون بمعنى الذي، بِمِثْلِ الباء غير زائدة والتقدير بعقوبةٍ مماثلة لعدوانهم ويجوز أن تكون زائدة وتكون مثل، صفة لمصدر محذوف أي عدواناً مثل عدوانهم.

التفسير

قالوا سبب نزولها على ما روي عن ابن عباس وقادة ومجاهد ومقسم و
السدي والزبيع والضحاك وغيرهم أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِراً حَتَّى بَلَغَ
الحديبية في ذي القعدة سنة سِتٍّ فَصَّده المُشْرِكُونَ عن البيت فانصرف و
وعده الله سبحانه أنه سيدخله فدخله سنة سَبْعٍ وَقَضَى نَسْكَه فَنَزَلَتْ هذه
الآية وَرُوي عن الحسن أن المُشْرِكِينَ قالوا للنبي ﷺ أَنهَيْتَ يامُحَمَّدُ عن
القتال في الشَّهرِ الحرام قال ﷺ نعم.
فأرادوا قتاله فَنَزَلَتْ الآية قوله تعالى:

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ قِيلَ فِي معناه أي أن إستحلَّوا ذلك فيه فقاتلهم
فأباح الله بالآية مدافعتهم، وقيل تقديره قتال الشهر الحرام في الشهر الحرام
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهنا قول ثالث وهو أن يكون
تقديره الشهر الحرام على جهة العوض لما فات من الحج في السنة الأولى.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ لَّا حُرُمَاتٍ جمع حُرمة كالظلمات جمع ظلمة
والحجرات جمع حُجرة وأتت جمعت الحُرُمَاتِ لأنه أراد حُرمة الشهر الحرام
وحُرمة البلد الحرام وحُرمة الإحرام والحُرمة ما منعت من إنتهاكه والقيصاص
المساواة اذ صدَّوكم سنة سِتٍّ فَقَضَيْتُمُ العمرة سنة سَبْعٍ وقيل الحُرُمَاتُ
قصاصٌ، بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لأنَّ قُرَيْشاً
فخرت بزَّدها رسول الله يوم الحديبية مُحَرَّماً في ذي القعدة عن البلد الحرام
فأدخله الله عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةَ في العام المقبل في ذي القعدة فَقَضَى عُمَرُته
وأَقَصَّه بما حِيلَ بينه وبينه يوم الحديبية.

وقال الآخرون، الحُرُمَاتُ قصاصٌ، بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز
للمسلمين إلا قصاصاً.

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وفيه إشعار بأن المسلم لا يجوز له الإعتداء بدواً ويجوز له الإعتداء دفاعاً عن مثله وهو كذلك بل الحق أن يقال أن هذا ليس من الإعتداء واقعاً كان منه ظاهراً وذلك لأنّ جزاء السيئة بمثلها فالكافر هو المعتدي لأنّه بدأ بالظلم وهو ظاهر.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الخطاب للمسلمين أمرهم بالتقوى في جميع الأمور ثم أعلمهم بأن الله مع المتقين يعني بالنصرة لهم أو أن نصرة الله معهم في كل مكان وزمان لأن أصل مع، المصاحبة في المكان والزمان.

روى الشيخ في التهذيب بأسناده عن العلاء بن فضيل قال سألت عن المشركين أيبتدأهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال اذا كان المشركون يبتدؤهم باستحلاله ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه وذلك قول الله عز وجل:

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ والروم في هذه بمنزلة المشركين لأنهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً فهم يبتدئون بالقتال فيه وكان المشركون لا يرون له حقاً ولا حرمة فاستحلوه فاستحل منهم وأهل البغي يبتدئون بالقتال انتهى.

محمّد بن يعقوب بأسناده عن معاوية ابن عمار قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحِلِّ ثم دخل الحرم فقال: لا يُقتل ولا يُطعم ولا يسقى ولا يبيع حتّى يخرج من الحرم فيقام عليه الحدّ قال قلّتما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق قال عليه السلام: يقام عليه الحدّ في الحرم لأنّه لم يرع للحرم حرمة وقد قال الله عز وجل: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فقال هذا هو في الحرم فقال لا عدوان إلا على الظالمين.

و عن العلاء بن فضيل قال سئلته عن المشركين أيبئتئهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال عليه السلام: إذا كان المشركون إبتدؤهم بإستحلالهم رأي المسلمين بما أنهم يظهرون عليهم فيه و ذلك قوله: **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ** **اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ.**



وَأَنْتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

◀ اللغة

وَأَنْتَفِقُوا: أمرٌ من الإنفاق يقال نَفَقَ الشَّيْءُ إذا مَضَى ونَفَدَ قد يكون في المال وفي غيره وقد يكون واجباً وتَطَوَّعاً.
وَلَا تُلْقُوا: نهْيٌ من الإلقاء والإلقاء طرح الشَّيْءِ حيث تلقاه أي تراه ثم صار في التعارف إسماً لكل طَرَحٍ.
بِأَيْدِيكُمْ: الأيدي جمع يَدٍ وهي الجارحة المخصوصة.
التَّهْلُكَةُ: التَّهْلُكَةُ ما يُوْذِي إلى الهلاك.
وَأَحْسِنُوا: أمرٌ من الإحسان وهو الأنعام على الغير وقد يكون في فعله إذا عَلِمَ عِلْماً حَسَناً أو عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا وهو المراد في الآية.

◀ الإعراب

بِأَيْدِيكُمْ الباء زائدة يقال القى يده وألقى بيده وقال المبرد ليست زائدة بل هي متعلقة بالفعل كَمَرِرْتُ بَزَيْدٍ التَّهْلُكَةُ التَّفَعُّلُ من الهلاك.

◀ التفسير

وَأَنْتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قال الطبرسي معناه أَنْفَقُوا من، أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وأبواب البر فهو سبيل الله لأنَّ السَّبِيلَ هو الطَّرِيقَ فسبيل الله الطَّرِيقَ إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأنَّ الجود بالنفس أقصى غاية الجود والجهاد هو الأمر

الَّذِي يَخَاطِرُ فِيهِ بِالرُّوحِ فَكَانَتْ لَهُ مَزِيَّةٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَ سَبِيلَ اللَّهِ هُوَ كُلُّ طَرِيقٍ شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَ يَدْخُلُ فِيهِ الْجِهَادُ وَالْحَجُّ وَ عِمَارَةُ الْقَنَاظِرِ وَالْمَسَاجِدِ وَ مُعَاوَنَةُ الْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ ثُمَّ قَالَ وَالْإِنْفَاقُ هُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ مَالِهِ أَوْ مُلْكِهِ إِلَى مَلِكٍ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَوْ أُخْرِجَ إِلَى هَلَاكِ لَمْ يَسْمَإ�ْنِفَاقًا إِنْتَهَى

أَقُولُ قَدْ نَقَلْنَا عَنْ الرَّاعِبِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْإِنْفَاقَ قَدْ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي غَيْرِهِ وَلَعَلَّ مَرَادَهُ بِغَيْرِهِ النَّفْسَ كَمَا فِي الْجِهَادِ بِمَعْنَى الْقِتَالِ وَالْحَقُّ أَنْ يَقَالَ أَنَّ دَائِرَةَ الْإِنْفَاقِ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا فَأَنَّهُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْمَالِ وَهُوَ أَظْهَرُ مُصَادِقَهُ فِي الْعُرْفِ وَ تَارَةً فِي النَّفْسِ كَمَا فِي الْجِهَادِ مَعَ الْكُفَّارِ وَ تَارَةً فِي الْعِلْمِ كَمَا فِي تَعْلِيمِ الْغَيْرِ وَ تَارَةً فِي الْقُدْرَةِ كَمَا فِي إِعَانَةِ الْمَظْلُومِ وَ تَارَةً فِي الْعَيْنِ وَ هَكَذَا جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ وَ الْجَوَارِحِ وَ النَّعْمِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ وَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِ هُوَ سَرِيانُ النَّعْمَةِ إِلَى الْغَيْرِ فَأَنَّ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِهِ وَالْأَفْلَاحُ قَدْ يَقَالُ أَنَّ مَا يَنْفَقُ فِي غَيْرِ سَبِيلِهِ لَيْسَ مِنَ الْإِنْفَاقِ شَرْعًا وَأَنَّ كَانَ مِنْهُ عَرَفًا وَكَيْفَ كَانَ وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ مَدْمُوحٌ عَقْلًا وَ شَرْعًا وَ قَدْ حَثَّ الشَّرْعُ وَ رَغَّبَ إِلَيْهِ بِمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَ كَفَاكَ فِي ذَلِكَ الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْبَابِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ^(١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ^(٢)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ^(٣)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ^(٤)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٥).

والآيات كثيرة جداً وأما قوله:

وَلَا تُتْلَوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ قِيلَ معناه لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك بأن تفعلوا ما يؤدّي اليه وحقيقة الإلقاء تصيير الشيء الى جهة السّفْل قاله في التّبيان وقال الطّبرسي في معناه وجوه:

أحدها: أنّه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم تبرك الإنفاق في سبيل الله فتغلب عليكم العدوّ عن ابن عبّاس وجماعة من المفسّرين.

ثانيها: معناه لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة عن البراء بن عازب وعبدة السّلماني.

ثالثها: أنّ المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدوّ ولا قدرة على دفاعهم عن الثّوري.

رابعها: أنّ المراد لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النّفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن أبي عبد الله قال لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا رفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بأيديكم الى التّهلكة انتهى ما ذكره.

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قالوا يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه أحسنوا الظنّ بالله فيبرئكم وقال الآخر وأحسنوا بالعود على المحتاج، قال القرطبي وروي البخاري عن حذيفة وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قال نزلت في التّفقة ثم قال وروي يزيد بن أبي عمران قال غزونا القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرّحمن بن الوليد والرّوم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدوّ فقال النّاس، مه مه، لا إله إلا الله يلقي بيديه الى التّهلكة فقال أبو أيّوب الأنصاري سبحانه الله أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لمّا نصر الله نبيّه وأظهر دينه قلنا هلمّ نقيم في أمولنا ونصلحها، فأنزل الله عزّ وجلّ: وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نُقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد فلم يَزَلْ أبو أيوب مجاهداً في سبيل الله حتَّى دُفِنَ بالقسطنطينية فقبّره هناك فأخبرنا أبو أيوب أَنَّ الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله وَأَنَّ الآية نَزَلَتْ في ذلك وروي مثله عن حذيفة و الحسن و قتادة و مجاهد و الضّحّاك انتهى ما ذكره.

و قال السيوطي في الدر المنثور نزلت الآية في النّفقة، ثمّ روي بأسناده عن حذيفة في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** قال هو ترك النّفقة في سبيل الله مخافة العيلة، و أيضاً بأسناده عن ابن عباس في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ**.

قال ترك النّفقة في سبيل الله أنفق ولو مشقّصاً، و أيضاً عنه قال ليس التهلكة أَنْ يقتل الرّجل في سبيل الله ولكن الإمساك عن النّفقة في سبيل الله انتهى.

أقول ثمّ نقل ما نقلناه عن القرطبي في قصّة أبي أيوب الأنصاري و به قال الطبري أيضاً في تفسيره وقد رويوا أخباراً كثيرة في ذلك ونقلوا عن البراء بن عازب في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أنّه قال هو الرّجل يذنب الذّنْب فيقول لا يغفر الله له، و بأسناده عنه أيضاً قال سأله رجل فقال يا أبا عمارة أرايت قول الله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أهو الرّجل يتقدم فيقاتل حتّى يقتل قال لا ولكنه الرّجل يعمل بالمعاصي ثمّ يلقي بيده ولا يتوب انتهى.

وفي حديث آخر فيقول لا تقبل لي توبة، أقول والذي حصل لنا من أقوالهم هو أَنَّ المذاهب في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** سبعة. **أحدها:** معناه لا تهلكوا أنفسكم بترك الإنفاق في سبيل الله فتغلب عليكم العدو.

ثانيها: معناه لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة.

ثالثها: أنَّ المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم.

رابعها: أنَّ المراد لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفي هذه الوجوه ذكرها الطبرسي في تفسيره.

خامسها: ما نقله القرطبي وهو أنَّ المراد بالإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله عن أبي أيوب الأنصاري وقد مرّت قصّة.

سادسها: ما نقله أيضاً وهو أنَّ رسول الله ﷺ لما أمر الناس بالجهاد قام إليه أناس من الأعراب حاضرين بالمدينة فقالوا بماذا نتجهّز فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد فنزل وأنفقوا في سبيل الله، يعني تصدّقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله يعني في طاعة الله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا.

سابعها: أنَّ المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد وقد كان فعل ذلك قوم فأذاهم ذلك إلى الإنقطاع في الطريق أو يكون عالة على الناس فهذه هي الأقوال الموجودة في التفاسير من العامّة والخاصّة.

والقول الأول: مروى عن ابن عباس وجماعة من المفسرين.

الثاني: عن البراء بن عازب وعبدة السلماني.

الثالث: عن الثوري وغيره.

الرابع: عن الجبائي.

الخامس: عن أبي أيوب الأنصاري.

السادس: عن ابن عباس أيضاً.

السابع: عن زيد بن أسلم.

إذا عرفت هذا فنقول.

الوجوه المذكورة في الآية لا يمكن قبولها والإعتماد عليها لوجهين.
أحدهما: أنَّ مدارها على أنَّ الآية نزلت في الجهاد وهو أوَّل الكلام إذ لا دليل على نزولها فيه وعليه فقولهم لا تهلکوا أنفسکم بترك الإنفاق في سبيل الله فتغلب علیکم العدو كما ذکروه في أوَّل الأقوال لا معنى له وهكذا الكلام في القول الثالث والزابع والخامس والسادس والسابع كما هو واضح وأما.

القول الثاني:، فهو وأن لم يتوقف على كون الآية في الجهاد إلا أنه أيضاً باطل لا يعتمد عليه فإنَّ اليأس عن المغفرة لا يُعدَّ من التهلكة لا لُغَةً ولا شَرَعاً ولا عِزْماً وذلك لأنَّ الالتئام باليد إلى التهلكة لا يصدق إلا على العاقد المختار ومن كان مأیوساً عن المغفرة فهو جاهل لم يعرف الرَّبَّ والجاهل قد يعصي أو ينسب إلى ربِّه عن جهله ما لا ينبغي به فيقع بذلك في التهلكة من حيث لا يعلم إلا أنَّه لا يعدُّ ممَّن ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ضرورة وجود الفرق بين أن يلقي نفسه إلى التهلكة وبين أن يُلقَى فيها من حيث لا يشعر والآية ناظرة إلى الأوَّل دون الثاني مضافاً إلى أنَّ الآية ظاهرة في الفعل أي لا تفعلوا فعلاً يُرَدِّكم إلى التهلكة واليأس عن المغفرة ليس من الفعل بل هو أمرٌ قلبي خارج عما نحن فيه.

ثانيهما: أنَّ التهلكة على ما فسروها ليست معناها الهلاك والموت والفناء و أمثالها بل معناها ما يؤدي إلى الموت والفناء فهي سَبَبٌ للموت وعليه فقلوه تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، معناها لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى ما يؤدي إلى الهلاك والموت أو ما شئت فسمِّه، ولا شك أنَّ السَّبَبَ المؤدِّي إلى المُسَبَّب لا يكون نفس المُسَبَّب بل هو فعلٌ يؤدي إلى المُسَبَّب فالوجوه التي ذكروها في المقام ليست من الافعال المؤدِّية إلى التهلكة لأنَّ ترك الإنفاق والإمساک عن الصدقة وترك الجهاد وهكذا كلُّها تترك أي أمورٌ عديمة والعَدَم لا يكون سبباً لوجود شيءٍ آخر حتى يصدق على من ترك الإنفاق أنَّه ألقى نفسه

بيده إلى التهلكة ولو سلمَ فإن ألقى نفسه بيده إلى العقاب والعذاب وسخط
الرب أمر آخر لا كلام فيه فعلاً أن قلت فما معنى الآية ثم ما المراد بالتهلكة في
الآية قلت الظاهر أن الآية الشريفة قد بينت لنا أموراً ثلاثة.

أحدها: الإنفاق في سبيل الله ولا شك أنه ممدوح عقلاً وشرعاً واليه
الإشارة بقوله: **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** واختصاصه بالجهاد لا دليل عليه إذ
اللفظ يتناول جميع سبله بإطلاقه ولم يدل دليل على التقييد.

ثانيها: النهي عن الإلقاء في التهلكة بالإختيار واليه الإشارة بقوله: **وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أي لا تفعلوا شيئاً يؤذيكم إلى الموت بأيديكم.
ثالثها: أن الإحسان إلى الغير حسن ممدوح لقوله: **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ** فهذه الأمور الثلاثة ينبغي للمؤمن مراعاتها بقدر الطاقة وهذه مما
لا شك فيه وأما أن كل واحد من الأمور مرتبط بالآخر فهو موقوف على القول
بنزول الآية في الجهاد ولم يثبت لنا كما مر الكلام في أوائل البحث و عليه
فكل واحد من الثلاثة حكم مستقل بنفسه وهو المطلوب.

تنبية:

ذكر الطبرسي رحمته الله في تفسيره عند قوله تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ** ما هذا لفظه، قال وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما
نخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن في
ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة إذا
خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله صلوات الله عليه وآله عام
الحديبية وفعله أمير المؤمنين بصفين وفعله الحسن عليه السلام مع معاوية بين
المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته فأن عورضنا بأن
الحسين عليه السلام قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين.

أحدهما: أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله صلوات الله عليه وآله والآخر أنه

غلب على ظنّه لو ترك قتالهم قتله الملعون بن زياد صبراً كما فعله بإبن عمّه
مُسلم فكان القتل مع عِزِّ النَّفس والجهاد أهون عليه انتهى ما ذكره.

ونحن نقول أنّ الآية لا تدل على شيء ممّا ذكره أصلاً.

أمّا قوله في هذه الآية دلالة على تحريم للإقدام على ما نخاف منه على
النَّفس، فيقال له ما تقول في الجهاد فأنت الخوف على النَّفس فيه مُسلم ومع
ذلك يجب الإقدام عليه بل لو قطع بالقتل كما لو أخبر به الرّسول والإمام مع
ذلك يجب الإقدام عليه فضلاً عن الخوف.

وقوله وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأنّ في ذلك إلقاء
النَّفس إلى التهلكة، والجواب أنّ الأمر بالمعروف من أحكام العقليّة وكذا النّهي
عن المنكر والسّمع مؤكّد وكاشف له وعلى فرض كونهما من الأحكام
الشّرعية كما ذهبت اليه طائفة فوجوبهما متوقّف على العلم بالتأثير أو احتماله
فلو علم المكلّف بعدم التأثير يجوز له تركهما وكذا لو لم يكن عالماً أو قوياً
مطاعاً عليهما وفيهما كما سيأتي البحث في المستقبل إن شاء الله تعالى.

ومحصل الكلام هو أنّ ترك الأمر بالمعروف لا يحتاج إلى الخوف على
النَّفس نعم هو احد مصاديقه وهذا أي جواز الترك لمن خاف على نفسه لا
يختصّ بالمقام ففي الحَجّ والصّوم والصّلاة وسائر الواجبات أيضاً كذلك إلّا أنّ
جواز الترك فيها ليس من أجل الآية وتفصيل الكلام فيه موكول إلى محلّه، و
أمّا قوله وفيها دلالة على جواز الصّلح مع الكفّار والبغاة إذا خاف الإمام على
نفسه أو على المُسلمين.

كما فعله رسول الله عام الحديبيّة وفعله أمير المؤمنين بصقّين وفعله
الحسن مع معاوية لما تشتّت أمره وخاف على نفسه وشيعته.

فنقول أمّا جواز الصّلح مع الكفّار من الرّسول أو الإمام فهو مشروط بوجود
مصلحة الإسلام وأمّا الخوف على النَّفس فلا يكون مجوّزاً للصّلح وذلك لأنّه

إذا دار الأمر بين القتل وبقاء الدين أو حفظه لا يجوز لأحد حفظ نفسه إذا خاف على دينه سواء فيه الرسول والإمام وغيرهما من المسلمين فالصُّلح مع الكُفَّار لأجل تلك المصلحة لا لأجل الحفظ على النفس وما فعله الرسول في الحُدَيْبِيَّة وأمير المؤمنين بصفين والحسن عليه السلام مع معاوية من هذا القبيل فأنهم عليهم السلام لما رأوا مصلحة الإسلام وبقاءه في الصُّلح وترك القتال فعلوا ما فعلوا إذ ليس كل قتال ينفع الإسلام كما أنه ليس كل صلح ينفعه وحيث أن الرسول والإمام يعرفان مواضع القتال والصُّلح وانتفاع الإسلام بهما فحيث رأوا مصلحة الدين في القتال قاتلوا مع الكُفَّار وحيث رأوها في الصُّلح صالحوا حفظ النفس فلا موقع لها في قبال الذين وهذا أمر مسلم لا خلاف فيه عند من عَرَفَ موقع الدين فما ذكره عليه السلام من الأمثلة وجعل الآية دليلاً في غير محلّه وكيف يقول مسلم إن حفظ نفسه أهمّ وأوجب عليه من حفظ دينه حتّى إذا دار الأمر بينهما قدّم نفسه على دينه وأي نفع في الحياة بعد زوال الدين، فإذا كان يجب على كل مكلف حفظ دينه مقدّماً على حفظ نفسه فما ظنك بما إذا دار الأمر بين حفظ النفس وحفظ أساس الدين بل كلّهما في الأمثلة المذكورة إذا عرفت هذا فنقول، أن الرسول صلّى الله عليه وآله أقدم على الصُّلح في الحُدَيْبِيَّة لأنّ بقاء كلّ الإسلام كان يدور مدار وجوده صلّى الله عليه وآله فلو لم يُقدّم على الصُّلح وقتل لم يبق من الإسلام عين ولا أثر وهكذا أمير المؤمنين بصفين والحسن بن علي مع معاوية وهو واضح لا خفاء فيه ولأجل ذلك أقدموا على الصُّلح لأنّ في قتلهم كان قتل الإسلام حقيقةً وفي بقاءهم بقاءه فلو علموا أنّ بقاء الإسلام في قتلهم ما أقدموا على الصُّلح قطعاً فالصُّلح الواقع منهم لم يكن لأجل الآية كما زعمه عليه السلام وأنهم قدّموا نفوسهم على الدين لقوله تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ** بل كان سبباً وموجباً لبقاء الدين ولولا خوف الإطالة وخروج الكتاب عن موضعه لذكرنا في المقام ما هو حقيق بالمقال هذا كلّ مضافاً إلى

أَنْ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ مَوَارِدِ التَّهْلُكَةِ بَلْ هُوَ الْحَيَاةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ^(١)
فَالْآيَةُ أَجَنَّبَتْهُ عَنْ مَوْرِدِ الْبَحْثِ بِالْكَلِيَّةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فَأَنْ عَوْرَضْنَا بِأَنَّ الْحُسَيْنَ قَاتِلَ وَحْدَهُ وَمَا أَجَابَ عَنْهُ بِزَعْمِهِ وَقَالَ
أَنْ فَعَلَهُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ.

أحدهما: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَهُ وَالْآخَرُ أَنَّهُ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ
إِلَى آخِرِ مَا قَالَ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهُ جَدًّا وَلَا أُدْرِي كَيْفَ تَقَوُّهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَهُوَ هُوَ وَ
بِالْجُمْلَةِ مَا ذَكَرَهُ فِي الْمَقَامِ مَرْدُودٌ مَطْرُودٌ مِنْ وَجْهِهِ.

ثانيهما: أَنَّ الظَّنَّ إِسْمٌ لَمَّا يَحْصُلُ عَنْ إِمَارَةٍ وَمَتَى قَوِيَتْ أَدَّتْ إِلَى الْعِلْمِ
وَمَتَى ضَعُفَتْ جَدًّا لَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَّ التَّوَهُّمِ كَمَا أَنَّ الشَّكَّ إِعْتِدَالُ التَّقْيِضِ عِنْدَ
الْإِنْسَانِ وَتَسَاوِيهِمَا وَذَلِكَ لَوْ جُودَ أَمَارَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ عِنْدَ التَّقْيِضِ أَوْ لَعَدَمِ
الْأَمَارَةِ فِيهِمَا وَالْعِلْمُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ وَأَنْ شُكْتُ قَلْتُ الْإِدْرَاكَ أَنَّ حَصَلَ
لِلْمُدْرِكِ عَنْ إِمَارَةٍ قَوِيَّةٍ فَهُوَ الْعِلْمُ وَأَنْ حَصَلَ عَنْ إِمَارَةٍ ضَعِيفَةٍ فَهُوَ الْوَهْمُ حَصَلَ
عَنْ إِمَارَةٍ رَاجِحَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ فَهُوَ الظَّنُّ وَأَنْ كَانَتِ الْأَمَارَتَانِ مُتَسَاوِيَتَانِ وَلَا يَحْصُلُ
الْإِدْرَاكَ فَهُوَ الشَّكُّ وَكُلُّ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ مِنْ شُؤْنِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَهُوَ الصُّورَةُ
الْحَاصِلَةُ مِنَ الشَّيْءِ عِنْدَ الْعَقْلِ وَأَمَّا الْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ حُضُورِ
الْمُدْرِكِ لَدَيْ الْمُدْرِكِ وَلَا صُورَةَ هُنَاكَ وَلَا أَمَارَةَ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ الظَّنُّ
وَالْوَهْمُ وَالشَّكُّ مِنْ أَقْسَامِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَمِنْشَأُ الظَّنِّ وَالشَّكِّ هُوَ الْجَهْلُ فَقَطْ
ضَرُورَةٌ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ جَاهِلًا بِالْمَعْلُومِ لَا يَوْجِدُ لَهُ الظَّنُّ أَوِ الشَّكُّ بِهِ وَهَذَا فِي
الْعُلُومِ الرَّسْمِيَّةِ الْمُتَعَارَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْجُودٌ وَأَمَّا الْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ فَلَا يَتَّصِرُ
فِيهِ الظَّنُّ وَالشَّكُّ وَأَمْثَالُهَا إِذَا لَجَّ هُنَاكَ قَلٌّ أَوْ كَثُرٌ وَلِذَلِكَ لَا يُوصَفُ الْبَارِي
تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ فَلَا يَقَالُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ظَانٌّ أَوْ شَاكٌّ وَلَمَّا ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ

التَّحْقِيقُ أَنَّ عُلُومَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ سِنَخِ عِلْمِ الْوَاجِبِ لَا مِنْ سِنَخِ عِلْمِ النَّاسِ فَلَا مُحَالَةَ عِلْمِهِمْ بِالْأَشْيَاءِ حَضُورِيٍّ أَيْ أَنَّ الْحَقَائِقَ وَالْوَاقِعَ مُنْكَشَفَةً لَدَيْهِمْ وَلِذَلِكَ نَقُولُ فِيهِمْ بِالْعَصْمَةِ أَيْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْخَطَا وَالنَّسِيَانِ وَالسَّهْوِ فِي الْأَقْوَالِ كَمَا عَصَمَهُمُ عَنِ الْخَطَا فِي الْأَعْمَالِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَصُولِيَّ لَا يَخْلُو عَنِ الْخَطَا وَالْغَلَطِ فَكُونُهُمْ مَعْصُومِينَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ خَطَايِهِمْ فِي الْإِدْرَاكِ فَهُمْ عَالِمُونَ بِالْأَشْيَاءِ بِالْعِلْمِ الْحَضُورِيِّ فَقَوْلُ الْقَائِلِ أَنَّهُ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَوْ ظَنُّ كَذَا، شَطَطٌ مِنَ الْكَلَامِ لِأَنَّ مَنْشَأَ الظَّنِّ لَيْسَ إِلَّا الْجَهْلُ بِالْوَاقِعِ وَمَنْ جَهِلَ بِالْوَاقِعِ فَقَدْ يُخْطِئُ وَمَنْ يَخْطِئُ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ وَمَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ لَيْسَ بِإِمَامٍ وَهُوَ كَمَا تَرَى خِلَافَ الْفَرَضِ إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِمَامًا مَعْصُومًا وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلٌ بِهِ بَلْ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَكْبُورُ.

ثانيهما: لَوْ ظَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَلَزِمَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَاهِلًا بِالْوَاقِعِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ أَيْ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِالْوَاقِعِ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ فَأَيُّ رُجْحَانٍ لِلْإِمَامِ عَلَى الْمَأْمُومِ إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنَّ الْإِمَامَ كَالْمَأْمُومِ مِنْ حَيْثُ الْجَهْلُ بِالْوَاقِعِ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

ثالثها: لَوْ فَرضْنَا أَنَّهُ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ قَتَلَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ زِيَادٍ صَبْرًا كَمَا فَعَلَهُ بِابْنِ عَمِّهِ مُسْلِمٍ فَكَانَ الْقَتْلُ مَعَ عَزِّ النَّفْسِ وَالْجِهَادِ أَهْوَنَ عَلَيْهِ فَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ يَجُوزُ شَرْعًا الْإِقْدَامُ عَلَى الْقَتْلِ بِمَجَرَّدِ الظَّنِّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ الْقِتَالَ قَتَلَهُ الْمَلْعُونُ بَلْ كَيْفَ يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَى فَرَضِ الْعِلْمِ بِهِ فَضْلًا عَنْ الظَّنِّ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِلْقَاءِ إِلَى التَّهْلُكَةِ هَذَا أَوَّلًا.

ثانيًا: كَيْفَ يَصْدُقُ عَلَى هَذَا الْقِتَالِ الْجِهَادُ وَأَيُّ جِهَادٍ هُوَ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْقِتَالِ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى وَفِي سَبِيلِهِ وَأَنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ عَزِّ النَّفْسِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْ لَا يَكُونَ مَقْتُولًا بِيَدِ الْمَلْعُونِ ابْنِ زِيَادٍ.

وابعها: على فرض التسليم وإن ذلك الظن كان مجزئاً للقتال حتى قُتل، فهل يكون ذلك الظن الذي صار مجزئاً لقتله حجة له بينه وبين الله في حق غيره ممن كان معه من الأولاد والأصحاب الذين قتلوا معه ولا سيما الطفل الرضيع اللهم إلا أن يقول المدعي أنه أي الحسين عليه السلام ما كان عالماً بقتلهم قبل وقوع القتل فيرجع البحث بالأخرة إلى جهله عليه السلام بما سيقع من القتل والنهب والأسر وسائر الحوادث المؤلمة وإذا كان كذلك فكيف يكون إماماً عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة كما ثبت هذا في بحث الإمامة هذا كله بحسب العقل وأما النقل فقد دلت الأحاديث الواردة في الباب عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه مقتول هذه الأمة على حد التواتر بل فوق التواتر ويكفيك في إثبات المدعى مؤلفات القوم من العامة والخاصة وقد خصص المجلسي رحمه الله في البحار لذلك باباً على حدة فقال باب ما أخبر به الرسول وأمير المؤمنين والحسن عليه السلام بشهادته فهل يمكن أن يقال أن الحسين لم يسمع هذه الأخبار عن جدّه وأبيه وأخيه، فإن سمع كيف لم يقطع بالشهادة حتى غلب على ظنه كذا وكذا ألم يعلم أن كل ما أخبر به الرسول حق لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، أن هو إلا وحي يوحى، بلى أنه عليه السلام قد سمع عن جدّه وأبيه وأخيه ما سمع وكان عالماً بشهادته بعلمه الذي أخذه عن علام الغيوب ولم يكن شاكاً فيها أبداً ولذلك كان عليه السلام يخبر بشهادته صريحاً في أكثر المواطن روي أنه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال عليه السلام، الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم - خط الموت على ولد آدم مخط الفلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا ألافه كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا مَحِيص عن يوم خُطّ بالقلم رضى

اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ نَصِيرًا عَلَىٰ بَلَاءِهِ يُؤْفِينَا أَجُورَ الصَّابِرِينَ لَنْ يَشُدَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لِحِمَّتِهِ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ تَقَرَّبُهُمْ عَنْهُ وَتَنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ مَنْ كَانَ فِيْنَا بِذَلِكَ مُهْجَتُهُ مُوْطِنًا عَلَىٰ لِقَاءِ اللَّهِ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَاتَّيَ رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

روى هذه الخطبة في كشف الغمّة عن كمال الدين بن طلحة، ورواها المجلسي رحمته الله في البحار وغيرهما في غيرهما.

وَلَمَّا نَزَلَ عليه السلام بِبَطْنِ الْعُقْبَةِ لَقِيَهِ شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَكْرَمَةَ يُقَالُ لَهُ عُمرُ بْنُ يَرْذَانَ قَالَ لَهُ أَيْنَ تَرِيدُ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام الْكُوفَةَ فَقَالَ الشَّيْخُ أُنَشِّدُكَ اللَّهَ لَمَّا انْصَرَفْتَ قَوْلَ اللَّهِ مَا تُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى الْأَسِنَّةِ وَحَدِّ السِّوْفِ وَأَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَيْكَ لَوْ كَانُوا كَفُوكَ مَوْنَةَ الْقِتَالِ وَطَوَّوْا لَكَ الْأَشْيَاءَ فَقَدِمْتَ عَلَيْهِمْ كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا نَامًا عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ الَّتِي تَذَكَّرُ بِأَنِّي لَا أَرَى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَيْسَ يَخْفِي عَلَيَّ الرَّأْيَ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ عَلَى أَمْرِهِ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: وَاللَّهِ لَأَيَّدَعُونَنِي حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَلَقَةَ مِنْ جَوْفِي فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ يُذَلِّهِمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ فِرْقِ الْأُمَمِ انْتَهَى نَقْلُهُ فِي الْبَحَارِ عَنِ الْمُفِيدِ رحمته الله.

أقول أنظر إلى هذه الكلمات ثم أقض ما أنت قاض، فأنها صريحة في المدعى وهو أنه كان عالماً بشهادته فيكيف يقال أنه غلب على ظنه كذا ولولا مخافة الإطالة وخروج الكتاب عن موضوعه لذكرت لك فصلاً مشبعاً ولكن الميسور لا يترك بالمعسور فربما ما ذكرناه كفاية لأولي الدراية.

أَنْ قُلْتَ فَمَا تَقُولُ فِي الْبَابِ وَمَا رَأَيْكَ فِيهِ - قُلْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْحَقِّ وَالتَّحْقِيقِ وَهُوَ أَنَّ قِضِيَّةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَإِقْدَامَهُ عَلَى الْقِتَالِ حَتَّى يُنْجَرَ إِلَى شَهَادَتِهِ خَارِجَةٌ عَنِ مَصَادِيقِ آيَةِ خُرُوجِهِ تَخْصِصِيًّا لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي وَجُوبِ حِفْظِ النَّفْسِ عَنِ الْإِلْقَاءِ فِي التَّهْلُكَةِ أَعْنِي بِهَا الْمَوْتَ أَوِ الْقَتْلَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَ

لا يكون مَرْضِيًّا عند الله وهو الَّذِي يُسَمَّى بِالْإِتِّحَارِ وهو حرام عقلاً وشرعاً و
 أمّا الموت أو الشَّهادة في سبيل الله فهو ليس من التَّهْلُكَةِ بشيء بل هو عين
 الخير والسَّعادة والحياة لو كانوا يعلمون ولا سيَّما فيما اذا كان وجود الدِّين أو
 بقاءه متوقِّفاً على تَرْك النَّفْس وإيثار الموت على الحياة الفانية ففي هذه الصُّورة
 يجب إختيار الموت أو الشَّهادة على كُلِّ مكلَّفٍ بمعنى أَنَّهُ لا محيص له عنه
 شرعاً كما في قِصَّةِ الحسین عَلَیْهِ السَّلَام وبهذا الدَّلِيل قتل مَعَهُ عَلَیْهِ السَّلَام من قتل من
 الأصحاب لأنَّهم أيضاً كانوا مكلَّفين بالقتال ولذلك قاتلوا حتَّى قتلوا غيرهم من
 المُسلمين فقد عصوا بتقاعدهم عن القتال وعدم نصرتهم دين الله كُلِّ ذَلِكَ
 لعلمه عَلَیْهِ السَّلَامُ بأنَّ بقاء الدِّين موقوفٌ على شهادته لذلك قال عَلَیْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَانَ دِينُ
 مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ إِلَّا بِقَتْلِي فَيَا سَيُوفَ خُذِينِي.

وبذلك ظهر لك أَنَّ قياس الحسین بجَدِّه وأبيه وأخيه من هذه الجهة قياسٌ
 مع الفارق، لأنَّهم عليهم السَّلام علموا وقَطَعُوا بقاء الدِّين مع الصُّلح، وأمّا
 الحسین عَلَیْهِ السَّلَامُ علم ببقاءه مَعَ الشَّهادة فالمِلاك في الطَّرَفَيْنِ حفظ الدِّين لا حفظ
 النَّفْس كما زعمه الطَّبْرسي رَحِمَهُ اللهُ وَلَنَعَمَ مَا قِيلَ:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعِهِ وَجَاوِزِهِ إِلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا
 اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى
 يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ
 آدَى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ
 أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى
 الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ
 فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ
 تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ
 حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

◀ اللغة

اتَّمُّوا: أمرٌ من الإتمام أي أكملوا.
 الْحَجَّ: أصل الحج القصد للزيارة ثم خُصَّ في تعارف الشرع بقصد بيت
 الله تعالى إقامة للنسك.
 وَالْعُمْرَةَ: بضم العين وسكون الميم في الأصل الزيارة التي فيها عمارة الوُدِّ
 وجعل في الشريعة للقصد المخصوص.
 أُخْصِرْتُمْ: أصل الحصر التضييق، والحصر والإحصار المنع من طريق
 البيت فالإحصار في المنع الظاهر كالعدو والحصر في المنع الباطن والمقام
 محمول على الأمرين.

اسْتَيْسَرَ: فعل ماضٍ مصدره الإستيسار يقال إستيسر أي تسهل وتهاين.
 الْهَدْي: بسكون الدال مختص بما يهدي إلى البيت قال الأخفش والواحدة
 هدية.

لَا تَحْلِقُوا: الحلق العضو المعروف وحلقه قطع حلقه ثم جعل الحلق لقطع الشعر وجزه ف قيل حلق شعره.

رُؤُسَكُمْ: الرؤوس جمع رأس وهو معلوم.

أَذَى: الأذى ما يصل الى الحيوان من الضرر يقال آذيته أُوذِيه إِيذاءً وأَذِيَّةً وأَذَى.

فَقْدِيَّةٌ: الفدية ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قَصَر فيها مثل كفارة اليمين وكفارة الصوم.

نُسُكٍ: بضم نون العبادات والناسك العابد واختص بأعمال الحج والمناسك مواقف النُسك.

الإعراب

وَالْعُمْرَةَ الْجَمْهُورَ عَلَى النَّصْبِ مَعْطُوفاً عَلَى الْحَجِّ وَقِيلَ عَلَى الْحَالِيَةِ وَتَقْدِيرُهُ كَانَيْنِ لِلَّهِ وَيَجُوزُ فِيهَا الرِّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ فَمَا أُسْتَيْسَرَ مَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيْ فَعَلَيْكُمْ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ خَبِراً وَ الْمَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ أَيْ فَالْوَاجِبُ مَا اسْتَيْسَرَ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا، فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ تَقْدِيرُهُ فَأَهْدُوا أَوْ فَادُوا، وَإِسْتَيْسَرَ بِمَعْنَى تَيْسَرَ وَلَا سَيْنَ لَيْسَتْ لِلْإِسْتِدْعَاءِ هُنَا الْهُدَى بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُهْدِي، وَيَقْرَأُ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ وَهُوَ جَمْعُ هَدِيَّةٍ وَقِيلَ هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مَحِلُّهُ، وَالْمَحَلُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَاناً وَأَنْ يَكُونَ زَمَاناً فَفَقْدِيَّةٌ تَقْدِيرُهُ الْكَلَامُ فَحَلَقْ فَعَلِيهِ فِدِيَّةٌ مِنْ صِيَامٍ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ صِفَةً لِلْفِدْيَةِ أَوْ هَاهُنَا لِلتَّغْيِيرِ عَلَى أَصْلِهَا أَوْ نُسُكٍ، النُّسُكُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ لِأَنَّهُ مِنْ نَسَكَ يَنْسُكُ وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْمَنْسُوكُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِسْمًا لَا مَصْدَرًا وَيَجُوزُ تَسْكِينُ السَّيْنِ فِيهَا فَإِذَا آمَنْتُمْ إِذَا فِي مَوْضِعٍ فَمَنْ تَمَتَّعَ، شَرْطُ فِي مَوْضِعٍ مَبْتَدَأٌ فَمَا

اسْتَيْسَرَ جوابه و من جوابها جواب اذا، و العامل في اذا، معني الإستقرار و يجوز أن تكون من، بمعني الذي و دخلت الفاء في خبرها فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ، في موضع رفع بالابتداء و يجوز أن تكون شرطاً و أن تكون بمعني الذي، و التقدير فعليه صيام و قرأ صياماً بالنصب على تقدير فليصم و المَصْدَر مضاف الى ظرفه في المعني و هو في اللفظ مفعول به على السَّعة وَ سَبْعَةٌ معطوفة على ثلاثة و قرأ سبعة بالنصب و التقدير أن تصوموا سبعة أو لتصوموا سبعة أو وصوموا سبعة ذَٰلِكَ لِمَنْ اللَّام على أحد أي ذلك جائز لِمَنْ و قيل اللام بمعني على، أي الهدي على من لم يكن أهله كقوله أولئك لهم اللَّعْنَةُ.

التفسير

في هذه الآية مسائل الأولى.

وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

لا خلاف عند المسلمين في وجوب الحجّ وأنه من ضروريات الدين بمعني أن منكره كافر مُرْتَد اذا كان عن فطرة و أما العُمرة فإختلفوا فيها فروي عن الشعبي أنه قال بعدم وجوبها ولذلك قرأها في المقام بالرفع على الابتداء و به قال أهل العراق و عندنا أنها واجبة كوجوب الحجّ و به قال الشافعي و الجمهور على النصب فيها عطفاً على قوله : وَأَتَمُّوا الْحَجَّ و تقديره أَتَمُّوا الْحَجَّ و أَتَمُّوا العُمرة لِلَّهِ، ثم أن الله تعالى أمر جميع من توجه اليه وجوب الحجّ أن يتمّ الحجّ والعُمرة و هذا ممّا لا خلاف فيه لدلالة صريح الآية عليه و أتما الخلاف في الوجوب والتدب بالنسبة اليها وكيف كان قيل في معني إتمامها أقوال:

أحدها: أنه يجب إتمامها بعد الدخول فيهما و هو قول مجاهد والمبرّد و الجبائي.

ثانيها: أنَّ المراد به إقامتها إلى آخر ما فيهما لأنهما واجبان وبه قال سعيد بن جببر وعطاء والسدي.

ثالثها: أنَّ المراد بإتمامهما أفرادهما وبه قال طاووس.

رابعها: قال قتادة الإعمار في غير أشهر الحجِّ وأصحَّ الأقوال الأول وبه قال الشيخ في التبيان، ثمَّ أنَّ الحجَّ هو القصد إلى البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة بها في أوقات مخصوصة ومناسك الحجِّ على قسمين مفروضٌ و مسنونٌ.

والمفروض منها ركنٌ وغير ركن، والأركان ستّة أحدها النية وثانيها الإحرام وثالثها الوقوف بعرفة ورابعها الوقوف بالمشعر وخامسها طواف الزيارة و سادسها السعي بين الصفا والمروة وأما غير الأركان من واجباته، التلبية، و ركعتا طواف الزيارة، و طواف النساء.

وركعتا الطواف له.

وأما المسنونات: فالجهر بالتلبية، واستلام الأركان، وإيام منى، ورمي الجمار، والحلق أو التقصير والأضحية أن كان مُفرداً و أن كان مُتَمَتِّعاً فالهدي واجبٌ عليه وإلا فالصوم الذي هو بدلٌ عنه و تفصيل ذلك في الفقه.

وَأَمَّا الْعُمْرَةُ فَهِيَ واجبة عندنا كوجوب الحجِّ وبه قال الحسن وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعطاء وأمثالهم ومن الأئمة الأربعة عند القوم، وافقنا فيه الشافعي، وقال أهل العراق أنها مسنونة غير واجبة ونقل عن ابن مسعود أنه قال فيه خلاف، فَمَنْ قال بعدم وجوبها قال لأنَّ الله تعالى أمر في الآية بإتمام الحجِّ والعمرة ووجوب الإتمام لا يدلُّ على أنه واجب قبل ذلك كما أنَّ الحجَّ المتطوع به يجب إتمامه و أن لم يجب الدخول فيه قالوا و أنما علينا وجوب الحجِّ بقوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** (١).

و من قال بوجوبها قال أن الله تعالى قال: **وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ أَي**
أَقِمُوها، وهو الأقوى و عليه المذهب لأنه المروي عن علي والأئمة بعده
عليهم السلام و به قال مسروق والسدي وغيرهما وأصل العُمرة الزيارة لغة و
في الشرع عبارة عن زيارة البيت، لاداء مناسك مخصوصة أي وقت كان من
أيام السنة و أفعالها الواجبة، النيّة، والإحرام، والطواف، والصلاة عند المقام
والسعي بين الصفا ولمرة و طواف النساء و في بعض ذلك خلاف و تفصيله
في الفقه و مع ذلك نذكر في المقام ما لا بد لنا من ذكره الأول، أقسام الحج و
هي ثلاثة، قال العلامة في التحرير الحج على ثلاثة أنواع، تمتّع، و قرآن و أفراد،
فصورة التمتع أن يحرم من الميقات بالعمرة المتمتع بها إلى الحج ثم يدخل
مكة فيطوف سبعة أشواط بالبيت و يصلي ركعتي الطواف بالمقام و يسعى بين
الصفا و المروة سبعة أشواط ثم يقصر و قد أحل من كل شيء أحرم منه ثم
ينشي إحراماً آخر للحج من مكة يوم الترويه و إلا فيما يعلم معه إدراك الوقوف
ثم يمضي إلى العرفات فيقف بها إلى الغروب ثم يفيض إلى المشعر الحرام
فيقف به بعد طلوع الفجر ثم يفيض إلى منى و يرمي جمره القضيته ثم يذبح
هديه ثم يحلق رأسه ثم يأتي مكة ليومه أو من غده فيطوف للحج و يصلي
ركعتيه ثم يسعى سعي الحج ثم يطوف طواف النساء و يصلي ركعتيه ثم يعود
إلى منى ليرمي ما تخلف عليه من الجمار الثلاث يوم الحادي عشر والثاني
عشر والثالث عشر، وأمّا صورة الأفراد أن يحرم من الميقات أو من حيث يصح
الإحرام منه بالحج ثم يمضي إلى عرفات فيقف لها ثم يقف بالمشعر الحرام ثم
يأتي منى فيقضي مناسكه بها ثم يطوف بالبيت للحج و يصلي ركعتيه ثم يأتي
بعمرة مفردة من أدنى الجبل.

و صورة القران كذلك إلا أنه يضيف إلى إحرامه سياق الهدي.

الثاني: حج التمتع فرض على من نأى عن المسجد الحرام وليس من

حاضريه ولا يجز به غيره مع الإختيار وأما الرقان والأفراد فهو فرض أهل مكة وحاضريها فلو عدلوا الى التمتع ففي الأجزاء قولان احدهما أنه يجزي والثاني أنه لا يجزي وهو الأقوى عند العلامة والأول أقوى عند الشيخ.

الثالث: حدّ حاضري المسجد الحرام الذين لا متعة عليهم من كان بين منزله وبين المسجد اثني عشر ميلاً من كلّ جانبٍ وقيل ثمانية وأربعون ميلاً اختيار ابن بابويه والعلامة والشيخ في أحد قوليهِ ولا يجوز إدخال الحجّ على العمرة كما لا يجوز القران بين الحجّ والعمرة في إحرام واحدٍ.

الرابع؛ في تروك الاحرام يجب على المحرم اجتنب عشرين شيئاً: صيد البر، والنساء، والطيب، ولبس المخيط للرجال، والإكتحال بالسّواد وما فيه طيب والتّظر في المرأة ولبس الخفين وما يستر ظهر القدم، والفسوق الكذب والجدال وهو قول لا والله وبلى والله وقتل هوام الجسد ولبس الخاتم للزينة ولبس المرأة الحلي للزينة وما لم يعتد لبسه منه وإستعمال دهنٍ فيه طيب، وإزالة الشعر، وتغطية الرأس والتّظليل سائراً، وإخراج الدّم، وقصّ الأظفار، وقطع الشّجر والحشيش، وتغسيل الميت المحرّم بالكافور ولبس السّلاح، وتفصيل الحكم في كلّ واحدٍ من هذه الأمور في كتب الفقهيّة هذا كله في الحجّ.

وأما العمرة فهي واجبة مثل الحجّ بشرائطه في العمر مرة واحدة على الفور على أهل مكة وغيرهم وهي قسمان:

أحدهما: العمرة المفردة.

ثانيهما: العمرة المتمتّع بها فالأولى واجبة على القارن والمفرد والثانية على المتمتّع ويجزي الثانية عن الأولى، صورة العمرة أن يحرم من الميقات الذي يسوغ له الإحرام منه ثمّ يدخل مكة فيطوف ويصلّي ركعتيه ثمّ يسعى بين الصفا والمروة ولقصير ثمّ أن كانت عمرة التمتع فقد أحلّ من كلّ شيء

أُحْرِمَ مِنْهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِتْيَانُ بِالْحَجِّ وَأَنْ كَانَتْ مَفْرَدَةً طَافَ بَعْدَ التَّقْصِيرِ أَوْ الْحَلْقِ طَوَافَ النِّسَاءِ لِيَحْلُلْنَ لَهُ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْهِ وَلَا يَتَمَتَّعَ بِهَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَحَاضِرِيهَا وَالْمَفْرَدَةِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَحَاضِرِيهَا وَلَا يَصِحُّ الْأَوَّلَى إِلَّا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَيَسْقُطُ الْمَفْرَدَةُ مَعَهَا وَيَصِحُّ الثَّانِيَةُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ السَّنَةِ عَلَى التَّفَاصِيلِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْفَقْهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَأَتُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** وَفِي قَوْلِهِ لِلَّهِ إِيَّاهُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ يَشْتَرِطُ فِيهِمَا النِّيَّةُ أَعْنِي بِهَا إِيَّانَ الْفِعْلِ بِقَصْدِ الْقُرْبَةِ وَعَلَيْهِ فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لِلَّهِ، لِلإِخْتِصَاصِ أَيَّ أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مَخْتَصَّانَ بِهِ تَعَالَى.

المسألة الثانية: فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ. يجوز أن يكون موضع، ما، الرِّفْعُ أي فعليكم، أو النَّصَب، أي فأهدوا أو أبعثوا، والإحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف أو المرض من التصرف، قد أحصر فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حُصر فهو محصور ونقل عن الفراء أنه قال يجوز أن يقام كل واحدٍ منها مقام الآخر وخالفه المبرد والرجاج وكيف كان فالذي يستفاد من الأخبار استعمال كل من اللفظين أعني المحصر والمحصور والمراد بالحصر المنع عن إتمام أفعال الحج سواء كان بالصد من العدو أم بالمرض هكذا قيل ونقل عن المنتهى إ اتفاق الأصحاب على تغاير الصد والحصر كذلك ويؤيد ذلك ما رواه معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال المحصور غير المصدود وقال المحصور هو المريض والمصدود هو الذي يرده المشركون كما ردوا رسول الله وأصحابه وليس من مريض والمصدود تحل له النساء والمحصور لا تحل له النساء انتهى.

وقال في القاموس الحصر كالضرب والنصر التضييق والحبس عن السفر وقال، صد فلاناً عن كذا أي منعه ونحوه قال في الصحاح ومقتضى كلامهما

ترادف اللَّفْظَيْن وهو قول أكثر الجُمهور قال في الكَشَاف في تفسير الآية يقال أَحْصَرُوا فلان إذا منعه أمرٌ من خوفٍ أو مرضٍ أو عجزٍ قال الله تعالى: **الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ^(١) و حصر إذا حبسه عدو عن المضى أو سجن ومنه قيل للمحبس الحَصِير وللملك الحَصِير لآثمه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صدّه وأصدّه انتهى كلامه.

قال الشيخ في التبيان قوله فَأَنْ أُحْصِرُوا فيه خلاف، قال قوم فأن منعكم خوفٌ أو عدوٌ أو مرضٌ أو هلاكٌ بوجهٍ من الوجوه فإمتنعتم لذلك وقال آخرون أن منعكم حابسٌ قاهرٌ فالأول قول مجاهد وقَتادة و عطا وهو المروى عن ابن عباس وهو المروى في أخبارنا والثاني، ذهب إليه مالك بن أنس و الأول أقوى لما روي في أخبارنا ولأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء و حصره منعه ولهذا يقال حُصِر العدو ولا يقال أحصر انتهى. أقول فعلى هذا قوله تعالى: **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ** معناه أن منعكم خوفٌ أو عدوٌ أو مرضٌ أو هلاكٌ بوجهٍ من الوجوه و صرتم بذلك ممنوعين عن إتيان الحجِّ **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** أي إبعثوا ما أمكنكم من إبلٍ أو بقرةٍ أو غنمٍ، قال الشيخ روي عن عليٍّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وابن عباس والحسن وقَتادة أنه شاةٌ وروي عن ابن عمر وعائشة أنه ما كان من الإبل والبقرة وغيره والأول هو المعمول عليه عندنا، والهدي جمع هدية كجدي جمع جديّة أو مفرد مؤنثة، هدية وجمعه هديّ بالتشديد أمّا من الهداية أو من هداه إذا ساقه إلى الرّشاد لآثمه يساق إلى الحرم، وقوله ولا تحلفوا رؤسكم، يمكن أن يكون النّهي عن الأكلال ويكون التعبير بالخلق من قبيل التعبير بالجزء عن الكلّ و يحتمل أن يكون النّهي عن الخلق نفسه، و عليه فيكون النّهي عن بقية محرّمات الإحرام معلوماً من الفحوى أو من دليل آخر و ظاهر الآية والروايات والفتوى شمول الحجِّ

والعمرة في هذا الحكم، ومحله مكة أن كان معتمراً أو منى أن كان حاجاً، و قال بعض العامة لا إحصار في العمرة وفسر الشافعي المحل في قوله: حتّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ بالموضع الذي صد فيه و الحنفية فسره بالحرم، ويدل على ما ذكرناه.

ما رواه في الصحيح عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل أحصر فبعث بالهدي قال يواعد أصحابه ميعاداً أن كان في الحج فمحلّ الهدي يوم النحر فإذا كان يوم النحر فليقتصر من رأسه ولا يجب عليه الحلق حتّى يقضي المناسك، وأن كان في العمرة فلينظر مقدار دخول أصحابه مكة والساعة التي يعدهم فيها فإذا كان تلك الساعة قصر وأحلّ وأن كان مرض في الطريق بعد ما يخرج فأراد الرجوع إلى أهله رجع إليه ونحر بُدنه أو أقام مكانه حتّى يبرأ إذا كان في عمرة فإذا أبرئ فعليه العمرة واجبة، قلت أن كان عليه الحج فرجع أو أقام ففاته الحج قال عليه السلام من قابل فأَنَّ الحسين ابن علي عليه السلام خرج معتمراً فمرض في الطريق وبلغ علياً ذلك فخرج في طلبه فأدركه بالسقياء وهو مريض فقال عليه السلام يا بُني ما تشتهي فقال عليه السلام أشتهي رأسي فدعا عليّ ببدنه فنحرها وحلق رأسه وردّه إلى المدينة فلما برأ من وجعه إعتمر قلت أرايت حين برأ من وجعه قبل أن يخرج إلى العمرة حلّ له النساء قال عليه السلام لا يحلّ له النساء حتّى يطوف بالبيت وبالصفا والمروة.

قلت فما بال رسول الله حين رجع من الحديبية حلّ له النساء ولم يطف بالبيت قال عليه السلام ليسا سواء كان النبي صلى الله عليه وآله مصدوداً والحسين محصوراً انتهى.

أقول يظهر من هذه الرواية أنَّ الصَّد غير الحصر و عليه فحكم المصدود
يغير حكم المحصور و ظاهر الآية أيضاً يقتضي ذلك.

و أيضاً روي الشيخ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: اذا
أحصر الرجل بعث بهديه الحديث، وفي الموثق عن زرعة قال
سألته عن رجلٍ أحصر في الحجَّ قال عليه السلام فليبعث بهديه اذا كان مع
أصحابه و محلّه أن يبلغ الهدى محلّه، و محلّه منى اذا كان في الحجَّ
و أن كان في عمرة نحر بمكة و أنما عليه أن يعدهم لذلك يوماً فاذا
كان، ذلك اليوم فقد وفى و اذا اختلفوا في الميعاد لم يضّره إن شاء
الله تعالى انتهى.

وفي الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال المصدود يذبح حيث
صدّوا يرجع صاحبه فيأتي النساء، والمحصور يبعث بهديه و
يعدهم يوماً فاذا بلغ الهدى محلّه أحلّ هذا في مكانه انتهى.

المسألة الثالثة: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ
صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ أَي فَمَنْ كَانَ مَرِيضاً يَحْتَاج فِيهِ إِلَى الْحَلْقِ أَمَا لَزَفَعِهِ
بِالْكَلْبَةِ أَوْ لَعْدَمِ زِيَادَتِهِ أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ كَالْهُوَامِ، فَفِدْيَةٌ، أَي فَالْوَجِبُ أَوْ
فَعَلَيْكُمْ فِدْيَةٌ إِذَا حَلَقْتُمْ فَيُشْعَرُ بِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ أَوْ مَقْتَضَاهُ
أَنَّهُ لَوْ بَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكَانَ اثْمًا وَقِيلَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَرَضُ بَيَانُ
الْجَوَازِ ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ الْفِدْيَةَ بِالْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، وَقَالَ فِي التَّبْيَانِ فَلَا أَذًى كَلَّمَا
تَأْذَيْتَ بِهِ وَرَجُلٌ، أَيْ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ التَّأْذَى وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ
فِي إِنْسَانٍ يَعْرِفُ بِكَعْبِ بْنِ حَجْرَةَ وَرَوَى أَيْضاً ذَلِكَ أَصْحَابُ التَّأْوِيلِ فِي أَنَّهُ
كَانَ قَدْ قَمَلَ رَأْسُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ لَكِنَّمَا مَحْمُولَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَذَى
انتهى كلامه.

وقال في قوله تعالى: **فَقَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ** فالذي رواه أصحابنا أنَّ الصَّيَامَ ثلاثة أيَّام أو صدقة ستَّة مساكين و روى عشرة مساكين، والنُّسْكَ، شاة، وفيه خلاف بين المُفَسِّرِينَ فعن كعب بن حجرة الأنصاري، و مجاهد و علقمة و إبراهيم و الرِّبِيع و الجبائي مثل ما قلناه و عن الحسن و عكرمة صوم عشرة أيَّام أو إطعام عشرة مساكين لكلِّ مسكين نصف صاع بلا خلاف ولم يختلفوا في النُّسْكَ أنَّه شاة انتهى.

أقول روي في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال: مَرَّ رسول الله ﷺ على كعب بن حجرة والقمل يتناثر من رأسه وهو محرم فقال ﷺ: له أتؤذيك هو أمك فقال نعم فأنزلت هذه الآية فَمَنْ كان منكم الآية فأمره رسول الله ﷺ أَنْ يَحْلُقَ وَجَعَلَ الصَّيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ الصَّدَقَةَ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِّدَّانٍ وَ النُّسْكَ شَاةً قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ فَصَاحِبِهِ بِالْخِيَارِ يَخْتَارُ مَا شَاءَ وَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ كَذَا، فَالْأَوَّلُ بِالْخِيَارِ انْتَهَى.

وهذه الرواية رواها الشيخ في التهذيب عن أبي عبد الله من غير إرسالٍ و ما تَضَمَّنَتْه من وجوب الفدية فهو مجمع عليه كما نقله في المُتَنَهَّى و لأخلاف أيضاً في التَّخْيِيرِ فِيهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ وَ كَذَا لا خلاف في تَقْدِيرِ الصَّوْمِ بِالثَّلَاثَةِ وَ النُّسْكَ بِذَبْحِ شَاةٍ، نَعَمْ اِخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الصَّدَقَةِ وَ مَا تَضَمَّنَهُ الْخَبَرُ مِنْ إِطْعَامِ السِّتَةِ وَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّدَّانٍ هُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رَوَايَةُ الْمَذْكُورَةِ وَ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى وَجوبِ إِطْعَامِ عَشْرَةِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِدَّ وَاحِدٍ وَ قَدْ وَرَدَتْ بِهِ أَيْضاً رَوَايَةٌ إِلَّا أَنَّهَا مَجْهُولَةٌ سَنَدُهَا مَطْرُودَةٌ عَمَلًا، وَ أَمَّا الْعَامَّةُ فَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ ذَكَرَ النُّسْكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُفَسِّرًا فَأَتَمَّا ذَكَرَهُ بِشَاةٍ وَ هُوَ أَمْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَ أَمَّا الصَّوْمُ وَ الْإِطْعَامُ فَاِخْتَلَفُوا فِيهِ

فجمهور فقهاء المسلمين على أنَّ الصَّوم ثلاثة أيام وهو محفوظ صحيح في حديث كعب بن حجرة وجاء عن الحسن وعكرمة ونافع أنَّهم قالوا الصَّوم في فدية الأذى عشرة أيام والإطعام عشرة مساكين ولم يقل أحدٌ بهذا من فقهاء الأمصار والأئمة الحديث وأما الإطعام في فدية الأذى فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم الإطعام في ذلك مَدَّان بمدَّ النَّبي ﷺ وهو قول أبي ثور وداود وروي عن الثوري أنَّه قال في الفدية من البر نصف صاع ومن التمر والشعير والزبيب صاع، وروي عن أبي حنيفة أيضاً مثله وقال أحمد بن حنبل مرةً كما قال مالك والشافعي ومرةً قال إن أطعم برأ فمداً لكل مسكين وإن أطعم تمرأ فنصف صاع انتهى ما ذكره القرطبي ولا نعلم مأخذ هذا التفصيل أين هو.

المسألة الرابعة: فَإِذَا آمَنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ أي إذا كنتم في حال أمن وسعة قادرين على الحج غير محصورين بالمرض ولا مصدودين بالعدو ونحوه، فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، أي انتفع بالتقرب بها إلى الله مُتَّهياً بالانتفاع بذلك إلى التقرب والانتفاع بها إلى الحج فالباء للاله أو للسببية، ويحتمل أنَّ المعنى أنَّ من إنتفع بسببها بإستباحة ما كان قد حرم عليه إلى أن يوقع الإحرام للحج قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ففرض التمتع عندنا هو اللازم لكل من لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحَدَّ حاضري المسجد الحرام من كان على أثني عشر ميلاً من كل جانب إلى مكة ثمانية و أربعين ميلاً فما خرج عنه فليس من الحاضرين ولا يجوز له مع الإمكان غير التمتع وأما عند الضرورة فيجوز له القران والافراد ومن كان من حاضري المسجد الحرام لا يجوز له التمتع وأتما فرضه القران والأفراد على ما تفسره في القران والأفراد ثم أنَّ سياق الممتنع أن يحرم من الميقات في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ثم يخرج إلى مكة فيطوف

بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ويقف هناك ويفيض الى المشعر ويعد منها الى منى ويقضي مناسكه هناك ويدخل في يومه الى مكة فيطوف بالببيت طواف الزيارة ويسعى بين الصفا والمروة ويطوف طواف النساء وقد أحل من كل شيء ويعود الى منى فيبيت ليلي بها ويرمي الجمار في ثلاثة أيام على ما هو مذكور في الفقه مفصلاً.

المسألة الخامسة: قوله تعالى فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا خلاف في وجوب الهدي على المتمتع لظاهر التنزيل وأما الخلاف في أنه نسك أو جبران، أما نحن فنقول أنه نسك ثم أن لم يجد بالهدي ولا ثمنه صام ثلاثة أيام في الحج قال في التبيان وعندما أن وقت الصوم الثلاثة يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة فأن صام في أول العشرة جاز ذلك رخصة وأن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوماً آخر بعد التشريق فأن فاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات، وروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد أنه يجوز ما بين إحرامه في أشهر الحج الى يوم عرفة واستحبوا أن يكون يوماً قبل التروية ويوم عرفة ثم قال عليه السلام وقت صوم السبعة أيام اذا رجع الى أهله وقال مجاهد اذا رجع عن حجة في طريقه فأما أيام التشريق فلا يجوز صومها عندنا لنهي النبي عن صوم أيام التشريق، روي عن ابن عمر وعائشة جوازه انتهى كلام الشيخ عليه السلام.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وأما العامة ففيه عندهم خلاف فقال بعضهم، والثلاثة الأيام في الحج آخرها يوم عرفة وبه قال طاووس، وروي عن الشعبي وعطاء ومجاهد والحسن

البصري و أصحاب الرأي و قال أبو حنيفة على ما حكى عنه يصومها في إحرامه بالعمرة لأنه أحد أحرامي التمتع فجاز صوم الأيام فيه كإحرامه بالحج و نقل عنه قول آخر وهو يوافق مذهبنا أي يصوم يوماً قبل التروية و يوم التروية و يوم عرفة، و عن ابن عباس و مالك بن أنس، له أن يصومها منذ يحرم بالحج إلى يوم النحر لأنه إذا صامها في العمرة فقد أتاه قبل وقته فلم يجزه واللّه تعالى يقول، فصيام ثلاثة أيام في الحج، و قال الشافعي وابن حنبل يصومهنّ ما بين أن يهّل بالحج إلى يوم عرفة و به قال ابن عمر و عائشة قالوا، ليكون يوم عرفة مفطراً فذلك أتبع للسنة و أقوى على العبادة و عن أحمد أيضاً أنه قال يجوز أن يصوم الثلاثة قبل أن يحرم و قال الثوري والأوزاعي يصومهنّ من أول أيام العشر، و قال عروة يصومها مادام بمكة في أيام منى أعني بها أيام التشريق الثلاثة التي تلي يوم النحر والأقوال فيه كثيرة كما هو مقتضى التفسير بالرأي.

روي في الكافي بأسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له رجل تمتع بالعمرة إلى الحج في عيبته ثياب يبيع من ثيابه ويشترى هديه قال عليه السلام: لا هذا يتزين به المؤمن يصوم ولا يأخذ شيئاً من ثيابه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج أي في ذي الحجة انتهى.

و أيضاً بأسناده عن رفاعة بن موسى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتمتع لا يجد الهدى قال عليه السلام يصوم قبل التروية بيوم و يوم التروية و يوم عرفة قلت فأنته قدّم يوم التروية قال عليه السلام: يصوم ثلاثة أيام بعد التشريق قلت لم يقر عليه جماله قال عليه السلام يصوم يوم الحصة و بعده يومين قلت وما الحصة قال عليه السلام يوم نفره قلت يصوم وهو مسافر قال نعم أليس هو يوم عرفة مسافر إنّا أهل بيت نقول ذلك بقول الله عزّ وجلّ: فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ يَقُولُ فِي ذِي الْحِجَّةِ أَنْتَهَى.

و نحوه صحيحة معاوية بن عمار إِلا أَنَّهُ قال قلتُ فأن لم يصم عليه
جَمَلَهُ أَيَصُومُهَا فِي الطَّرِيقِ قال إِنْ شاء صامها فِي الطَّرِيقِ وَإِنْ
شاء إِذا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ انْتَهَى.

أقول صومها طول ذي الحجة إِلا ما إِسْتَشْنَى قول علماءنا وأكثر العامة ذَالِكَ
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِيهِ إِشارة إِلَى التَّمَتُّعِ
وَأحكامه لموضع اللام المَوْضُوعَة لِلإِشارة إِلَى البعيد كما أَنَّ الكاف للمتوسط و
المجرد منهما للقريب، وقال الشافعي فِيهِ إِشارة إِلَى الهدى والصوم ومقتضى
كلامه أَنَّ التَّمَتُّعَ لحاضري المسجد الحرام جائز لكن لا يلزمهم الهدى وبه قال
الشيخ فِي الخلاف ولكن أكثر أصحابنا على خلافه لدلالة الأخبار الكثيرة على
ذلك.

منها مارواه الشيخ فِي الصحيح عن علي بن جعفر قال: قلت لأخي
موسى ابن جعفر عليه السلام لأهل مكة أَنْ يَتَمَتَّعُوا بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فقال
لا يصلح أَنْ يَتَمَتَّعُوا لقول الله عزَّ وجلَّ ذلك لِمَنْ لم يَكُنْ أَهْلُهُ
حاضري المسجد الحرام وَأمثال ذلك من الأخبار فعلى هذا يكون
فرض حاضري المسجد الحرام من حج الإسلام، القرآن و الافراد
ويجوز لهم العدول إِلَى التَّمَتُّعِ عند الضرورة كما يجوز لهم التَّمَتُّعُ
فِي الْحَجِّ الْمُتَطَوِّعِ به والمنذور وهل يجب عليهم الهدى أم لا فِيهِ
أقوال مذكورة فِي الفقه، وأتقوا الله وأعلموا أَنَّ الله شديد العقاب،
أمرهم بالتَّقْوَى أَوَّلًا فقال وأتقوا الله، ثُمَّ جَذَّرَهُمْ عن مخالفتهم إِيَّاهُ
فِي أوامره و نواهيه فقال وأعلموا أَنَّ الله شديد العقاب، نعوذ بالله
منه.

تنبيه:

قال الطبرسي رحمته الله فِي هذا المقام روي معاوية بن عمار عن

الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سَنِينَ لَمْ يَحْجْ
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ الْآيَةَ فَأَمَرَ الْمُؤَدِّنِينَ أَنْ يُؤَدِّنُوا بِأَعْلَى
صَوْتِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْجُ مِنْ عَامِهِ هَذَا فَلَعِمَ بِهِ مِنْ حَضَرِ
الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْعَوَالِي وَالْأَعْرَابِ فَأَجْتَمَعُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فِي أَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحَلِيفَةِ فَزَالَتْ
الشَّمْسُ إِغْتَسَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي عِنْدَهُ الشَّجَرُ فَصَلَّى فِيهِ
الظُّهْرَ وَأَحْرَمَ بِالْحَجِّ ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ بِالْمَرُوءَةِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ السَّعْيِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ
فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَنَّ هَذَا جِبْرَائِيلُ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى خَلْفِهِ
يَأْمُرُنِي أَنْ أَمَرَ مَنْ لَمْ يَسْقِ هَدِيًّا أَنْ يَحْلَ فَلَوْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْ أَمْرِي مَا
اسْتَدْبَرْتَ لَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا أَمَرْتُكُمْ وَلَكِنِّي سَقَتُ الْهَدْيَ وَلَا يَنْبَغِي
لِسَائِقِ الْهَدْيِ أَنْ يَحْلَ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ
أَنْخَرَجَ حَجَّاجًا وَرُؤُسَنَا تَقْطُرُ فَقَالَ ﷺ: أَنْكَ لَنْ تَوْمَنَ بِهَا أَبَدًا فَقَامَ
إِلَيْهِ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ خَثْعَمِ الْكِنَانِيِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتَنَا
دِينَنَا فَكُنَّا نَخْلُقُنَا الْيَوْمَ فَهَذَا الَّذِي أَمَرْتَنَا بِهِ لَعَامِنَا أَوْ لِمَا نَسْتَقْبِلُ
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ هُوَ لِلْأَبَدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ
أَصَابِعِهِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَقَالَ دَخَلْتَ الْعِمْرَةَ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَدَخَلَ
عَلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ قَدْ أَحْلَتْ فَوْجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً وَوَجَدَ عَلَيْهَا ثِيَابًا
مَصْبُوغَةً فَقَالَ مَا هَذَا يَا فَاطِمَةُ فَقَالَتْ أَمَرْنَا بِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْتَنْقِيًّا مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَنِّي رَأَيْتُ فَاطِمَةَ قَدْ أَحْلَتْ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ مَصْبُوغَةٌ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ أَنَا أَمَرْتُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَأَنْتِ يَا عَلِيٌّ بِمِ أَهْلَلْتَ فَقَالَ قُلْتُ يَا

رَسُولُ اللَّهِ إِهْلَالًا كإِهْلَالِ النَّبِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ كُنْ عَلَى إِحْرَامِكَ
مِثْلِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِي هَدَيْتِي الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ.

أَنْزَلَ هَذَا الْحَدِيثَ نَصًّا فِي أَنَّ الْعُمْرَةَ دَخَلَتْ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ
الْعُمْرَةَ هَذِهِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ مُتَعَتَانِ مُحَلَّلَتَانِ، أَوْ كَانَتَا
عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَأُعَاقِبُ عَلَيْهِمَا، مَتَعَةُ النِّسَاءِ وَمَتَعَةُ
الْحَجِّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الثَّلَاثَةُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ التَّمَتُّعَ جَائِزٌ عَلَى مَا يَأْتِي
تَفْصِيلُهُ، وَأَنَّ الْأَفْرَادَ جَائِزٌ، وَأَنَّ الْقِرَانَ جَائِزٌ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ كِلَا وَ
لَمْ يَنْكَرْهُ فِي حُجَّتِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بَلْ أَجَازَهُ لَهُمْ وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ ﷺ وَ
أَمَّا إِخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا كَانَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَرَّمًا فِي حُجَّتِهِ وَفِي الْأَفْضَلِ مِنْ
ذَلِكَ لِإِخْتِلَافِ الْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ مَالِكٌ كَانَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مُفْرَدًا وَ الْأَفْرَادَ أَفْضَلَ مِنَ الْقِرَانِ وَ الْقِرَانَ أَفْضَلَ مِنَ التَّمَتُّعِ وَفِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ مَنْ أَرَادَ
مِنْكُمْ أَنْ يَهْلَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلَ بِحَجٍّ فَلْيَهْلَلْ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ
يَهْلَ بِعُمْرَةٍ فَلْيَهْلَلْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَهْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجٍّ وَأَهْلَ بِهِ نَاسٌ مَعَهُ
وَأَهْلَ نَاسٌ بِالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَأَهْلَ نَاسٌ بِعُمْرَةٍ وَكُنْتُ فِيمَنْ أَهْلَ بِالْعُمْرَةِ رَوَاهُ
جَمَاعَةٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا أَنَا فَأَهْلُ بِالْحَجِّ، وَهَذَا نَصٌّ فِي مَوْضِعِ الْخِلَافِ وَهُوَ حُجَّةٌ مِنْ
قَالَ بِالْأَفْرَادِ وَفَضْلُهُ وَحَكِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ إِذَا جَاءَ عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ عَمَلَا بِأَحَدِ الْحَدِيثَيْنِ وَ
تَرَكَمَا الْآخَرَ كَانَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا عَمَلَا بِهِ انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.
وَأَنَا أَقُولُ، أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ عَائِشَةَ فَمَعَ قَطْعَ النَّظَرِ عَنْ سَنَدِهِ فِيهِ
إِشْكَالَانِ.

بَابُ التَّحْقِيقِ فِي تَفْصِيلِ الْقِرَانِ

جزء ٢

الْعَمَلُ فِي الْقِرَانِ

أحدهما: أنه يستفاد منه أن الناس كانوا مُخَيَّرِينَ فِي الْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ أَوْ بِهِ وَالْعُمْرَةِ، أَوْ بِالْعُمْرَةِ فَقَطْ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

ثانيهما: أنه على فرض التسليم يلزم أن تكون عائشة و غيرها مِمَّنْ أَهْلٌ بِالْعُمْرَةِ عَلَى خِلافِ الرَّسُولِ لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا فِي الْمَقَامِ بِالتَّخْيِيرِ بَيْنِ الثَّلَاثَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ لَا نَشْكُ فِي أَنَّ مَا اخْتَارَهُ الرَّسُولُ مِنْهَا هُوَ أَوْلَى وَأَحْسَنُ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ الرَّسُولَ أَهْلٌ بِالْحَجِّ، وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ^(١)، فَلَمْ تَرُكْتَ عَائِشَةَ التَّأْسِي بِهِ ﷺ - ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ الْأَقْوَالِ فِي أَفْضَلِيَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا عَلَى الْآخَرِ مَا لَفْظُهُ إِحْتِجُّ مِنْ فَضْلِ التَّمَتُّعِ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ نَزَلَتْ آيَةُ ﷺ ثُمَّ لَمْ تَنْزِلْ آيَةُ تَنْسَخُ آيَةَ مَتْعَةِ الْحَجِّ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ قَالَ رَجُلٌ بَرَأَيْهِ بَعْدَ مَا شَاءَ وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَ الصَّحَّاحَ بْنَ فَيْسَ عَامَ حَجِّ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُمَا يَذْكُرَانِ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهِلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ سَعْدُ بْنُ قُتَيْبَةَ يَا بَنَ أَخِي فَقَالَ الصَّحَّاحُ فَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ سَعْدٌ قَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَنَعْنَاهَا مَعَهُ هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ.

و روي ابن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ قَالَ أَتَيْتُ لِجَالِسٍ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَسَأَلَهُ عَنْ تَمَتُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، قَالَ: فَأَنَّ أَبَاكَ كَانَ يَنْهَى عَنْهَا، فَقَالَ وَيْلَكَ فَأَنَّ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا وَقَدْ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرُهُ، أَفَبِقَوْلِ أَبِي آخِذًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُمْ عَنِّي،

أَخْرَجَهُ الدَّارَ قُطْنِي وَأَخْرَجَهُ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَالِمِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَالِمٍ.

وَرَوَى عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَوَّلُ مَنْ نَهَى عَنْهَا مَعَاوِيَةُ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو حَدِيثُ لَيْثٍ هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَهُوَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ ضَعِيفٌ وَالْمَشْهُورُ عَنْ عَمْرِو وَعُثْمَانَ أَنَّهُمَا كَانَا يَنْهَيَانِ عَنِ التَّمَتُّعِ، انْتَهَى.

مَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَقَالَ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ قَالَ نَزَلَتْ آيَةُ الْمَتَاعَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَالِيًا وَفَعَلْنَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ لَمْ تَنْزَلْ آيَةٌ تَنْسَخُ آيَةَ مَتَاعِ الْحَجِّ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ رَجُلٌ بَرَأْيَهُ مَا شَاءَ انْتَهَى.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ثَغْرَةَ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِالْمَتَاعَةِ وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا فَذَكَرَ ذَلِكَ لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ عَلَى يَدَيِ دَارِ الْحَدِيثِ.

تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ قَالَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ مِمَّا شَاءَ وَأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مَنَازِلَهُ فَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ كَمَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ وَأَفْصَلُوا حَجَّكُمْ مِنْ عُمْرَتِكُمْ فَأَنَّهُ أَتَمَّ لِحَجَّتِكُمْ وَلِعُمْرَتِكُمْ انْتَهَى.

وَأَخْرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَةَ فِي مَسْنَدِهِ وَأَحْمَدُ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ هَمَّ أَنْ يَنْهَى عَنْ مُتَاعِ الْحَجِّ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبِي بْنُ كَعْبٍ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ قَدْ نَزَلَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ وَأَعْتَمَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ عُمَرُ انْتَهَى.

وأخرج مُسلم عن عبد الله بن شقيق قال: كان عثمان ينهي عن المتعة وكان عليّ يأمر بها فقال عثمان لعليّ كلمة فقال عليّ لقد علمت إنّنا قد تمتعنا مع رسول الله قال أجل ولكنّا كنّا خائفين انتهي. أقول ظاهر الحديث يدلّ على أنّ عثمان وأمثاله كانوا خائفين في حياة رسول الله من الله ورسوله وأما بعد وفات الرسول فقد زال عنهم الخوف فقالوا في دين الله ما شاؤوا وأرادوا ولمثل هذا فليكن الباكون.

قال الفخر الرازي وقوله: **فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ** فيه مسائل.

المسألة الأولى، معنى التمتع التلذذ يقال تمتع بالشئ أي تلذذ به والمتاع كلّ شئ يتمتع به وأصله من قولهم حباً ماتع أي طويل إلى أن قال والمتمتع بالعمرة إلى الحجّ هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحجّ ثم يقيم بمكة حلالاً ينشئ منها الحجّ فيحجّ من عامه ذلك وأما سُمّي مُتَمَتِّعاً لأنه يكون مستمتعاً بمحظورات الإحرام فيما بين تحلّله من العمرة إلى إحرامه بالحجّ والتمتع على هذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وهيهنا نوع آخر من التمتع مكروه وهو الذي حذّر عنه عمرو وقال مُتَعَتَانِ كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحجّ والمراد من هذه المتعة أن يجمع بين الإحرامين ثم يفسخ الحجّ إلى العمرة ويتمتع بها إلى الحجّ.

وروي أنّ رسول الله ﷺ: **أذن لأصحابه في ذلك ثم نسخ.**

وروي عن أبي ذرّ أنّه قال: ما كانت متعة الحجّ إلا لي خاصة فكان السبب فيه أنّهم كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحجّ ويعدونّها من أفجر الفجور، فلما أراد رسول الله ﷺ إبطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بأن نقلهم في أشهر الحجّ من الحجّ إلى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحجّ خاصاً بهم إنتهى ما ذكره بألفاظه.

أقول ما حذر عنه عمر إنما هو التمتع بالمعنى المتعارف بين الناس أعني ما ذكره أولاً لا ما ذكره بقوله وهيهنا نوع آخر من التمتع مكروه، والدليل على ما ذكرناه إتفاق علماء أهل السنة ومهرة الفن عليه والرّازي ليس من فرسان هذا الميدان وقد نقلنا عن القرطبي والسبّوطي وغيرهما ما هو نص في المدعى نعم نقل القرطبي هذا القول في تفسيره وقال وإن كان جماعة من أهل العلم قد زعموا أنّ المتعة التي نهى عنها عمر وضرب عليها فسخ الحجّ في العمرة إنتهى.

والتعبير بقوله، قد زعموا، يدل على فساد هذا القول وأنه خلاف المشهور وذلك لأنه لم يسمع من أحد فسخ الحجّ إلى العمرة والتمتع بها إلى الحجّ، بل الحقّ أنّهم أبدعوا هذه الاحتمالات في المقام ليدفعوا بها عن خليفتهم ولم يعلموا أنّ الأمر لو كان كما ذكره فكيف حذر عنه عمر والتحذير والضرب على المكروه لا معنى له وهم قد صرّحوا بأنّ هذا النوع من التمتع مكروه لا حرام.

وأما ما نقله عن أبي ذر فهو أيضاً من المجعولات التي لا أصل لها لأنّ أبا ذر كام من أصحاب عليّ عليه السلام وشيعته وهو أظهر من الشمس فكيف يعقل مخالفته لعليّ عليه السلام في المسئلة وإن يقول ما كانت متعة الحجّ إلّا لي خاصّة، و المفروض أنّ الحجّ من الأحكام الإجتماعية التي لجميع المسلمين بل و لجميع الناس قال الله تعالى: **وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ^(١) ولم يقل لأبي ذر خاصّة بل ولا لرسول الله خاصّة والحاصل أنّ هذه الملفقات لا ينبغي التوجّه إليها في المقام وكفاك في ذلك ما نقله القرطبي في تفسيره ^(٢) عن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة أنّه قال ولم يجمعوا على ما قال أبو ذر ولو أجمعوا كان حجة قال وقد خالف ابن عباس أبا ذر ولم يجعله خصوصاً ثم قال القرطبي و

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

أَحْتَجَّ أَحْمَدُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَدِيثُ جَابِرِ الطَّوِيلِ فِي الْحَجِّ وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَوْ أَنِّي إِسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا إِسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَقَامَ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بَنِ مِثْمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا مَنَا هَذَا أَمْ لِأَبِي فَشَبَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ دَخَلْتُ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ لَا بَلَّ لِأَبْدٍ أَبَدٍ لَفْظُ مُسْلِمٍ ثُمَّ قَالَ وَالْيَ هَذَا مَالُ النُّجَارِيِّ حَيْثُ تَرْجَمُ (بَابُ مَنْ لَبَّى بِالْحَجِّ وَسَمَاءُ) وَسَاقَ حَدِيثَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّتَهَى.

أَقُولُ هَذَا الَّذِي نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ أَحْمَدَ حَقُّ لَامِرِيَّةٍ فِيهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ كَمَا مَرَّ الْحَدِيثُ فِيهِ فِي صَدْرِ الْبَحْثِ وَلِنَخْتِمَ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى الْأَقْوَالِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ فَعَلِيهِ بِالْمَطُولَاتِ فَقَدْ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَقَامِ أَرْبَعَةَ أَوْجِهٍ فِي التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وَعَدَّ قِسْمًا وَاحِدًا مُجْتَمِعًا عَلَيْهِ وَالثَّلَاثَةَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا لَا يَنْبَغِي الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا، قَالَ فَأَمَّا الْوَجْهُ الْمَجْتَمِعُ عَلَيْهِ فَهُوَ التَّمَتُّعُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** وَذَلِكَ أَنْ يُحْرَمَ الرَّجُلُ بِعُمْرَةٍ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ وَقَدْ مَكَةَ ففَرَّغَ مِنْهَا ثُمَّ أَقَامَ حَلَالًا بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ شَاءَ لِحَجٍّ مِنْهَا فِي عَامِهِ ذَلِكَ قَبْلَ رَجُوعِهِ إِلَى بَلَدِهِ أَوْ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى مِيقَاتِ أَهْلِ نَاحِيَّتِهِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَتَمِّعًا وَعَلَيْهِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى التَّمَتُّعِ وَذَلِكَ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، بِذَبْحِهِ وَيُعْطِيهِ لِلْمَسَاكِينِ بِمَنْىَ أَوْ بِمَكَّةَ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ صِيَامُ يَوْمِ النَّحْرِ بِإِجْمَاعٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّتَهَى.

أَقُولُ وَهَذَا التَّمَتُّعُ هُوَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ عُمَرُ وَحَذَرَ عَلَيْهِ لَا مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالَاتِ الَّتِي تَضَحُّكُ بِهِ التَّكْلِيْ هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ فِي مُتْعَةِ الْحَجِّ الْبَحْثُ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مُحَلِّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ
فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ
مَاتَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧)

◀ اللغة

فَلَا رَفَثَ: الرَّفَثُ بفتح الراء والفاء على ما قاله الراغب في المفردات كلامٌ متضمنٌ لما يستتبع ذكره من ذكر الجماع و دواعيه وجعل كناية عن الجماع لقوله تعالى: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ^(١) وأما الرَّفَثُ في المقام فيحتمل أن يكون نهياً عن تعاطي الجماع وأن يكون نهياً عن الحديث في ذلك إذ هو من دواعيه والأول أصح انتهى.

لَا فُسُوقَ: الفُسُوقُ بضم الفاء الكذب كما جاءت به الرواية عنهم وفُسُوقٌ فُسُوقاً: من باب فقد خرج من الطاعة والإسم الفُسُوق وقد يقال أصل الفُسُوق خروج الشيء على وجه الفساد فقوله وَلَا فُسُوقَ أي لا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وإرتكاب المحرمات.

وَلَا جِدَالَ: الجِدَالُ المفاوضة على سبيل المنازحة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت قتله.

الْأَلْبَابِ: الباب جمع لب وهو العقل.

◀ الإعراب

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مبتدأ وخبر والتقدير الحجَّ حجَّ أشهر وقيل التقدير أشهر الحجَّ أشهر وعلى التقديرين لا بد من حذف مضافٍ فَمَنْ فَرَضَ من مبتدأ و

هذا القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

يجوز فيها الشَّرْطُ بمعني الذي فَلَا رَفَثَ وما بعده، الخَبَرُ والعائد محذوف تقديره فلا رَفَثَ منه وَأَتَقُونِ بكسر التَّوْنِ أصله وَاَتَقُونِي.

◀ التفسير

أشهر الحجَّ عندنا شوال وذو القعدة وعشرين ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام وبه قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والحسن وغيرهم و قال عطاء والزبيعي وابن شهاب وطاوس أشهر الحجَّ شوال وذو القعدة وذو الحجة وروي ذلك في أخبارنا أيضاً وإنما كانت هذه أشهر الحجَّ لأنَّ الأحرام بالحجَّ لا يصح أن يقع إلا فيها لا خلاف بين المسلمين وعندنا أنَّ الأحرام بالعمرة التي يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها ومن قال أنَّ جميع ذي الحجة من أشهر الحجَّ قال لأنَّ جميع ذي الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحجَّ مثل صوم الثلاثة أيام وذبح الهدي ف قوله تعالى:

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ معناه أشهر الحجَّ أشهر معلومات لا يخفى على أحد وقد بينا الأقوال فيها فَمَنْ قَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ أي فمن ألزَمه نفسه بالشروع فيه بالنية قصداً باطناً وبالأحرام فعلاً ظاهراً وبالتلبية لفظاً مسموعاً والمقصود أنَّ من فرض على نفسه في الأشهر المعلومات الحجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ قيل كتبي بالرفث عن الجماع ههنا وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء وقيل هو الجماع والتعرض له بمداعبته ومواعدة والمراد بالفُسُوق هنا الكذب على قول أصحابنا وقيل هو معاصي الله كلها وقيل قيل هو التنازع بالألقاب لقوله تعالى: يَنْسُ الْأَسْمُ الْأَفْسُوقُ بَعْدَ الْأَيْمَانِ^(١) وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، والمراد بالجدال هو قول لا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والله وبلى والله صادقاً وكاذباً وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ.. حَتَّى عَلَى فَعَلِ
 الخير في ضمن أفعال الحجّ الواقع في هذه الأشهر أو هو حَتَّى عَلَى الحجّ فيها
 فأنّه من أعظم أفعال الخير أو أنّ إجتنب ما نهى الله عنه بعد فرض الحجّ من
 أعظم القربات وهو الباقيات الصّالحات ويحتمل أن يكون القصد في قوله: وَ
 مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ إشارة الى الحَتَّى عَلَى فعل الواجب والمندوب من أنواع
 الخير وفي قوله: خَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى الخ.

إشارة الى الحَتَّى عَلَى ترك المحرّمات والمكروهات من أنواع الشرّ والفرق
 بين اللّب والعقل أنّ اللّب عبارة عن العقل الخالص عن شوائب الأوهام وما
 ذكره في الآية لا يدرّكه ولا يراعيه إلّا مَنْ كان من أولي الأبواب ولِنشر الى
 بعض الأخبار الواردة في المقام.

منها صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ
 وجلّ: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ قَالَ عليه السلام:
 الفرض التّلبية والأشعار والتقليد فأَيّ ذلك فَعَلْ فقد فرض الحجّ ولا
 يُفرض الحجّ إلّا في هذه الشّهور الّتي قال الله تعالى الْحَجُّ أَشْهُرٌ
 مَّعْلُومَاتٌ وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة انتهى.

ومنها صحيحة عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال: مَنْ أَشْعَرَ بَدَنَهُ فَقَدْ
 أَحْرَمَ وَأَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ انْتَهَى.

ومنها ما رواه الشّيخ في الصّحيح عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد
 الله عليه السلام قال عليه السلام: إذا أَحْرَمْتَ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ ذَكَرَ اللَّهِ وَ قَلَّةِ
 الكلام إلّا بخيرٍ فَإِنَّ تَمَامَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَنْ يَحْفَظَ الْمَرْءُ لِسَانَهُ إِلَّا مِنْ
 خَيْرٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَالْرَفَثُ الْجَمَاعِ
 والفسوق الكذب والسّباب والجدال قول الرّجل لا والله وبلى والله
 انتهى.

أَنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ
نَحْنُ نَرَاهَا مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ.

قُلْتُ الْجَوَابَ عَنْهُ بوجهين:

أحدهما: أَنَّهُمْ قَالُوا الْمَرَادُ بِالْمَنْفِيَّاتِ الثَّلَاثِ فِي الْآيَةِ النَّهْيِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا
تَرْفُثُوا وَلَا تَفْسُقُوا وَلَا تُجَادِلُوا فِي الْحَجِّ لَا نَهْيَ جِنْسِهَا بِالْكَلْبَةِ.

ثانيهما: مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ وَهُوَ أَنَّ الْمَرَادَ نَهْيَهُ مَشْرُوعاً لَا مَوْجُوداً وَ
بِعِبَارَةٍ أُخْرَى يُرْجَعُ النَّهْيُ إِلَى وَجُودِهِ مَشْرُوعاً لَا إِلَى وَجُودِهِ مُحْسُوساً كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: وَ الْمُطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ^(١) معناه شرعاً لَا حِسّاً فَأَنَّا
نَجِدُ الْمُطْلَقَاتُ لَا يَتَرَبَّصْنَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطْهَرُونَ^(٢) أَي لَا تَمَسُّهُ
أَحَدٌ شَرْعاً فَأَنَّ وَجَدَ الْمَنْ فَهُوَ عَلَى خِلَافِ حُكْمِ الشَّرْعِ قَالَ وَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ هِيَ
الَّتِي فَاتَتْ الْعُلَمَاءَ فَقَالُوا أَنَّ الْخَبَرَ يَكُونُ بِمَعْنَى النَّهْيِ وَمَا وَجَدَ ذَلِكَ قَطّاً وَلَا
يَصِحُّ أَنْ يَوْجَدَ فَأَتَيْنَاهُمَا مُخْتَلِفَانِ حَقِيقَةً وَتَضَادَّتَانِ وَصَفَاءُ انْتَهَى.

أَقُولُ لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ التَّكْلِفَاتِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى فَلَا
رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ^(٣) وَالْمَعْنَى لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَابَ فِيهِ أَحَدٌ فِي الْمَقَامِ أَيْضاً نَقُولُ لَا
رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ مَعْنَاهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَي فِي الْحَجِّ مِنْ
هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئاً وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ نَهْيَ الرَّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ مِنْ
نَفْسِ الْحَجِّ كَذَلِكَ لَا مِنَ الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ وَكَيْفَ كَانَ فَلَا مَرَّ سَهْلَ بَعْدَ وَضُوحِ
الْمَعْنَى.

أَنْ قُلْتَ أَنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ بِصَدَدِ بَيَانِ الْحَجِّ وَأَنَّ مِنْ فَرَضٍ عَلَى نَفْسِهِ الْحَجِّ
يَجِبُ عَلَيْهِ إِتِمَامُهُ تَارِكاً لِلرَّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ وَأَمَّا قَوْلُهُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ فَإِنَّهُ بَحْثٌ آخِرٌ فِيمَا وَجَّهَ ذِكْرَ التَّقْوَىٰ بَعْدَ الْحَجِّ،
قُلْتُ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْحَجِّ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ حَتَّى
الْمُكَلَّفِينَ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ فَقَالَ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَفَعَلَ الْخَيْرَ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْمُتَّقِينَ فَقَوْلُهُ:

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ إشارة مشعرٌ بأنَّ الحاجَّ والمُعْتَمِرَ يَنْبَغِي
لَهُ تَحْصِيلُ التَّقْوَىٰ فِي أَعْمَالِهِ وَهُوَ يَتَحَقَّقُ بِتَرْكِ الْمُنْهَيَّاتِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ قَالَ
بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى سَفَرُ الْآخِرَةِ وَحُثُّهُمْ عَلَى تَزَوُّدِ التَّقْوَىٰ لِأَنَّ
التَّقْوَىٰ زَادُ الْآخِرَةِ كَمَا أَنَّ الْمَالَ زَادُ الدُّنْيَا وَلَنَعْمَ مَا قِيلَ:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله وأنتك لم ترصد كما كان أرصدا
وقال الآخر:

الموت بحرٌ طامحٌ موجه تذهب فيه حيلة السابح
يانفس إنني قائلٌ فأسمعي مقالة من مُشفقٍ ناصحٍ
لا يصحبه الإنسان في قبره غير التقى والعمل الصالح
اللهم أجعلنا من المتقين بمحمدٍ وآله الطاهرين...

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ
فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ
مِّنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

◀ اللغة

جُنَاحٌ: الجناح قطعة من الليل مظلمة من قولهم جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها و سُمِّي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سُمِّي كل إسم جناحاً فالجناح الإثم في الآية.

أَنْ تَبْتَغُوا: الإبتغاء الطلب يقال بَغَيْتَ الشَّيْءَ إِذَا طَلَبْتُ أَكْثَرَ مَا يَجِبُ وَابْتَغَيْتَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ** ^(١) أَي طَلَبُوهَا.

أَفَضْتُمْ: من أَفَاضَ إِفَاضَةً يُقَالُ أَفَاضَ إِنَاءَهُ إِذَا مَلَأَهُ حَتَّى أَسَالَهُ وَمِنْهُ اسْتَعِيرَ أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ إِذَا خَاضُوا فِيهِ وَحَدِيثٌ مُسْتَفِضٌ، أَي مُنْتَشَرٌ.

عَرَفَاتٍ: هي الموضع المعروف قِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا رَوَى أَنَّ جَبْرِئِيلَ عَمِدَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَى عَرَفَاتٍ فَقَالَ هَذِهِ عَرَفَاتُ فَأَعْرَفَ بِهَا مَنَاسِكَكَ وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِكَ فَسُمِّيَتْ عَرَفَاتٍ.

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: هو جبلٌ بآخر مزدلفة وإسمه قِزح و يُسَمَّى جَمْعاً وَ مَزْدَلْفَةٌ وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ لِأَنَّهُ مَعْلَمُ الْعِبَادَةِ وَ وُصِفَ بِالْحَرَامِ لِحُرْمَتِهِ أَوْ لِأَنَّهُ مِنَ الْحَرَمِ وَ مِيمُهُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى الْمَشْهُورِ وَيُسَمَّى كُلُّ مَوْضِعٍ لِلْمَنَسكِ مَشْعَرًا لِأَنَّهَا مَوْضِعُ لِعِبَادَتِهِ تَعَالَى.

◀ الإعراب

أَنْ تَبْتَغُوا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى تَقْدِيرٍ فِي أَنْ تَبْتَغُوا عَلَى قَوْلِ سَيَبُوهِ وَ قِيلَ هُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرِّ مَنْ رَبِّكُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِتَبْتَغُوا، فَيَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ ظَرْفَ وَالْعَامِلَ فِيهِ، فَأَذْكُرُوا عَرَفَاتٍ جَمْعَ سَمِي بِهِ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ نَكْرَةً وَهُوَ مَعْرِفَةٌ وَقَدْ نَصَبُوا عَنْهُ عَلَى الْحَالِ فَقَالُوا هَذِهِ عَرَفَاتٌ مُبَارَكًا فِيهَا لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا بَقْعَةٌ بَعَيْنَهَا عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ كَمَا هَذَا يَكُنْ الْكَافُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ نَعْتًا لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ تَقْدِيرُهُ فَأَذْكُرُوهُ مُشْبِهِينَ لَكُمْ حِينَ هَذَا كَمِنْ إِنْ كُنْتُمْ إِنْ هَاهُنَا مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ ضَالِّينَ.

◀ التفسير

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَنْزِيهِ الْحَجِّ عَنْ الرِّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ رَخَّصَ فِي التَّجَارَةِ قَالُوا وَابْتِغَاءَ الْفَضْلِ وَرَدَّ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى التَّجَارَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ^(١) وَقَدْ نَقَلَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ، كَانَتْ عَكَازٌ وَمَجَنَّةٌ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَأْتَمُّوا أَنْ يَتَجَرَّوْا فِي الْمَوَاسِمِ فَنَزَلَتْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ قَالَ فِي التَّبْيَانِ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِالِإِذْنِ فِي التَّجَارَةِ وَنَحْوِهَا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ بِذَلِكَ فِي صَدَرِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمرٍ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَا وَالحَسَنُ وَقَتَادَةُ الْمُرَوِّى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِيلَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ رَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَشْهُرُ الْأَوَّلُ فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّ مَعَ قَصْدِ التَّجَارَةِ لَا بَأْسَ بِهِ وَكَذَا الْجُمَالُ وَالْمَكَارِي وَالْأَجِيرُ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا

بَابُ التَّجَارَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّجَارَةِ

ينافي الإخلاص وكذا الحجّ عن الغير والزوايات الواردة بذلك كثيرة.
 منها مارواه في الكافي بأسناده عن الفضل بن عبد الملك قال سأل أبو
 عبد الله عن الرجل يكون له الإبل يكرها فيصيب عليها فيحجّ وهو كرى تغنى
 عنه حجّته أو يكون يحمل التجارة الى مكّة فيحجّ فيصيب المال في تجارة أو
 يضع أ تكون حجّته نامة أو ناقصة أو لا يكون حتّى يذهب به الى الحجّ ولا
 ينوي غيره أو يكون ينويهما جميعاً أيقضي ذلك حجّته قال نعم حجّته تامة
 انتهى.

ومنها مارواه الشيخ عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد
 الله عليه السلام عن رجل حجّ عن غيره يجزيه ذلك عن حجة الإسلام قال
 نعم قلت حجة الجمال تامة أو ناقصة قال عليه السلام: تامة قلت حجة
 الأجير تامة أو ناقصة قال عليه السلام: تامة انتهى والأخبار كثيرة ولا
 ينافي ذلك مارواه الشيخ محمّد بن عبد الله بن حمّاد الأنصاري عن
 محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
 يأتي على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهة وحجّ الأغنياء
 تجارة وحجّ المساكين مسألة، لإمكان حمله على ما اذا تجرد
 قصدهم لذلك عن قصد الثواب والأجر والإمتثال وقد ثبت أنّ
 الأعمال بالنيات، أو أنّهم ليسوا بتلك المرتبة التي أعدها الله للحاجّ
 بل أنقص فضلاً، أو يكون المعنى أنّ هؤلاء يتركون الحجّ يعدلون
 عنه و يشتغلون بهذه الأمور أو غير ذلك من المعاني المحتملة.

ملخص الكلام أنّ الحديث لا يدلّ على عدم قبول الحجّ رأساً وأما قوله
 تعالى:

فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ أَيْ إِذَا دَفَعْتُمْ وَأَنْصَرَفْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ فِيهَا مِنْ
 أَفَاضِ الْمَاءِ إِذَا صَبَّهَ بِكَثْرَةٍ، وَأَصْلُهُ أَقَضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ

لمعلوميته، و عرفات جمع عرفة وبها سُميت البقعة المباركة التي يجب الوقوف بها في الحج كما سُميت بمفردها.

روى في العلل بأسناده عن معاوية بن عمار قال سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن عرفات لم سُميت عرفات فقال عليه السلام: أَنَّ جبرئيل عليه السلام خَرَجَ بِإِبْرَاهِيمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ قَالَ لَهُ جَبْرئيلُ يَا إِبْرَاهِيمَ اعْتَرَفْ بِذَنْبِكَ وَأَعْرِفْ مَنَاسِكَكَ فَسُمِّيَتْ عَرَفَاتُ لِقَوْلِ جَبْرئيلِ اعْتَرَفْ فَأَعْتَرَفَ انْتَهَى.

وقيل سُميت بذلك لأنَّ إبراهيم عَرَفَهَا بما تقدَّم له من النَّعْتِ لها والوصف، روي ذلك عن علي عليه السلام وقيل لأنَّ آدم وحواء اجتمعَا فيها فَعَارَفَا وقيل غير ذلك من الوجوه وكيف كان ففي الآية دلالة على وجوب الكون بعرفة وأنه من فرائض الحج قال العلامة رحمته الله في التَّحْرِيرِ، الوقوف بعرفة ركنٌ من تركه عمداً بطل حجُّه بالإجماع ولو تركه ناسياً أو لَعُدْرٍ تداركه فأن لم يمكنه ولحق الوقوف بالمشعر في وقته أدرك الحجَّ وإلا فقد فاتته ثم قال للوقوف بعرفة قتان إختياري وأوله زوال الشمس من يوم عرفة وآخره غروبها، وإضطرابي الى طلوع الفجر من يوم النَّحر فلو لم يتمكَّن من عرفات نهاراً و تمكَّن من الوقوف ليلاً وجب وأجزأه اذا أدرك المشعر قبل طلوع الشمس ولو فاتته الوقوف نهاراً وخاف أن مضى اليه ليلاً فوات المشعر يسقط الوقوف بعرفة وأجزأه المشعر انتهى.

و أمَّا العامَّة فقالوا بالوقوف بها ولم يختصَّوه بشئ من اللَّيْلِ أو النَّهَار قال القُرطبي والحجَّة للجمهور مطلق قوله تعالى: فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ وَلَمْ يَخْصْ لَيْلًا مِنْ نَّهَارٍ وحديث عروة بن مَعْرَس قال أتيت النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وهو في الموقف من جمع فقلت يا رسول الله جئتكَ من جبلي طَيٍّ أَكَلْتِ مَطْيَيتِي وَ بَقِيتُ نَفْسِي وَاللَّهِ أَن تَرَكْتَ مِنْ جَبَلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ يَا رَسُولَ

اللَّهُ فَقَالَ ﷺ مَنْ صَلَّى مَعَنَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِجَمْعٍ وَقَدْ أَتَى عَرَفَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَقَدْ قَضَى تَفَتُّهُ وَتَمَّ حَجُّهُ أَخْرَجَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

أقول أما قوله حُجَّةُ الْجُمْهُورِ مطلق قوله تعالى: **فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ** ولم يخصَّ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ، ففيه أَنَّ الوقوف بعَرَفَاتٍ أيضاً لا دلالة للآية عليه وبعبارة أُخْرَى أَنَّ الآيةَ كما أَنَّهَا مُطْلَقَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَي لَمْ تُقَيَّدْ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا كَذَلِكَ مُطْلَقَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوُقُوفِ بِهَا وَعَدَمُهُ لِأَنَّهَا بظَاهَرِهَا لَا تَدُلُّ عَلَى الْوُقُوفِ بِهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ إِذَا الْمَعْنَى إِذَا دَفَعْتُمْ وَإِنْصَرَفْتُمْ عَنْهَا وَهُوَ يَصْدُقُ مَعَ الْعُبُورِ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ فِيهَا فَمَنْ أَيْنَ أَخَذْتُمْ الْوُقُوفَ بِهَا، وَأَمَّا حَدِيثُ عُرْوَةَ بْنِ مَعْرُسٍ فَقَدْ قَالُوا فِي صَحِّحَتِهِ مَا قَالُوا وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَوْضِعٌ أُخَرُ. وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ هُمْ أَدْرَى بِمَا فِيهِ.

فَإَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ نقل عن الجوهرى أَنَّهُ قَالَ الْمَشَاعِرُ مَوْضِعُ الْمَنَاسِكِ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ أَحَدُ الْمَشَاعِرِ وَكَسَرَ الْمِيمَ فِيهِ لُغَةً، وَقَالَ أَيْضاً وَ يَقَالُ لِلْمُزْدَلِفَةِ، جَمْعٌ، لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ.

فِيهَا رَوَى ابْنُ بَابُوَيْهٍ فِي الصَّحِيحِ عَنْ مَعَاوِيَةَ ابْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فِي حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ جَبْرِئِيلَ إِنْتَهَى بِهِ إِلَى الْمَوْقِفِ وَأَقَامَ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ أَفَاضَ بِهِ ثُمَّ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمَ إِنْ دَلَفَ إِلَى الْمَشْعَرِ فَسُمِّيتَ مُزْدَلِفَةً.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قَالَ سَمَّيْتُ جَمْعَ لِأَنَّ آدَمَ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَنْتَهَى.

ثُمَّ أَنَّ حَدَّ الْمَشْعَرِ مِنَ الْمَازِمِينَ إِلَى الْحِيَاضِ إِلَى وَادِي مُحَسَّرٍ وَهُوَ مَجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأَصْحَابِ بَلْ قَالَ فِي الْمُنْتَهَى لَا نَعْلَمُ فِيهِ مَخَالَفاً وَالْأَخْبَارُ تَدُلُّ عَلَيْهِ. فِي صَحِيحَةِ زُرَّارَةَ حَدَّ الْمُزْدَلِفَةِ مَا بَيْنَ الْمَازِمِينَ إِلَى الْجَبَلِ إِلَى حِيَاضٍ

محسّر ثم أن الوقوف بالمشعر ركناً من أركان الحج كالوقوف بعرفات قال العلامة في التحرير الوقوف بالمشعر ركناً من تركه عملاً بطل حجّه ويجب بعد طلوع الفجر الثاني ولا يجوز الإفاضة قبل طلوعه إختياراً فلو أفاض قبل طلوعه عاملاً بعد أن يكون قد وقف ليلاً وجب عليه دم شاة وصحّ حجّه وقال ابن إدريس بطل حجّه ولو كان ناسياً لم يكن عليه شيء الخ وقال أيضاً، جمّع كلّها موقف وحدها ما بين مازمي عرفة إلى الحياض إلى وادي مُحسّر يجوز الوقوف في أي موضع شاء منه ولو ضاق عليه الموقف جاز له أن يرتفع إلى الجبل، و وقت الوقوف بالمشعر بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس حال الإختيار ويمتدّ وقت الضرورة إلى الزوال من يوم النحر فيجب الإتيان به ويجزي مع إدراك عرفات إختياراً وكذا لو أدرك عرفات إضراراً والمشعر إختياراً أمّا لو أدرك الإضراريين ففي إدراك الحج إشكال.

قال الشيخ رحمته الله من ترك الوقوف بالمشعر عمداً وجبت عليه بدنة والحقّ بطلان الحج ولو ترك الموقفين معاً بطل حجّه سواء أكان عامداً أو ناسياً أو جاهلاً ولو نسي الوقوف بعرفة رجع فوقف بها ولو إلى طلوع الفجر إذا علم أنّه يدرك المشعر قبل طلوع الشمس، والمراد بذكر الله فيه هو ذكره تعالى بالأاء ونعماءه والصلاة على سيّد أنبياءه وعلى عليّ سيّد أصفياءه والأدعية الماثورة داعياً متضرعاً مُبتهلاً.

وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ كَرَّرَ الذِّكْرَ مبالغة في المحافظة وإيماء إلى أنّه ينبغي أن يكون رعاية لحقّ الهداية إلى ما يوصلكم إلى رضاه وأداء لشكر هذه النعمة أو أنّ المراد ذكراً حسناً جميلاً حيث كانت النعمة جلييلة، أو أنّ المراد أذكروه ذكراً على الطريقة المتلقاة منه سبحانه بأن يكون بالأوصاف التي وصف بها نفسه وأن كنتم من قبل إرشاده لمن الضالين الجاهلين بذلك وإن هي مخففة من الثقلية بدلالة اللام الفارقة

بينها وبين النَّافِيَةِ ويمكن أن تكون نافية واللام بمعنى إلا، كقوله: وَإِنْ نَظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَاذِبِينَ^(١) أي إلا من الكاذبين، قال الشاعر:

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلماً حلَّت عليك عقوبة الرحمن
أي ما قتلت إلا مُسلماً، وهنا قول ثالث وهو أن تكون بمعنى، قد، أي قد كنتم
من قبله لمن الضالين، والضمير في قبله، عائد إلى الهدى وقيل إلى القرآن أي
ما أنتم من قبل إنزاله إلا ضالين، بالنسبة إلى الحج أو مطلقاً، وهو واضح.



ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (١٩٩) فَإِذَا قُضِيَتْ
 مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
 ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ
 مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ (٢٠٠) وَ مِنْهُمْ مَنْ
 يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ
 حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ
 نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)
 وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ
 فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
 لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ (٢٠٣)

◀ اللغة

أَفِضُوا: أمر من أَفَاضَ إفاضةً ومعناها الدَّفْعُ أي إِدْفَعُوا من حَيْثُ دَفَعَ النَّاسُ.
 قُضِيَتْ: أي أُدِّيَتْ فَأَنَّ الْقَضَاءَ هُنَا الْإِتْيَانُ.
 خَلْقٍ: الخلاق الحظّ والنصيب.

◀ الإعراب

أَوْ أَشَدُّ هُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ لِكَتْنِهِ لَا يَنْصَرِفُ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ الْفَعْلِ وَهُوَ صِفَةٌ وَ
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِ عَلَى وَأَذْكُرُوهُ أَشَدَّ ذِكْرًا وَذِكْرًا مَنْصُوبٌ
 عَلَى التَّمْيِيزِ فِي الْآخِرَةِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

التفسير

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ أَيِ إِدْفَعُوا مِنْ حَيْثُ دَفَعَ النَّاسُ
وَإِخْتَلَفُوا فِي الْمَرَادِ بِالْإِفَاضَةِ فَقِيلَ الْمَرَادُ إِفَاضَةُ عَرَفَاتٍ وَأَنَّ الْأَمْرَ لِقَرِيشَ
لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْضُونَ بَعَرَفَاتٍ مَعَ سَائِرِ الْعَرَبِ وَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ فَلَا
نُخْرَجُ مِنْهُ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِمُوَافَقَةِ سَائِرِ الْعَرَبِ وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالنَّاسِ هُوَ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيِ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ وَسَمَّاهُ بِالنَّاسِ كَمَا سَمَّاهُ أُمَّةً وَأَصْلُ
الْإِفَاضَةِ السَّيْرُ فَأَسْتَعِيرْتُ لِلدَّفْعِ فِي السَّيْرِ، وَأَفْضَتِ الْمَاءَ إِذَا دَفَعْتَهُ بِكَثْرَةٍ
وَأَفَاضَ السَّيِّدُ يَفِيضُ فَيَضًا، وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالنَّاسِ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ
غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ وَالْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ النَّاسَ بِالْكَسْرِ
مَنْ النِّسْيَانِ يَعْنِي آدَمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا^(١).

و روى العياشي في تفسيره عن معاوية بن عمار عن أبي عبد
الله عليه السلام في قوله ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ؛ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَ
إِسْمَاعِيلَ، وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ.
و عَنْ رَوْضَةِ الْكَافِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَخْبِرْنِي
أَنْ كُنْتُ عَالِمًا، عَنْ النَّاسِ، وَأَشْبَاهِ النَّاسِ، وَالتَّنَسُّاسِ، فَقَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا حَسَنُ أَجِبِ الرَّجُلَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ أَمَّا قَوْلُكَ خَبِّرْنِي
عَنِ النَّاسِ فَنَحْنُ النَّاسُ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ثُمَّ أَفِيضُوا
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أَفَاضَ الْحَدِيثَ وَ
قَالَ بَعْضُ مَفْسَّرِي الْعَامَّةِ الْخَطَّابُ فِي الْآيَةِ لِلْحَمْسِ فَأَتَهُمْ كَانُوا لَا
يَقِفُونَ مَعَ النَّاسِ بَعَرَفَاتٍ بَلْ كَانُوا يَقِفُونَ بِمُزْدَلِفَةٍ (بِالْمُزْدَلِفَةِ) وَهِيَ
مِنَ الْحَرَمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ قَطِينُ اللَّهِ أَيِ سَكَّانِ حَرَمِهِ إِلَى آخِرِ
مَا قَالَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

قال القُرطبي أن ثم في هذه الآية ليست للترتيب وأنما هي لعطف جملة كلام هي مُنقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الأمة والمراد بالناس إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**، الآية، وهو يريد واحداً و يحتمل على هذا أن يؤمروا بالإفاضة من عرفة ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى وهى التي من المُزدلفة، فيجيئ ثم، على هذا الإحتمال على بابها وبه قال الطبري والمعنى أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم من مُزدلفة جمع أي ثم أفيضوا إلى منى لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع انتهى.

وقال الشيخ في التبيان فأن قيل، فاذا كانت، ثم، للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا، قلنا الذي رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً وتأخيراً وتقديره، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** فاذا أفضتُم من عرفات فأذكروا الله عند المشعر الحرام، وأسئفروا الله أن الله غفورٌ رحيمٌ.

أنا أقول لا بأس بما ذكره الشيخ رحمته الله من التقديم والتأخير وذلك لأنه يرجع إلى جمع الآيات وترتيبها في النظم ونظائرها كثيرة فأن الترتيب يقتضي أن يكون قوله تعالى فاذا أفضتُم من عرفات الآية، مؤخراً عن قوله: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** وقد قدم عليه في الكتاب، اللهم إلا أن يقال أن قوله تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** المراد بهذه الإفاضة الإفاضة من المُزدلفة إلى منى، كما إحتمله الطبري وغيره، إلا أنه لا يساعد ما عليه القوم من أن الآية نزلت فيمن تخلّفوا عن الوقوف بعرفات وقالوا نحن سَكَانَ حَرَمِهِ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بالإفاضة إلى عَرَفَاتٍ مع سائر الناس وهذا المعنى متسالم عليه عند الكل فكيف يُحمل الإفاضة في الآية على الإفاضة من المُزدلفة إلى منى، فالحق ما ذكره الشيخ رحمته الله من التقديم والتأخير في الآية وأن من جمع القرآن في عهد عثمان كان جاهلاً بهذا المعنى فوضع في النظم كلاً من الأيتين موضع

الأخر وليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام وستمر عليك نظائرها في المستقبل إن شاء الله تعالى ولنعم ما قيل:

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم سبيل الهالكين
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ الإستغفار طلب المغفرة كما أن
الإستخبار طلب السؤال والمغفرة التغطية للذنب بإيجاب المتوبة وقيل في
معنى الإستغفار قولان:

أحدهما: الحث عليه في تلك المواطن الشريفة لأنها خليقة بالإجابة.
الثاني: أستغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والإفاضة كما سنه
الله تعالى للناس عامة والفرق بين الغفور والغافر أن في الغفور مبالغة لكثرة
المغفرة بخلاف الغافر فإنه يكفي فيه وقوع الغفران ولا مبالغة فيه والعفو أيضاً
المغفرة والفرق بينهما أن العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية
الذنب بإيجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله تعالى دون
صفات العباد فلا يقال إستغفر السلطان كما يقال إستغفروا الله ففي صحيحة
معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام إذا غربت الشمس في عرفة
فأفص مع الناس و عليك السكينة والوقار وأفض بالإستغفار فإن الله تعالى
يقول: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**.

روي أيضاً عنه في صحيحة أخرى عن أبي عبد الله في حديث
طويل قال ونزل رسول الله ﷺ بمكة بالبطحاء هو وأصحابه و
لم ينزلوا الدور فلما كان يوم التروية عند الزوال أمر الناس أن
يغتسلوا ويهلوا بالحج وهو قول الله تعالى الذي أنزل على نبيه
فاتبعوا ملة إبراهيم فخرج النبي وأصحابه مهلين بالحج حتى أتى
منى فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم

غدا و النَّاسَ معه و كانت قريش تفيض من المزدلفة و هي جمع و
يَمْنَعُونَ النَّاسَ أَنْ يَفِيضُوا مِنْهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ و قريش
ترجو أن تكون أفاضته من حيث كانوا يُفِيضُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ثُمَّ
أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ و
إِسْمَاعِيلَ و إِسْحَاقَ فِي أَفَاضَتِهِمْ مِنْهَا و من كان بعدهم فلما رأت
قريش أن قبة رسول الله ﷺ قد مضت كأنه دَخَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ
لَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الْأَفَاضَةِ مَكَانَهُمْ حَتَّى انْتَهَى.

إلى نمرة الحديث و قال في مجمع البيان و هو المروى عن الباقر عليه السلام
وكيف كان فقوله: وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ أي إطلبوا المغفرة في هذا الوقت الشريف
والمحل المنيف حيث كنتم وافدين إليه وأضيافه أنه كثير المغفرة واسع
الرحمة كما يدل عليه ما رواه في الكافي في باب حج آدم حيث أمره جبرائيل
أن يستغفر الله من ذنوبه عند جميع المشاعر وقيل أن الاستغفار حين الأضافة
إلى المشعر و ما ذكرناه.

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا
أي فإذا فرغتم منها فاذكروا الله، وأصل القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو
فعلاً وكل واحد منهما على وجهين، إلهي وبشري، فمن القول الإلهي.
قال الله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ^(١) أي أمر بذلك.
قال الله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ^(٢).
فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيًا
جزمًا ومن الفعل الإلهي.

قال الله تعالى: وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
يَقْضُونَ بِشَيْءٍ^(٣).

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

ومن القول البَشْرِي نحو قضى الحاكم بكذا فَأَنَّ حكم الحاكم بالقول ومن الفعل البَشْرِي، فإذا قضيتم مناسكتكم الآية.

قال الله تعالى: **ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ^(١).

وقال بعض المحققين أصل القضاء فصل الأمر على أحكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى، والمناسك جمع المنسك وهو إما اسم مكان والمراد الأفعال الواقعة هناك من قبيل تسمية الحال بإسم المَحَل أو على حذف المضاف أي عبادات مناسكتكم، وأما مصدر مَسَمَى بمعناه المصدري أو بمعنى المفعول وإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال مختلفة كالأصوات جمع صوت ثم أَنَّ المناسك الأمور بها في المقام جميع أفعال الحج المتعبد بها على المشهور وقيل هي الذبائح، الذَّكَر في الآية فيه قولان.

أحدهما: أَنَّ المراد به التكبير الْمُخْتَصَّ بأيام منى لأنه الذَّكَر المرغَّب فيه.

ويدل عليه ما رواه في الكافي في الصحيح عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عزَّ وجلَّ: **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ** قال عليه السلام هي أَيَّام التَّشْرِيق كانوا إذا قاموا بمنى بعد النَّحر تفاخروا فقال الرَّجل منهم كان أبي يفعل كذا وكذا فقال عزَّ وجلَّ: **فَإِذَا قُضِيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** قال عليه السلام: **والتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر** ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا.

فإن قيل ليست الآية هكذا فكيف يحسن الإستدلال بها، قلت الظاهر أنه طوى الوسط فكأنه قال فإذا أفضتكم من عرفات الى قوله: **فَادْكُرُوا اللَّهَ**

كَذَكَرْكُمْ الخ إيماء الى أَنَّهُ سبحانه كَرَّرَ الأمر بالذِّكر هنا مبالغة في الرَّد على من كان يتشاغل بالمفاخرة في تلك الأيام الشَّرِيفة والأماكن المُنيفة.

كما رُوي عن أبي جعفر عليه السلام أَنَّهُم كانوا يجتمعون ويتفاخرون بالآباء وبمآثرهم وببالغون فيه ويذكرون أَيْامهم القديمة وأَياديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكره مكان ذكرهم آبائهم في هذه المواضع.

ثانيهما: أن يراد بالذِّكر مطلق الدَّعاء والثناء على الله سبحانه فَأنَّهُ مرغوب اليه في تلك الأماكن وحمله على ما يشمل التكبير وغيره من الإذكار والأدعية ليس ببعيد بل هو الأقرب قاله بعض المحققين في بعض تحقیقاته في المقام و عليه فحاصل المعنى أَنَّهُ لَمَّا تعارف عنهم في تلك المواضع ذكر مفاخر الآباء وتعداد نعمهم وذكر أَيْاديهم أمرهم الله بذكره سبحانه لَأَنَّهُ المنعم عليهم و على آبائهم بل ينبغي أن يكون ذكره أَشدَّ لما ذكرناه وفي تفسير علي بن إبراهيم، فأذكروا الله كذكركم آبائكم أو أَشدَّ ذكراً.

قال كانت العرب إذا وَقَفُوا بالمشعر يتفاخرون بأبائهم فيقولون، لا وأبيك، ولا وأبي، فأمرهم الله أن يقولوا لا والله وبلى والله و قوله تعالى:

فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا الخ.. فكلمة، من، في قوله: فَمِنَ النَّاسِ و في قوله: وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ لِلتَّبْعِيزِ أي بعض النَّاسِ يقول كذا وبعض آخر يقول كذا ومحصل الكلام هو أَنَّ الطَّالِبِينَ في تلك الأماكن أو مطلقاً على قسمين.

القسم الأوّل من يطلب نعيم الدُّنيا ولا يطلب نعيم الآخرة. إمّا لعدم إيمانه بالنُّشور أو لإنهماكه في طلب الدُّنيا وغلبة حبّها عليه وإهتمامه بها بحيث غفل عن الآخرة وأن كان مؤمناً بالبعث فيقول:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ أي إجعل عطائنا في

الدُّنْيَا، فهذا يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا سَأَلَهُ لِدُنْيَاهُ وَأَنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَطْلُبْهَا فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالذِّكْرِ مَا يَشْمَلُ الدَّعَاءَ وَدَلَالَةٌ عَلَى شِدَّةِ التَّحْرِيبِ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ أَنَّهُ يُعْطِي الذَّاكِرَ الدَّاعِيَ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحَقًّا وَأَهْلًا لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

كما يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ ابْنُ بَابُوَيْهٍ فِي كِتَابِهِ مَرْسَلًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ عليه السلام: مَا يَقِفُ أَحَدٌ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالِ بَرًّا وَلَا فَاجِرًا إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَأَمَّا الْبَرُّ فَيَسْتَجَابُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَجَابُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ انْتَهَى.

وَفِي الْكَافِي عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنِيَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ عليه السلام: سَأَلَ رَجُلٌ أَبِي بَعْدَ مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْمَوْقِفِ قَالَ أَتُرَى يُجِيبُ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فَقَالَ أَبِي مَا وَقَفَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَحَدٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا إِلَّا أَنَّهُمْ فِي مَغْفِرَتِهِمْ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ.

مُؤْمِنٌ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَفِيهِمْ مَنْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَ قِيلَ لَهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام وَكَافَرُ وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ إِنْ تَابَ مِنَ الشَّرِّ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ وَأَنْ لَمْ يَتَبَّ وَفَّاهُ أَجْرَهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهُ أَجْرَ هَذَا الْمَوْقِفِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْخَيْرَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١).

وفي هذا الخبر دلالة على أَنَّ المراد بالقسم الأوَّل هو من عبَّر عنه سبحانه في هذه الآية بقوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

وفي صحيحة معاوية بن عَمَّار عن أَبِي عبد الله عليه السلام قال: طف بالبيت سبعة أشواط وتقول في الطَّوَّاف اللهمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ إِلَى أَنْ قَالَ وتقول فيما بين الرِّكْن والحجر الأسود رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً.

وفي صحيحة عبد الله بن سنان أَنَّ مَلَكاً مُوَكَّلًا يقول آمين، القسم الثَّانِي، من يطلب نعيم الدُّنْيَا والأخرة معاً لإيمانه بالقيامة وإعراضه عن الدُّنْيَا وخطامها فهو ينظر إلى الدُّنْيَا بالنظر الآلي لا الإستقلالي بمعنى أَنَّهُ يجعل الدُّنْيَا سبباً ووسيلةً إلى الأخرة ولأجل ذلك يطلبها لَأَنَّ الْمُسَبَّب لَا يُوجَد بِدُونِ السَّبَب وطالب الدُّنْيَا بهذا المعنى هو بعينه طالب الأخرة وهذا هو الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

والمراد بِالْحَسَنَةِ رضوان الله في الأخرة.

ففي صحيحة جميل عن أَبِي عبد الله عليه السلام قَالَ أَنَّ الْحَسَنَةَ رضوان الله والجنة في الأخرة والمعاش وحُسن الخُلُق في الدُّنْيَا وفي رواية أخرى السَّعة في الرِّزْق والمعاش وحُسن الخُلُق في الدُّنْيَا. وروي عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ أُوتِيَ قَلْباً شَاكِراً وَلِسَاناً ذَاكِراً وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَقَدْ أُوتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي عَذَابِ النَّارِ وَعَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ وَقَنَا عَذَابِ النَّارِ بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ أَوْ جَنَّبَنَا الْمَعَاصِيَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى النَّارِ وَعَنْهُ عليه السلام أَنَّ عَذَابَ النَّارِ إِمْرَأَةُ السُّوءِ. وَ مِنْ كِتَابِ الْإِحْتِجَاجِ رَوَى عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام: عَنْ أَبِيهِ عَنْ

آبَاءَهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ إِذْ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْبِلَاءِ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ فَاتَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْبِلَاءِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ كُنْتَ تَدْعُو فِي صَحَّتِكَ دَعَاءَ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ يَا رَبِّ أَيُّمَا عَقُوبَةٍ أَنْتَ مُعَاقِبُنِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ فَعَجَّلَهَا لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَاثِمًا نَشِطْتَ مِنْ عَقَالٍ وَقَامَ صَبِيحًا الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا**، أُولَئِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقِ الثَّانِي كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ الْمَذْكُورَةُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ مَعًا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: **لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا** أَيِ مِنْ جَنْسِهِ أَوْ مِنْ أَجَلِهِ أَنْ خَيْرًا أَوْ خَيْرًا وَأَنْ شَرًّا فَشَرًّا وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ، وَالْمُرَادُ بِالْكَسْبِ هُنَا الْعَمَلُ الَّذِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْفَائِدَةُ وَالرِّيحُ كَالدَّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَقَوْلُهُ: **وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنْ قُرْبِ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِ: **إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**، وَقَوْلُهُ: **وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ^(١)** أَيِ أَنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ تَقِيمَ الْقِيَامَةُ وَيَحَاسِبُ عِبَادَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فَيَكُونُ فِيهَا تَحْرِيزًا عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا وَعَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْبَةِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْإِنْزِجَارِ عَنْهَا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ سَرِيعُ الْمَجَازَاةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِيهَا أَيْضًا تَرْغِيبٌ وَحَثٌّ عَلَى الدَّعَاءِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَحَاسِبُ الْعِبَادَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمْ فِي لَمْحَةٍ أَوْ أَقَلٍّ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ يَحَاسِبُ الْخَلَائِقَ فِي مَقْدَارِ حَلْبٍ.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

المراد بالمعدودات أيام التشريق والذكر هو التكبير فيها، أمر الله تعالى المكلفين أن يذكروا الله في الأيام المعدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر أعني بها الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك وأما الأيام المعلومات عشر ذي الحجة وقيل أن المعلومات أيام التشريق والمعدوات العشر والأول أشهر وسميت معدودات لأنها قلائل كما قال تعالى: وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ^(١).

أي قليلة والجمع بالآلف والتاء يصلح للقليل والكثير والقليل أغلب عليه قالوا أن الآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام وهو أن يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد وزاد أصحابنا على هذا القدر، الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ورزقنا من بهيمة الأنعام قال الشيخ رحمه الله في التبيان وأول التكبير عندنا لمن كان بمنى عقيب الظهر من يوم النحر إلى الفجر من يوم الرابع من النحر، عقيب خمسة عشرة صلاة وفي الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر إلى عقيب الفجر يوم الثاني من التشريق عقيب عشر صلوات إنتهى.

في التفسير القرآن

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

وقالوا المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من التشريق وإن أقام إلى النفر الأخير وهو اليوم الثالث من التشريق كان أفضل فإن نفر في الأول نفر بعد الزوال إلى الغروب فإن غربت فليس له أن ينفر وقال الحسن إنما

جزء ٢

المعدودات

له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر فإن أدركته صلاة العصر فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث وليس للإمام أن ينفر في النفر الأول وبه قال الحسن قال بعض المحققين في تفسير قوله تعالى: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ الْخ..** أي من تعجل في سفره وإرتحاله بعد إقامته بها يومين وهذا يدل على أنه يجب المبيت بمبنى ليلتين وهما ليلة الحادي عشر والثاني عشر وهو مذهب الأصحاب وبه قال أكثر أهل الخلاف.

يدل على صحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام: لا تبیت ليلي التّشريق إلا بمبنى والأخبار الواردة بذلك كثيرة، روي ابن بابويه في كتاب الفقيه بأسناده عن الصادق عليه السلام وسأل عن قول الله عز وجل: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** قال عليه السلام ليتبين هو على أن ذلك واسع إن شاء صنع ذا وإن شاء صنع ذا لكنه يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له والأخبار بذلك كثيرة.

وهو مجمع عليه بين العلماء كافة قال في المنتهى، ويرد هنا سؤال وهو أن المتأخر لا يتصور في حقه التقصير فما الفائدة في التصريح بنفي الإثم عنه، والجواب عنه أن المراد بيان أن الحاج يرجع مغفوراً له كيوم ولدته أمه على كلا التقديرين كما يدل عليه الخبر المذكور وغيره من الأخبار الدالة على أنه يرجع مغفوراً له ولو جعل رفع الإثم إلى التعجيل والتأخير معاً كما قيل، لأمكن الجواب بأن التقدير رخصة وهي قد تكون عزيمة فنبه تعالى برفع الإثم بالتأخير على أن ذلك ليس من العزيمة أو يقال أن لهذا البيان سبب وهو أن الناس في عهد الجاهلية كانوا فريقين، فمهم من يجعل المتعجل أثماً ومنهم من عكس فوردت الآية ردّاً عليها وقد يقال أن رفع الإثم في المتأخر الذي يزيد على الثلاثة وذلك أنه لما كانت أيام التشريق ثلاثة فهي في مظنته أنه لا يجوز

نقصها ولا الزيادة عليها فَنَبَّهَ تعالى على جواز الأمرين وأنه لا إثم فيهما أو يقال أنه من باب رعاية المقابلة والمشاكلة، أو يقال التصريح بذلك لرفع التَّوهم الحاصل من دليل الخطاب.

يَدُلُّ عليه ما رواه الشَّيْخُ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فَلَوْ سَكَتَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا تَعَجَّلَ لَكِنَّهُ قَالَ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَفِي رَوَايَةِ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْنِيَةَ عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ عليه السلام: وَ فِيهِمْ أَيْ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ مَنْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وَقِيلَ لَهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي؛ مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى الْكِبَائِرَ وَ أَمَّا الْعَامَّةُ فَيَقُولُونَ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي فِي النَّفَرِ الْأَوَّلِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي لِمَنْ اتَّقَى الصَّيْدَ افْتَرَى أَنَّ الصَّيْدَ يَحْرُمُهُ اللَّهُ بَعْدَ مَا أَحْلَاهُ فِي قَوْلِهِ وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُوا وَ فِي تَفْسِيرِ الْعَامَّةِ مَعْنَاهُ وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَأَتَقُوا الصَّيْدَ وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ مَعْنَاهُ مَنْ مَاتَ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ أُنْسِيَ أَجْلَهُ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ. وَ رَوَى ابْنُ بَابُوَيْهٍ عَنْ مَعْوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْفَرُ فِي يَوْمَيْنِ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْفَرُ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ فَإِذَا تَأَخَّرْتَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَهُوَ يَوْمُ النَّفَرِ الْآخِرِ فَلَا عَلَيْكَ أَيْ سَاعَةً نَفَرْتَ وَ رَمِيتَ قَبْلَ الزَّوَالِ وَ بَعْدَهُ قَالَ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى قَالَ يَتَّقِي الصَّيْدَ حَتَّى يَنْفَرُ أَهْلُ مَنْى النَّفَرِ الْآخِرِ. اَنْتَهَى.

و في رواية أخرى عنه عليه السلام قال: ينبغي لمن تعجل في يومين أن يمسك عن الصّيد حتّى ينقضي اليوم الثالث انتهى.

و روى في الكافي بأسناده عن إسماعيل بن بختيخ الرّماح قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام بمنى ليلة من الليالي فقال عليه السلام ما يقول هؤلاء فيمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه قلنا ما تدري قال عليه السلام بلّى يقولون من تعجل من أهل البادية فلا إثم عليه و من تأخر من أهل الحضر فلا إثم عليه وليس كما يقولون قال الله عزّ وجلّ: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَلَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ أَمْ أَنَا هِيَ لَكُمْ وَالنَّاسُ سَوَادٌ وَأَنْتُمْ الْحَاجُّ** انتهى.

و في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنّ العبد المؤمن حين يخرج من بيته حاجباً لا يخطو خطوة و لا تخطو به راحلته إلّا كتب الله له بها حسنة و رفع له درجة فاذا وقف بعرفات فلو كانت ذنوبه عدد الثرى رجع كما ولدته أمّه فقال ليستأنف العمل يقول الله عزّ وجلّ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**.

و عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ** قال عليه السلام أنتم والله هم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لا يثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون انتهى.

والأخبار بذلك كثيرة ثم أنّ قوله تعالى: **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** فيه قولان:

أحدهما: أنّ معناه لا إثم عليه لأنّ سيئاته صارت مكفّرة بما كان من حجه المبرور و هو قول ابن مسعود.

الثاني: أنّ معناه لا إثم عليه في التعجيل و التأخير و أنّما نفي الإثم لئلا يتوهّم متوهم أنّ في التعجيل إثماً و أنّما قال: **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** في التأخير على

جهة المزاج كما يقال أن أعلنت الصدقة فحسن وأن أسررت فحسن وأن كان
الإسرار أحسن وأفضل، وفي قوله تعالى: **لِمَنِ اتَّقَى** أيضاً وجهان:
أحدهما: أن الحج يقع مبروراً مكفراً للسيئات إذا إتقى ما نهى عنه.
والوجه الآخر، أن قوله: **لِمَنِ اتَّقَى** متعلق بالتعجيل في يومين وتقديره
فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لمن إتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير
وما بقي من إحرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الأول وهو المروي عن
ابن عباس واختاره الفراء وقوله: **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** أي
اجتنبوا معاصي الله وأعلموا أنكم تجمعون إلى الموضع الذي يحكم الله فيه
بينكم ويجازيكم على أعمالكم ولمثل هذا فليعمل العاملون وقال تعالى:
إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ^(١).



وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
(٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
(٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ
فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

◀ اللّغة

أَلَدُّ الْخِصَامِ: الألدّ الخَصَمُ الشّدِيدُ التّأبِي وَ جَمْعُهُ، لُذَّ قَالَهُ الرّازِغُ فِي
المُفْرَدَاتِ وَالْخِصَامِ بِكسْرِ الخاءِ جَمْعُ خَصَمٍ.
تَوَلَّى: أَي أَعْرَضَ.
الْحَرْثُ: بفتح الحاء إلقاء البَذْرِ فِي الْأَرْضِ وَ تَهَيَّوْهُا لِلزَّرْعِ وَ يُسَمَّى
الْمَحْرُوثَ حَرْثًا.

◀ الإعراب

مَنْ يُعْجِبُكَ مِنْ نكرة موصوفة فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا متعلّق بالقول والتقدير في
أُمُور الدُّنْيَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعُجْبِكَ وَ يُشْهَدُ اللَّهُ يَجُوزُ فِيهِ العطف على
يُعْجِبُكَ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يُعْجِبُكَ وَ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْهَاءِ فِي، قَوْلِهِ، وَ الْعَامِلُ فِيهِ الْقَوْلُ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ صِفَةً مَعْطُوفَةٌ عَلَى يُعْجِبُكَ وَ أَنْ تَكُونَ حَالًا مَعْطُوفَةٌ
عَلَى وَ يَشْهَدُ، وَ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي يَشْهَدُ، وَ الْخِصَامُ هُنَا جَمْعُ
خَصَمٍ نَحْوُ كَعْبٍ وَ كَعَابٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا وَ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ مِضَافٍ
أَي أَشَدَّ ذَوِي الْخِصَامِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا بِمَعْنَى إِسْمِ الْفَاعِلِ لِيُفْسِدَ اللَّامُ

متعلّقة، بسعى يَهْلِكُ معطوف على يفسد، والحرث، مفعوله وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْفُسَادَ مبتدأ وخبر الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ في موضع نصب على الحال من العِزَّةِ
 فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ مبتدأ وخبر وقيل جهنم فاعل، حسبه، لأن حسبه في معنى
 إسم الفاعل أي كافيه وَكَبِشَ الْمِهَادُ الْمُخْصُوصَ بِالذِّمِّ أي ولبس المهاد
 جهنم.

◀ التفسير

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ قيل المعني بهذه الآية المنافق، وقيل
 المرائي وقيل أنها نزلت في الأخنس بن شريق واسمه أبي، والأخنس لقب
 لقّب به لأنه خنس يوم بدر بثلاث مائة رجل من حلفاءه من بني زهرة عن قتال
 رسول الله ﷺ وكان رجلاً خلو القول والمنظر فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ
 فأظهر الإسلام وقال الله يعلم أنني صادق ثم هرب بعد ذلك فمَرَّ بِزَرْعٍ لِقَوْمٍ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ وبحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر قال المهدوي وفيه نزلت ولا
 تطع كل حلافٍ مهينٍ هَمَازٍ مَشَاءٍ بنميم، ويُلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، قال ابن عطية
 ما ثبت قط أن الأخنس أسلم، وقال ابن عباس نزلت في قوم من المنافقين
 تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرّجيع، عاصم بن ثابت وخبیب وغيرهم
 وقالوا وَيَحْ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قعدوا في بيوتهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم فنزلت
 هذه الآية في صفات المُنافقين، وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء
 نزلت في كل مبطنٍ كفرًا أو نفاقًا أو كذبًا أو إضرارًا وهو يظهر بلسانه خلاف
 ذلك فهي عامّة الحقّ الحقيق بالإتباع ولنرجع إلى تفسير الألفاظ فيها وَمِنَ
 النَّاسِ أي بعضهم فكلمة من، للتبعض مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا والإعجاب هو السُرُور بالشئِ سُرُورُ الْعَجَبِ بما يستحسن ومنه العجب
 بالنفس أي تستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك في الحياة الدنيا

فيقول مثلاً أنا آمَنْتُ بك أو أنا صاحبُ لك و أمثال ذلك من العبارات اللطيفة وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ أَي يَحْلِفُ بِاللَّهِ وَيَشْهَدُهُ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ وَ أَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا وَأَنَّ بَاطِنَهُ مُوَافِقٌ لظَاهِرِهِ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَاقِعًا هُوَ الدُّخْصَامُ أَي وَالْحَالُ أَنَّهُ أَشَدُّ الْمَخَاصِمِينَ خُصُومَةً وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ الْخِصَامَ مُصَدَّرًا فَالْمَعْنَى هُوَ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ عِنْدَ الْمُخَاصِمَةِ أَى:

وَإِذَا تَوَلَّى إِذَا أَعْرَضَ، وَقِيلَ إِذَا مَلَكَ الْأَمْرَ وَ صَارَ الْيَأَى عَلَى النَّاسِ بِمَعْنَى أَنَّهُ صَارَ سُلْطَانًا جَارٍ وَقِيلَ وَلَّى عَنْ قَوْلِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ سَعَى فِي الْأَرْضِ أَي أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ مِنْ عِنْدِكَ وَقِيلَ عَمَلٌ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا أَي لِيَقْطَعَ الرَّحِمَ وَ يُسْفِكَ الدَّمَاءَ وَقِيلَ لِيُظْهِرَ الْفَسَادَ وَيَعْمَلَ الْمَعَاصِيَ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالتَّسْلَ أَي يَهْلِكُ وَيَفْنِي النَّبَاتَ وَ الْأَوْلَادَ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَرْثَ النَّسَاءَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ وَالتَّسْلُ الْأَوْلَادَ وَ رَوَى أَنَّ الْحَرْثَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الدِّينَ وَ النَّسْلُ النَّاسُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ أَي الْعَمَلَ بِالْفَسَادِ وَقِيلَ لَا يُحِبُّ أَهْلُ الْفُسَادِ وَكَيْفَ كَانَ فِيهِ الْآيَةُ الْأُولَى أَعْنِي بِهَا قَوْلُهُ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ دَلَالَةٌ عَلَى وَجُودِ الْمُنَافِقِ فِي النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ وَأَنَّهُ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ الْآيَةُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ يَنْتَهِزُ الْفُرْصَةَ فَإِذَا وَجَدَهَا عَمَلَ بِمَا يَقْتَضِي نِفَاقَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعَامَّةِ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَعْنِي بِهَا قَوْلُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ الْخ، دَلِيلٌ وَتَنْبِيهُ عَلَى الْإِحْتِيَاطِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَ إِسْتِبْرَاءِ أَحْوَالِ الشُّهُودِ وَ الْقُضَاةِ وَأَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَعْمَلُ عَلَى ظَاهِرِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَ مَا يَبْدُو مِنْ إِيْمَانِهِ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى يَبْحَثَ عَنْ بَاطِنِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيِّنَ أَحْوَالِ النَّاسِ وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَظْهَرُ قَوْلًا جَمِيلًا وَهُوَ يَنْوِي قَبِيحًا فَإِنَّ قِيلَ هَذَا يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَدِيثُ.

وقوله **عَلَيْهَا** فَأُفْضِي لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي صَدْر
 الْإِسْلَام حَيْثُ كَانَ إِسْلَامُهُمْ سَلَامَتُهُمْ وَأَمَّا وَقَدْ عَمَّ الْفَسَادُ فَلَا، ثُمَّ قَالَ
 وَالصَّحِيحُ أَنَّ الظَّاهِرَ يَعْمَلُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَتَّبِعْنَ خِلَافَهُ لِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي
 صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَأَتَمَّا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا
 مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَّنَاهُ وَقَرَّبَنَاهُ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ
 يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نُؤْمِنْهُ وَلَمْ نَصَدِّقْهُ وَأَنْ قَالَ أَنَّ
 سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ انْتَهَى.

وَأَنَا أَقُولُ كَلَا الْقَوْلَيْنِ عَارٍ عَنِ التَّحْقِيقِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ
 لَا تَخْتَصُّ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ وَلَا فَرْقَ فِيهِمَا فِي الْعَمَلِ بِهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى
 آخِرِ الدُّنْيَا لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى الرَّسُولِ وَهُوَ مُعْجَزَتُهُ الْبَاقِيَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ وَأَمَّا الْفَحْصُ وَالِاسْتِبْرَاءُ عَنْ أَحْوَالِ الشُّهُودِ وَالْقَضَاءِ الْخُ مَا
 قَالَ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَنْكُرُ وَقَدْ صَرَّحَ الْكِتَابُ بِهِ حَيْثُ قَالَ: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ^(١) وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ
 عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ قَوْلِهِ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَأَتَمَّا نَأْخُذُكُمْ
 الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ الْخُ فَهُوَ كَلَامٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ انْقِطَاعَ
 الْوَحْيِ وَعَدَمَهُ لَا دَخَلَ لَهُ فِيمَا نَحْنُ بِصَدْدِهِ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ لَا يَعْمَلُ فِي
 إِسْتِمَاعِ الْأَقْوَالِ وَالشُّهُودِ عَلَىٰ أَسَاسِ الْوَحْيِ لِأَنَّ ﷺ كَانَ مَأْمُورًا بِالظَّاهِرِ لَا
 بِالْوَاقِعِ وَهُوَ قَدْ ثَبَتَ فِي مُحَلِّهِ فإِنْ قَطَعَ الْوَحْيُ لَا يُوجِبُ الْأَخْذَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ
 أَعْمَالِ النَّاسِ كَيْفَ اتَّفَقَ وَمِنْ أَيِّ شَخْصٍ صَدَرَ بَلْ لَا بَدَّ لَنَا فِي قَبُولِ قَوْلِهِ مِنْ
 الْمَعْرِفَةِ بِحَالِهِ وَالْفَحْصِ عَنْ أَحْوَالِهِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ وَهَذَا الْقَدْرُ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ وَ
 أَمَّا الْإِطْلَاعُ عَلَى الضَّمَائِرِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْقُدْرَةِ لَا يُكَلِّفُ اللَّهَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا^(٢)
 وَلِذَلِكَ اتَّفَقَ الْأَصْحَابُ عَلَى قَبُولِ شَهَادَةِ الْعَدْلِ وَأَمَّا عَلَىٰ مَسَلِّكَ الْعَامَّةِ

بَابُ التَّفَرُّقِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

العدل

فالأمر مشكل لأنه لم يشترطوا العدالة بل يكفي عندهم التظاهر بالإسلام هذا كله في أصل القاعدة وأما الآية الشريفة فالحق أنها بمعزل عن هذا البحث إذ ليس فيها أمرٌ بقبول القول وعدمه وإنما هي بصدد بيان أمرٍ آخر وهو الإعلام بأن بعض الناس كذلك وهذا ممّا لا خلاف فيه نعم الإحتياط في جميع الأمور لا ينبغي تركه قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أخوك دينك فأحتط لدينك وهو أمرٌ آخر وأما قوله تعالى: **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ فُجِهَ الرِّبْطُ فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا بَيْنَ مِنْ حَالِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ حَلُو الْكَلَامِ وَأَنَّهُ يَقَرَّرُ صَدَقَ قَوْلُهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ أَلَدَ الْخِصَامِ بَيَّنَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَهُ بِاللِّسَانِ فَقَلْبُهُ مَنْطُورٌ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ لِنَفَاقِهِ** فقال فيه **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ** ومعناه إذا انصرف من عندك سعى في الأرض بالفساد والمراد بالفساد ما كان من إتلاف الأموال بالتخريب والتحريق والنهب كما مرّ في قصّة الأخنس وقيل أن المراد إلقاء الشبه في قلوب المسلمين كما قال تعالى حكاية عن قوم فرعون حيث قالوا له **أَتُنذِرُ مُوسَى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** ^(١) أي يردّوا قومك عن دينهم ويفسدوا عليهم شريعتهم وقال أيضاً، أني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهروا في الأرض الفساد، وأنما سُمّي هذا المعنى فساداً في الأرض لأنه يوقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم ويؤدّي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض فتقطع الأرحام وتنسك الدماء كما قال فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، ولا يخفى أن عمل الفساد على هذا المعنى في الآية أولى من حمله على التخريب والنهب وأن كان هو أيضاً من مصاديقه وذلك لأنه تدلّ قال ويهلك الحرث والنسل والمعطوف مغاير للمعطوف عليه لا محالة هذا ما حصل لنا في معنى الآية والله تعالى أعلم بما قال على كلّ حال.

روى محمد بن يعقوب عن عدّة من أصحابنا بأسناده عن أبي

إِسْحَاقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ بِظُلْمِهِ وَسُوءِ سِرِيرَتِهِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَيَهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ هُمُ الذَّرِّيَّةُ وَالزَّرْعُ.

وَعَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُهُمَا عَنْ قَوْلِهِ: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ فَقَالَ النَّسْلُ الْوَلَدُ وَالْحَرْثُ الْأَرْضُ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْثُ الذَّرِّيَّةُ.

وَعَنْ سَعْدِ الْإِسْكَافِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ بَلْ هُمْ يَخْصِمُونَ قَالَ قُلْتُ مَا أَلَدُ، قَالَ عليه السلام: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ انْتَهَى.

رَوَى السَّيُّوطِيُّ فِي الذَّرِّ الْمَنْثُورِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْرِيِّ أَنَّهُ ذَكَرَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيَّ فَقَالَ أَنَّ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا أَلَسَّنَتْهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ لِبَسُوا لِبَاسَ مَسُوكِ الضَّانِ مِنَ اللَّيْنِ يَجْتَرُونَ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى يَجْتَرُونَ وَبِئْسَ يَغْتَرُونَ وَعَزَّتِي لِأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تتركُ الْحَلِيمَ مِنْهُ حَيْرَانَ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَالَ سَعِيدٌ قَدْ عَرَفْتُ فِيمَنْ أَنْزَلَتْ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: أَنَّ الْآيَةَ تَنْزِلُ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ عَامَّةً بَعْدَ انْتَهَى.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا بَالَ قَوْمُكَ يَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّانِ وَيَتَشَبَّهُونَ بِالرَّهْبَانِ كَلَامُهُمْ أَحْلَى مِنْ

العسل و قلوبهم أَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ لِي يَخَادِعُونَ وَ
عَزَّتِي لِأَتَرَكَنَّ الْعَالَمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا لَيْسَ مِنِّي مَنْ تَكْهَنُ أَوْ تَكْهَنَ لَهُ أَوْ
سِحْرٌ أَوْ سِحْرٌ لَهُ مَنْ آمَنَ بِي فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَلْيَتَّبِعْ
غَيْرِي انْتَهَى.

و أخرج أحمد في الزهد عن وهب أن الرب تبارك و تعالى قال لعلماء بني
إسرائيل يفقهون لغير الدين و يعلمون لغير العمل و يبتغون الدنيا بعمل الآخرة
يلبسون مسوك الصّان و يخفون أنفس الذّباب و يقفون القذى من شرابكم و
يبالغون أمثال الجبال من المحارم و يثقلون الدّين على النّاس أمثال الجبال ولا
يعينونهم برفع الخناصر يبيضون الثّياب و يطيلون الصّلاة ينتقصون بذلك مال
اليتيم و الأرملة فِعِزَّتِي حَلَفْتُ لِأَضْرِبَنَّكُمْ بِفِتْنَةٍ يَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ ذِي الرَّأْيِ
و حكمة الحكيم انتهى^(١)

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ.
معناه و اذا قيل لهذا المنافق الذي يُفسد في الأرض، اتَّقِ اللَّهَ، ولا تفعل
ذلك أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ أي دخلته العِزَّة بالاثم أي دخلته عِزَّة وَحَمِيَّة،
والعِزَّة القُوَّة والغلبة من عَزَّه اذا غلبه و منه قوله، و عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، و قيل
العِزَّة الحمِيَّة و قيل هي المنعة و شدَّة النّفس أي إعَزَّزَ فِي نَفْسِهِ فأوقعتة تلك
العِزَّة في الإثم حين أخذته وألزمته إيّاه و قيل أخذته العِزَّة بما يؤثمه أي
إرتكب الكفر للعِزَّة والحميّة والحاصل أنّه اذا قيل له مهلاً ازداد إقداماً على
المعصية ولا يقبل قول النّاصح و من كان كذلك، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ، أي فكفاه
عقوبة من ضلاله أن يصلّى نار جهنّم فأنّها بئس المهاد لمن يصلّاها.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)

◀ اللغة

يَشْرِي: أي يبيع كما قال تعالى: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ^(١) أي باعوه و الشراء إستبدال العوض بأثمن.
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ: الإبتغاء الطلب.
رَءُوفٌ: من الرأفة وهي الرحمة.

◀ الإعراب

ابْتِغَاءَ نَصْب لأنه مفعول له وَاللَّهُ رَءُوفٌ مبتدأ وخبر.

◀ التفسير

وَمِنَ النَّاسِ أي بعضهم مَنْ يَشْرِي أي يبيع نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أي طلباً لمرضاته وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.
أي أنه واسع الرحمة فأَنْ رحمته وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ وقيل الرأفة أشد وأَرْق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع فيها للمصلحة والروؤف من أسماء تعالى وهو الرحيم بعباده العُطُوف عليهم بِالطَّافَةِ، ثُمَّ أَنَّهُمْ إِخْتَلَفُوا فِي نَزُولِهَا فَرَوَى السَّيِّدِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ هَرَبَ النَّبِيُّ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْغَارِ وَنَامَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرَاشِهِ وَنَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ وَصَهيب بن سنان لأنَّ أَهْلَ أَبِي ذَرٍّ أَخَذُوا أَبَا ذَرٍّ فَإِنْغَلَتْ مِنْهُمْ فَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ فَلَمَّا رَجَعَ مَهَاجِرًا

بُيِّنَ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

أعرضوا عنه فإنفلت حتى نزل على النبي صهيب فإنه أخذه المشركون من أهله فافتدئ منهم بماله ثم خرج مهاجراً وروي عن علي و ابن عباس أنَّ المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله نقل هذه الأقوال في مجمع البيان.

قال القرطبي في تفسيره لها، قيل نزلت في صهيب فإنه أقبل مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فأتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وأنتشل ما في كنانته و أخذ قوسه وقال لقد علمتم أنني من أركامكم وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي منه شيء ثم أفعلوا ما شئتم فقالوا لا نتركك تذهب عنا غنيّاً وقد جئتنا صعلوكاً ولكن دلنا على مالك بمكة ونخلو عنك وعاهدوه على ذلك ففعل فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية فقال له رسول الله ﷺ ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه الآية أخرجه رزين وقاله سعيد بن المسيّب المفسرون أخذ المشركون صهيباً فعذبوه فقال لهم صهيب أنني شيخ كبير لا يضركم، أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذ مالي و تذرني و ديني ففعلوا ذلك وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج إلى المدينة فتلّقه أبو بكر وعمر ورجال فقال له أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقال له صهيب و يبيعك لا يخسر فما ذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وقال الحسن أندرون فيمن نزلت هذه الآية نزلت في المسلم لقى الكافر فقال له قل لا إله إلا الله فإذا قتلها عصمت مالك و نفسك فأبى أن يقولها فقال المسلم لأشربن نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل.

ونقلوا عن ابن عباس أنه قال إقتل الرجلان أي قال المغير للمفسد إتق الله فأبى المفسد وأخذته الغرة فشرى المغير نفسه من الله وقاتله فأقتلا، وقال

أبي الخليل سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية فقال عمر إنّا لله وإنّا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فقتل وقيل نزلت فيمن يقتحم القتال حمل هشام بن عامر على الصف في القسطنطينية فقاتل حتى قتل فقراً أبو هريرة ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، ومثله عن أبي أيوب، وقيل نزلت في شهداء غزوة الرّجيع وقال قتادة هم المهاجرون والأنصار وقيل نزلت في عليّ عليه السلام حين تركه النبي على فراشه ليلة خرج إلى الغار انتهى.

وهذه الوجوه ذكرها القرطبي في تفسيره وأنما نقلناه بطولها وتفصيلها لتعلم أنهم اختلفوا في شأن نزول الآية إختلافاً شديداً والإنصاف أن ما ذكره في شأن نزولها لا يناسبها وأنها نزلت في أمير المؤمنين عليّ ابن طالب عليه السلام ودونه خراط القتاد والدليل على ذلك هو أنه إتفقوا على أن كلمة، يشري في الآية بمعنى، يبيع، كما في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: وَشَرَّوه بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، أي باعوه بثمنٍ بخس، ومن المعلوم أن قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ صَرِيحٌ في بيع النفس الذي هو كناية عن تركها وبذلها في سبيل الله ابتغاء لمرضاته وهذا لا يكون إلا في صورة الإختيار وأنما قلنا هو كناية عن بذلها كذلك لأن بيع النفس حقيقة لا معنى له وهو واضح اذا عرفت هذا فنقول أمّا قصة صهيب فعلى فرض صحته وعدم كونها من المجموعات لا تصلح لنزول الآية وذلك لأنه باع ماله بحفظ نفسه كما اعترفوا به حيث قالوا، فإفتدى منهم بماله ثم خرج، ومن إفتدى بماله لا يقال فيه أنه شري مفسه بل يقال شري ماله ولو كان الأمر كما ذكروه فكان ينبغي أن يقال وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى مَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ والآية ليست كذلك، وأمّا قصة أبي ذر وهو أن أهل أبا ذر أخذوه فإنفلت منهم فقدم على النبي الخ فهي أيضاً لا تناسب الآية إذ لم يكن هناك شراء تفس أي بيعها نعم هو فر من أهله

حِفْظًا لِدِينِهِ وَالْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِيَّ شَرَاءِ النَّفْسِ لَا فِي فِرَارِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا مَا نَقَلُوهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُوَ أَيْضًا لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِشَرَائِطِهِ وَمِنْ الشَّرَائِطِ بَلْ أَعْظَمُهَا عِلْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ ظَنُّهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فَإِنْ عِلْمٌ أَوْ ظَنٌّ بِالْقَتْلِ لَا يَجِبُ بَلْ لَا يَجُوزُ لَهُ الْقِيَامُ بِهِ لَوْ جُوبَ حِفْظُ النَّفْسِ وَلِقَوْلُهُ تَعَالَى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ^(١) وَعَلَيْهِ فَإِنْ عِلْمٌ أَوْ ظَنٌّ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَمَعَ ذَلِكَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ فَهُوَ عَاصٍ وَأَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ أحياناً فهو لا يعدُّ من البائِعينَ نَفْسَهُ لِأَنَّ بَيْعَ النَّفْسِ إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ لَعْدَمُ عِلْمِهِ بِهِ وَهُوَ وَاضِحٌ وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَقْوَالِ الْمَذْكُورَةِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا أَنَّ الْأَقْوَالَ الْمَذْكُورَةَ لَا تُنَاسِبُ الْآيَةَ وَلَا هِيَ تُنَاسِبُهَا فَإِنَّ الْآيَةَ بِمَعْرِزٍ عَنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ رَأْسًا وَمُلْخَصَ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ الْآيَةَ نَازِلَةٌ بَلْ نَاصَةٌ فِيمَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَفَدَى بِهَا إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَأَمَّهُ مِنْ فَدَى بِمَالِهِ أَوْ جَاهَدَ حَتَّى قُتِلَ فَلَا يَكُونُ مُصَدِّقًا لَهَا كَمَا لَا يَخْفَى وَالْحَقُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَاتَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْمَبِيتِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْقِصَّةَ أَوَّلًا ثُمَّ (وَمِنْ نَرُدُّهَا بِذِكْرِ الْأَخْبَارِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ فَنَقُولُ:

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ لَمَّا تَتَابَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ أَقَامَ هُوَ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَخَلَّفَ مَعَهُ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشُ ذَلِكَ حَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ وَتَشَاوَرُوا فِيهَا فَدْخَلَ مَعَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعْتُ بِخَبْرِكُمْ فَحَضَرْتُ وَعَسَى أَنْ لَا تَعْدُمُوا مَنِّي رَأْيًا وَكَانُوا، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأَبَا سُفْيَانَ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ وَحَبِيبُ بْنُ مُطْعَمٍ

والحرث ابن عامر والنظر بن الحارث (الحرث) وأبا البختری بن هشام وربعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبا جهل وبينها ومنها إبنی الحجاج وأمیه بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض أن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن أتبعه فأجمعوا فيه رأياً فقال بعضهم إحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم فينزعه من أيديكم فقال آخر نخرجه ونفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع اذا غاب عنا فقال النجدي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه لو فعلتم ذلك لحلّ على حيٍّ من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى نسيباً ونعطي كلّ فتى منهم سيفاً ثم يضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ فيقتلوه فاذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل كلّها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منكاً بالفعل فقال النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي فتفرّقوا على ذلك فأتى جبرئيل النبي ﷺ فقال لا تبت الليلة على فراشك فلمّا كان العتمة اجتمعوا على بابهِ يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلمّا رأهم رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وأتسحّب بردي الأخضر فتم فيه وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤوسهم يتلوا هذه الآيات، يس والقرآن الحكيم إلى قوله فهم لا يبصرون ثم انصرف فلم يردّه فأتاهم آتٍ فقال ما تنتظرون قالوا محمداً قال خيبيكم الله خرج عليكم ولم يترك أحداً منكم إلا جعل على رأسه التراب وإنطلق لحاجته فوضعوا أيديهم على رؤوسهم فأروا التراب فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا وجعلوا ينظرون فيرون علياً نائماً وعليه برد النبي ﷺ ويقولون أن محمداً لنائم فقام

عَلَيَّ عَنِ الْفِرَاشِ فَعَرَفُوهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ
أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ^(١) وَ سَأَلْ أَوْلِيكَ الزَّهْرَةَ عَلِيًّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَا
أَدْرِي أَمَرْتُمُوهُ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ فَضْرِبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَحَبَسُوهُ سَاعَةً
ثُمَّ تَرَكُوهُ وَنَجَّى اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ مَكْرِهِمْ وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ وَقَامَ عَلِيٌّ يُؤَدِّي أَمَانَةَ
النَّبِيِّ ﷺ وَيَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ أَنْتَهَى مَا أَرَدْنَا نَقْلَهُ عَنِ الْكَامِلِ.

أَقُولُ وَفِي ذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إليه خاف أن يمكروا به أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص
قلائص تفرين الحصى أينما تفري وبت أراعيهم وما يشبتوني
فقد وطئت نفسي على القتل والأسى أردت به نصر الإله تبثلاً
وأضمرته حتى أوسد في قبري

وقد نقل القصة جميع المؤرخين بأدنى تفاوت في الألفاظ وهذا مما لا كلام
فيه عند الكل وأما أن الآية نزلت في شأنه عليه السلام كما هو المدعى فقد تضافرت
الأخبار بذلك من العامة والخاصة ونحن نذكر في المقام شطراً منها بعون الله و
توفيقه.

أما العامة :

فمنها ما نقله في كتاب غاية المرام من تفسير الثعلبي في الجزء
الأول في تفسير سورة البقرة قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ الْهَجْرَةَ
خلف علي ابن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي
كانت عنده وأمره ليلة الخروج إلى الغار وقد أحاط المشركون
بالدار أن ينام على فراشه فقال له يا عليّ إتشح ببردي الحضرمي ثم

نم على فراشي فأنت لا يخلص اليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل وفعل ذلك عليه السلام فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام أنني آخيتُ بينكما وجعلتُ عُمر أحدكما أطول من الآخر فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة فإختارا كلاهما الحياة فأوحى الله عز وجل اليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيتُ بينه وبين محمد فنام على فراشه يُفديه بنفسه ويؤثره بالحياة إهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله فقال جبرئيل بَخ بَخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

ومنها مرواه عنه أيضاً بأسناده عن الحكم بن ظهير قال: حدثنا السدي في قول الله عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قال قال ابن عباس نزلت في علي بن أبي طالب حين هرب النبي من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام علي على فراش النبي انتهى.

ومنها مرواه صاحب الكتاب عن أبي المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بأسناده عن علي بن الحسين قال: أن أول من يشري نفسه ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ تعالى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال علي عند بيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله شعراً - وقيتُ بنفسي خير من وطئ الثرى، الأشعار وقد نقلناها.

ومنها مرواه أبو نعيم الحافظ بأسناده عن ابن عباس قال: بات علي بن أبي طالب ليلة خرج النبي إلى الغار على فراشه ونزلت: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

و منها مارواه الثعلبي في تفسيره و ابن عُقبه في ملحمة و أبو السَّعادات في فضائل العشرة و الغزالي في الأخبار برواياتهم عن أبي اليقضان و جماعة من أصحابنا نحو ابن بابويه و ابن شاذان و الكليني و الطوسي و غيرهم بأسانيدهم عن ابن عباس و أبي رافع و هند ابن أبي هالة أنَّه قال رسول الله أوحى الله الى جبرائيل و ميكائيل أَنِّي آخِيتُ بينكما و جعلتُ عُمرَ أحكما أطول من عمر الآخر صاحبه فأَيكما يؤثر أخاه فكلهما كرها الموت فأوحى الله اليهما ألاَّ كنتما مثل وَلِيَّ عَلِيٍّ بن أَبِي طالب آخيت بينه و بين مُحَمَّدٍ نَبِيِّ فَأَثَره بالحياة على نفسه ثُمَّ ظَلَّ أَرْقده على فراشه يقيه بِمُهجته إهبطا الى الأرض جميعاً و احفظاه من عُدوه فَهَبَطَ جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله يقول بَحَّ بَحَّ من مثلك يا ابن ابي طالب و الله يباهي بك الملائكة فأنزل الله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

و منها ما رواه المالكي في كتاب فصول المُهمّة قال: أورد الإمام حجة الإسلام أبو حامد مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الغزالي في كتاب إحياء علوم الدِّين أنَّ اللَّيْلَةَ بات عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طالب على فراش رسول الله و أوحى الله تعالى الى جبرائيل و ميكائيل أَنِّي آخِيتُ بينكما و جعلتُ عُمرَ أحكما أطول من عُمر الآخر و ساق الحديث الى أن قال فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ انتهى.

و منها ما رواه المحدث الحنبلي الموصلي في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ نزلت في مَبِيتِ عَلِيٍّ على فراش رسول الله ﷺ و رواه أبو بكر بن مردويه أيضاً و ذكر

إبن الأثير في كتابه كتاب الإنصاف الذي جمع فيه بين الكاشف و
الكشاف أنها نزلت في عليّ وذلك حين هاجر النبي ﷺ وترك علياً
في بيته بمكة وأمر أن ينأى على فراشه ليوصل إذا أصبح ودائع
الناس اليهم وقال الله عز وجل لجبرائيل وميكائيل أني قد آخيتُ
بينكما وجعلتُ عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، وساق الحديث
الى قوله بخّ بخّ لك يا بن أبي طالب الحديث.

ومنها ما رواه عبيد بن كثير عن هشام بن يونس بأسناده عن إبن
عبّاس في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ نَزَلَتْ فِي عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام: حين بات على
فراش رسول الله ﷺ حيث طلبه المشركون انتهت.

وَأَمَّا الْخَاصَّةُ:

فلا خلاف فيه عندهم لأنهم قد إتفقوا على أنها نزلت في عليّ حين
بات على فراش رسول الله ﷺ ومع ذلك نُشير الى بعض ما ذكره في
المقام تيمناً وتبركاً به فمنها ما رواه في غاية المرام عن أمالي
الشيخ الطوسي بأسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل:
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ نَزَلَتْ فِي
عَلِيّ يُرِيدُونَ قَتْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ومنها ما رواه ايضاً بأسناده عن انس بن مالك قال: لما توجه
رسول الله ﷺ الى الغار ومعهُ ابوبكر امر النبي علياً ان ينام على
فراشه و تغيشى ببردته فبات على موطناً نفسه على القتل و باتت
رجال من قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله ﷺ فلما
أرادوا أن يضعوا عليه أسيافهم لا يشكون أنه محمّد فقالوا أيقظوه
ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه فلما أيقظوه فرأوه علياً تركوه

وَتَفَرَّقُوا فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ انْتَهَى.
ومنها ما رواه عنه أيضاً بأسناده عن ابن عباس قال بات علي عليه السلام ليلة خرج رسول الله عن المشركين على فراشه ليعمي على قريش وفيه نزلت وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انْتَهَى.

والأحاديث كثيرة جداً أنظر غاية المرام وغيرها من المطولات وفيما ذكرناه كفاية في الباب والمُنكر يعدّ من المُعاندين الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^(١) كيف وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مشتهداً بذلك وأنه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ.

بات علي فراش رسول الله ولذلك ترى الشعراء كانوا يمدحون علياً بهذه الفضيلة وأمثالها في أشعارهم فلو كانت الآية نزلت في ضُبيب وأمثاله لقالوا فيه كما قالوا في علي ولا بأس بنقل بعض الأشعار الواردة في الباب تأييداً وتكميلاً للبحث، قال السيد الحميري:

وَمِنْ ذَا الَّذِي قَدْ بَاتَ فَوْقَ فِرَاشِهِ
وَحَمْرُ مَنْهُ وَجْهَهُ بِلِحَافِهِ
فَلَمَّا بَدَأَ صَبْحُ يَلُوحُ تَكْشِفَتْ
وَدَارَتْ بِهِ أَحْرَاسُهُمْ يَطْلُبُونَهُ
أَتَوْا طَاهِرًا وَالطَّيِّبُ الطُّهْرُ قَدْ مَضَى
فَهَمُّوا بِهِ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَقَدْ سَطُّوا
وَأَدْنَى وَسَادِ الْمَصْطَفَى فَتُوسِدَا
لِيُدْفَعَ عَنْهُ كَيْدُ مَنْ كَانَ أَكِيدًا
لَهُ قَطْعُ مَنْ حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدًا
وَبِالْأَمْسِ مَاسِبُ النَّبِيِّ وَأَوْعَدَا
إِلَى الْغَارِ يَخْشَى فِيهِ أَنْ يَتَوَرَّدَا
بِأَيْدِيهِمْ ضَرْبًا مُقِيمًا وَمَقْعَدًا

وأيضاً قال :

وليلة كاد المُشركون محمداً
فبات مُبيتاً لم يكن لمبيته
وأيضاً قال :

وبات على فراش أخيه فرداً
وقد كمت رجلاً من قريش
فلما أن أضاء الصبح جاءت
ولمّا أبصروه تجنبوه
وقال غيره:

أمن شري لله مُهجة نفسه
هل جاد غير أخيه ثم بنفسه
وقال الآخر:

ونام على الفراش له فداء
وقال الآخر:

وقى النبي بنفس كان يبذلها
حتى إذا ما أتاه القوم عاجلهم
فسائلوه عن الهادي فشاكرهم
وقال الآخر:

باهى به الرحمن أملاك العلى
يا جبرائيل وميكائيل فأنثنى
أفان بدا في واحدٍ أمري فَمَن
متوثقاً كلُّ يَضَنّ بنفسه
أنّ الوصي فدئ أخاه بنفسه
فلتهبطا ولتمنعا من رآه
لما أنثنى من فرش أحمد يهجع
آخيتُ بينكما و فضلي أوسع
يفدي أخاه من المنون ويقنع
قال إلا له أنا الأعزّ الأرفع
ولفعله زلفى لدئ وموضع
عمّن له بمكيدة يتسرّع

وقال الآخر:

عَلِيّ فِي مَهَادِ الْمَوْتِ عَارٍ وَأَحْمَدُ مَكْنَسِ غَارِإِغْتِرَابٍ
يَقُولُ الرُّوحُ بَخٌ بِخَ يَا عَلِيّ فَقَدْ عَرَضْتُ رَوْحَكَ لِإِنْتِهَابِ
وَالْأَشْعَارُ كَثِيرَةٌ وَالْعَجَبُ مِنْ مُفْسِرِي كَلَامِ اللَّهِ مِنَ الْعَامَّةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ
يَنْقُلُوا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُتُبِهِمُ الْمُعْتَبَرَةِ شَيْئاً فِي تَفَاسِيرِهِمْ مَعَ
أَنْ نَزَلَ الْآيَةُ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْوُضُوحِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَأَعْجَبَ مِنْ
ذَلِكَ ذِكْرُهُمْ حَدِيثَ الْغَارِ وَأَنَّ قَوْلَهُ لَا تَحْزَنُ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مِنْ أَشْرَفِ الْفَضَائِلِ
لَأَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَذْلَ النَّفْسِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِتْقَاءِ عَلَى النَّفْسِ فِي الْهَرَبِ
إِلَى الْغَارِ وَكَوْنَهُ مُخَاطَباً بِقَوْلِهِ لَا تَحْزَنُ مِنْ أَذْلِ الدَّلَائِلِ عَلَى جَبْنِهِ وَضَعْفِ
نَفْسِهِ وَكَيْفِ يَقَاسُ مِنْ كَانَ خَائِفاً عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ فِي الْغَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بِمَنْ
كَانَ مُحَاطاً بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِي اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ
وَلَمْ يَقُلْ أَنِّي مُحْزُونٌ أَوْ خَائِفٌ أَبَداً.

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَضْلِ الشَّيْبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَلَى مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ
الْمَنَاقِبِ قَالَ فَخَرَّتْ عَائِشَةُ بِأَبِيهَا وَمَكَانَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَارِ فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ نَامَ فِي مَكَانِهِ وَهُوَ
يَرَى أَنَّهُ يُقْتَلُ فَسَكَنْتَ وَلَمْ تَحْرَجِي جَوَاباً وَشَتَّانَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَا تَحْزَنُ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَكَانَ النَّبِيُّ
مَعَهُ يَقْوِي قَلْبَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ عَلِيٍّ ظَاهِراً وَهُوَ لَمْ يَصْبِهِ وَجَعَ وَعَلِيٌّ يَرْمِي
بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ مُخْتَفٍ فِي الْغَارِ وَعَلِيٌّ ظَاهِرٌ لِلْكَفَّارِ وَاسْتَخْلَفَهُ الرَّسُولُ لِرَدِّ
الْوُدَاعِ لِأَنَّهُ كَانَ أَمِيناً فَلَمَّا أَذَاهَا قَامَ عَلَى الْكَعْبَةِ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ هَلْ مِنْ صَاحِبِ أَمَانَةٍ هَلْ مِنْ صَاحِبِ وَصِيَّةٍ هَلْ مِنْ صَاحِبِ عِدَّةٍ لَهُ
قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ لِحَقِّ النَّبِيِّ وَكَانَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى خِلَافَتِهِ
وَأَمَانَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَحَمَلْ نِسَاءَ الرَّسُولِ خَلْفَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَفِيهِنَّ عَائِشَةُ فَلَهُ

الْمَنَّةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِحِفْظِ وَلَدِهِ وَلَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَنَّةَ عَلَيْهِ فِي هِجْرَتِهِ وَعَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ذُو الْهِجْرَتَيْنِ وَالشَّجَاعَ الْبَائِتَ بَيْنَ أَرْبَعِ مِائَةِ سَيْفٍ وَأَتَمَّا أَبَاتَهُ عَلَى فِرَاشِهِ
بِنَجْدَتِهِ فَكَانُوا مُحَدِّقِينَ بِهِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُ ظَاهِرًا فَيَذْهَبَ دَمُهُ
بِمَشَاهِدَةِ بَنِي هَاشِمٍ قَاتِلِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْقِبَائِلِ.

نَقَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ، وَمَضَى
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضْطَجَعْتُ فِي مَضْجَعِهِ أَنْتَظِرُ مَجِيَّ الْقَوْمِ إِلَيَّ حَتَّى دَخَلُوا
عَلَيَّ فَلَمَّا اسْتَوَى بِي وَبِهِمُ الْبَيْتَ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِي وَدَفَعْتُهُمْ عَنْ نَفْسِي بِمَا
قَدْ عَلِمَهُ النَّاسُ فَلَمَّا أَصْبَحَ اقْسَمَ بِبَاسِهِ وَلَدَ عَشْرُونَ سَنَةً وَأَقَامَ بِمَكَّةَ وَقَدْ
مَرَاغِمًا لَاهِلُهَا حَتَّى آدَى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

وَرَوَى مُحَمَّدُ الْوَاقِدِيُّ وَابُو الْفَرَجِ النَّجْدِيُّ وَابُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ وَاسْحَاقُ
السَّبْطِيُّ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْهِجْرَةِ قَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَا خَرَجَ
إِلَّا خَفِيًّا وَقَدْ طَلَبْتَهُ قَرِيشٌ أَشَدَّ طَلَبٍ وَأَنْتَ تَخْرُجُ جِهَارًا فِي إِيَّانِي وَهُوَ دَاجٍ وَمَا
مَالُ وَرِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَتَقَطَّعَ بِهِمُ السَّبَاسِبُ وَالشَّعَابُ مِنْ بَيْنِ قِبَائِلِ قَرِيشٍ مَا
أَرَى لَكَ أَنْ تَمْضِيَ إِلَّا فِي خِفَارَةٍ خِزَاعَةٍ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِهِ.

أَنَّ الْمَنِيَّةَ شَرِبَةً مُورُودَةٌ لَا تَنْزَعُنْ وَشَدًّا لِلتَّارِحِيلِ
أَنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا رَجُلٌ صَدُوقٌ قَالَ عَنْ جَبْرِئِيلَ
أَرْخِ الزَّمَانَ وَلَا تَخَفْ مِنْ عَائِقٍ فَاللَّهِ يَرُدُّهُمْ عَنِ التَّنْكِيلِ
إِنِّي بِرَبِّي وَاثِقٌ وَبِأَحْمَدٍ وَسَبِيلِهِ مِتْلَاحٌ بِسَبِيلِي

قَالُوا: فَكُمْنُ مَهْلَعِ غَلَامٍ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فِي طَرِيقِهِ بِاللَّيْلِ فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَّ
سَيْفَهُ وَنَهَضَ إِلَيْهِ فَصَاحَ عَلِيٌّ صَيْحَةً خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَجَلَلَهُ بِسَيْفِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ
تَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا شَارَفَ ضُجْجَانَ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ بِثَمَانِيَةِ فَوَارِسٍ وَقَالُوا يَا
غَدَارُ أَظْنَنْتَ إِنَّكَ نَاجٍ بِالنِّسْوَةِ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَى الصَّحَابَةِ الْهِجْرَةَ
وَعَلَى عَلِيٍّ الْمَبِيتَ ثُمَّ الْهِجْرَةَ ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ كَانَ إِمْتَحَنَهُ بِمِثْلِ مَا إِمْتَحَنَ بِهِ

إبراهيم بإسماعيل و عبد المطلب به عبد الله ثم أن التدفدية كانت دأبه في
الشعب فإن كان بات أبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ فأن علياً بات على فراش النبي
في الشعب ثلاث سنين وفي رواية أربع سنين والحمد لله على ما هدانا
لولايته ولنعم ما قيل:

ما لعلّي سوى أخيه محمد في الوري نظير
فداه إذا قبلت قريش عليه في فرشت الأمير
وافاه في حُمٍّ وأرضاه خليفة بعده وزير
والكلام طويل وكتابنا هذا ليس موضوعاً لنقل الفضائل الثابتة له وإن كانت
فضائله لا تُحصى سلام الله عليه.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
(٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)

◀ اللغة

السِّلْمُ: فتح السَّين وكسرها، الصُّلح يذكر ويؤنث وقيل السِّلْم بكسر السَّين
المُسالم يقال، أنا سلمٌ لمن سألني و حَرَبٌ لمن حاربني، قوم سَلِم وسَلِم،
مسالمون، الصِّلحُ السَّلام، الإسلام قاله في المُنجد. قال الرَّاعِب في المفردات
يقال سَلِمَ سَلَمًا وسَلِمًا كما يقال ربح رِبْحًا و رِبْحًا فهما مصدران وليسا
بوصفين ثم قال وقيل السِّلْم إسمٌ بإزاء الحرب والإسلام الدَّخول في السِّلْم و
هو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه.

كَافَّةً: قال بعض أهل اللغة، هي مؤنث الكاف بمعنى الجماعة يقال النَّاسُ
كَافَّةً، أي كلُّهم، ولا يدخلها، الألف واللام ولا تضاف بل تكون منصوبة على
الحال نصباً لازماً وقال الرَّاعِب التَّاء فيه للمبالغة كقولهم راوية و علامة و نسابة.
خُطُوبَاتٍ: الخطوة بضم الخاء ما بين القَدَمين عند المشي والجمع منها على
خُطْيٍ وخُطُوبَاتٍ.

زَلَلْتُمْ: الزَّلَّة في الأصل إسترسال الرَّجل من غير قصدٍ، يقال زَلَّت رجلٌ تَزَلُّ
و الزَّلَّة: المكان الزَّلَق وقيل للذنب من غير قصدٍ زَلَّةٌ تشبيهاً بزَلَّة الرجل.
الْبَيِّنَاتُ: البَيِّنَةُ الدَّلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة قال الله تعالى:
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ^(١).

حَكِيمٌ: الحِكْمَةُ من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام
والحكيم هو صاحب الحِكْمَةِ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

◀ الإعراب

كَافَّةً حال من الفاعل في، أدخلوا، وقيل هو حال من السَّلم أي في السَّلم من جميع وجوهه وكلمة ما، موصولة وقوله: جَاءَتْكُمْ صَلَاتُهُ وما بعد الفاء في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط، والفاء مع الجملة في محلّ الجزم أو الرفع لأنه جواب شرطٍ مَبْنِيٍّ.

◀ التفسير

لَمَّا أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيْمَا مَضَى مِنَ الْآيَاتِ أَصْنَافَ النَّاسِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَقَالَ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

خاطبهم جميعاً بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

و المقصود منها دخولهم في الاستسلام والانقياد والطاعة لله و عدم متابعتهم للشيطان و ذلك لأنه عدوّ لهم ولا ينبغي متابعة العدوّ وفي قوله تعالى، مُبِين، إشارة الى وضوح عداوته للناس ومن كان كذلك يجب الاحتراز منه، قال الطبرسي رحمته الله في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه أدخلوا في السَّلم، أي في الإسلام أي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ و برسوله عن ابن عباس و السدي و الضحاك و مجاهد و قيل معناه، أدخلوا في السَّلم، عن الزَّبيع و هو إختيار البلخي والكلام محتمل للأمرين و حملها على الطَّاعة أعم و يدخل فيه مارواه أصحابنا من أنَّ المراد به الدَّخول في الولاية انتهى.

أقول قد إعترض عليه بعض المفسرين بما أنه من قبيل تحصيل الحاصل لأن قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** يدل على كونهم مسلمين لأن الإيمان والإسلام واحد فمن يكون مؤمناً يكون مسلماً قطعاً هذا أن قلنا بعدم الفرق بينهما كما ذهب اليه العامة وأما على مذهب الخاصة من كون الإيمان أعم من الإسلام حيث أنهم إشتراطوا في الإيمان الإقرار باللسان والإعتقاد بالقلب والعمل بالأركان والجوارح وأما الإسلام فلم يشترطوا فيه إلا الإقرار باللسان فقليل في الإسلام بقلوبكم، فظهر الفرق، والجواب عنه أن الإيمان باللسان لا معنى له بل يعبر عنه بالإسلام كما أن الإسلام بالقلب أيضاً لا معنى له وهو واضح فالإشكال بحاله وأجاب الآخر بأن الآية نزلت في طائفة من مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ أقاموا بعده على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبب وكرهوا لحوم الإبل و ألبانها وكانوا يقولون ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام و واجب في التوراة فنحن نتركها احتياطاً فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة إعتقاداً له و عملاً به لأنه صارت منسوخة الى آخر ما قال والجواب عنه.

أما أولاً: فبأنه لا دليل على أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه. **ثانياً:** هو وأصحابه على ما ذكره هذا القائل كانوا من المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فكيف خاطبهم الله تعالى بقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** والإيمان ضد التفاف اللهم إلا أن يقال أنهم كانوا مؤمنين بشرعية موسى فتقدير الآية يا أيها الذين آمنوا بشرعية موسى أدخلوا في الإسلام لكونه ناسخاً لها وهذا ممّا لا بأس به لو تمّ القول بنزول الآية فيه وفي المقام قول آخر أنها نزلت في حق أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي مع أنهم كانوا مؤمنين بشرعية موسى أو عيسى فخاطبهم الله تعالى بقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا**

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُوَقِّعُ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الَّتِي بِمَنْزِلَةِ الْمَادَّةِ لِلْحَرْبِ وَالْإِخْتِلَافِ وَ قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنْشَاءً إِلَى أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْعَدُوِّ وَعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِبَنِي آدَمَ مِمَّا لَا خِيفَةَ فِيهَا وَأَنْ شِئْتَ قُلْتَ، السَّلَامُ فِي الْآيَةِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^(١) وَلَمَّا كَانَتِ الْأَلْفَةُ وَالصُّلْحُ فِي ظِلِّ الْوَلَايَةِ قَالَ الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُرَادُ بِالْحَبْلِ فِي الْآيَةِ وَلَا يَتَنَكَّمُ فَسَّرَ السَّلَامُ أَيْضاً بِهَا فِي الْمَقَامِ نَشِيرَ إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَقَامِ. رَوَى فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ

أبي جعفر عليه السلام: في قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: في ولايتنا.

وبأسناده عن محمد بن إبراهيم قال سمعت الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليه السلام يقول في قوله تعالى: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال: في ولاية علي بن أبي طالب وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ قال عليه السلام: لا تتبعوا غيره.

وبأسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: هي ولايتنا.

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ قال عليه السلام: أتدري ما السِّلْم قال قلت أنت أعلم قال عليه السلام: ولاية علي والائمة الأوصياء من بعده قال عليه السلام: وخُطُواتِ الشَّيْطَانِ واللّه فلان وفلان.

وبأسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله قالوا سألناهما عن قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: أمروا بمعرفتنا.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: السِّلْم آل محمد أمر الله بالدخول فيه.

وعن جابر عنه عليه السلام قال: السِّلْم هو آل محمد أمر الله بالدخول فيه وهم حبل الله الذي أمر بالإعتصام به قال الله تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ أمر قال هي الثاني والأول.

و بأَسْنَدِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَلَا أَنْ الْعِلْمَ الَّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ وَ جَمِيعَ مَا فَضَّلَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ فِي عَتَرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ فَأَيُّنَ يَتَاهُ بِكُمْ وَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ يَا مَعْشَرَ مَنْ فُسِخَ مِنْ أَصْلَابِ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ فَهَذَا مِثْلُ مَا فِيكُمْ فَكَمَا نَجَى فِي هَاتِيكَ مِنْهُمْ مَنْ نَجَى وَكَذَلِكَ يَنْجُو فِي هَذِهِ مِنْكُمْ مَنْ نَجَى وَرَهْنُ ذِمَّتِي وَوَيْلٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ أَنْتُمْ فِيكُمْ كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَ مِثْلُهُمْ بَابُ حَطَّةٍ وَ هُمْ بَابُ السَّلَامِ: فَادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ انْتَهَى.

و اما احاديث في الباب كثيرة.

فَإِنْ رَزَقْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

معناه ان عدلتم عن الطريق القويم الذي اولكم الله من بسكونه من بعد ما جائتكم البينات اى الحج والمعجزات فاعلموا ان الله عزيز فى نعمته وعقوبته حكيم فيما شرع فى الاحكام دينه و فيما لفعله بكم من العقاب بعد اقامة الحجة ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عنها.

قال الطبري يعنى بذلك جل ثناؤه فان اخطأتم الحق فضلتم عنه و خالفتم الإسلام و شرائعه من بعد ما جاءكم حُججى وبيّنات هُداى و انضحت لكم صِحّة أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذرکم أيها المؤمنون فاعلموا ان الله ذو عِزّة لا يمنعه من الإنتقام منكم مانع و لا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكم أمره و معصيتكم إياه مدافع، حكيم فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه بعد إقامته الحجة عليكم و في غيره من أمور و قد قال عدد من أهل التأويل انّ البيّنات هي محمد صلّى الله عليه وآله و القرآن و ذلك قريب من الذي قلناه في تأويل ذلك لأنّ محمداً صلّى الله عليه وآله و القرآن من حُجج الله تعالى على الذين خوطبوا بهاتين الأيتين انتهى.

ما أردنا ذكره من كلامه و قد تبعه في ذلك جميع مفسري العامة و بعض
 الخاصة و منهم من سلك مسلكاً آخر في تفسيرها و الحاصل أن قلنا أن المراد
 بالسلم في الآية السابقة هو الإسلام أو الإستسلام و الإنقياد و الطاعة و أمثالها
 فما ذكره حق لا مرية فيه و أن قلنا أن المراد به الولاية كما هو الحق فالمراد
 بالبينات الأدلة العقلية و النقلية التي دلت على إثبات الولاية لأهل البيت بعد
 النبي ﷺ كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^(١)
 و قوله ﷺ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه و غيرها من النصوص و ما
 على الرسول إلاّ البلاغ و على الأمة الإنقياد و الطاعة قال الله تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ
 السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا^(٢).



هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ
الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

◀ اللغة

يَنْظُرُونَ: النَّظَرُ الإنتظار لأنَّ الناظر يطلب إدراك ما يتَّوَقَّع فإذا كان بمعنى
الفكر في القلب فلائِنَّ المتَّفكر يطلب به المعرفة وإذا كان بالعين فلائِنَّ الناظر
يطلب الرؤية يقال نظرته وإنظرته وأنظرته أي أخرته:

قال الله تعالى: أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١)

قال الله تعالى: قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٢)

قال الله تعالى: قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٣)

هذا إذا أُستعمل في المخلوق و أمَّا في الخالق فهو بمعنى إحسانه اليهم
وإفاضة نعمه عليهم ومنه:

قال الله تعالى: وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ (٤)

وعلى ذلك قال الله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (٥).

في ظُلُلٍ: الظُّلُّ جمع الظِّل قال الراغب في المفردات الظِّل ضدُّ الضح وهو أعمُّ من اللَّيْلِ يقال ظلُّ الليل وظلُّ الجنة ويقال لكلِّ موضع لم تصل
إليه الشمس، ظِلٌّ ولا يقال اللَّيْلُ إِلَّا لما زال عنه الشَّمْسُ، إلى أن قال والظَّلَّة
سحابة تظِّل ما يقال فيما يستوخم ويكره، وقال غيره الظَّلَّة ما يستظلُّ به
الشَّمْسُ وسُمِّي السَّحَاب ظِلَّةً لَأَنَّهُ يستظلُّ به.

مِّنَ الْغَمَامِ: الغمام السَّحاب الأبيض الرقيق سَمِيَ بذلك لأنه يَغْم أي يستر.
قال الله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ.

الإعراب

فِي ظُلُلٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِّنَ الْغَمَامِ (من الغمام) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِظُلُلٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ (مِنْ) بِيَأْتِيَهُمْ أَيْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَمَامِ وَالْغَمَامُ جَمْعُ غَمَامَةٍ وَالْمَلَايِكَةُ يقرأ بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى إِسْمِ اللَّهِ وَبِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى ظُلُلٍ وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْغَمَامِ وَالْباقِي وَاضِحٌ.

التفسير

كلمة، هل، لفظها لفظ الإستفهام ومعناه النفي ولهذا جاءت بعدها، إلا، و المعنى لا ينظرون أي ما ينتظرون الا ان يأتيهم جلائل آيات الله وأتما ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وقيل معنى الآية هل ينتظرون هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب و هذا كما يقال قتل الأمير فلاناً أو ضربه و أعطاه و أن لم يتولى شيئاً من ذلك بنفسه ذكر هذين الوجهين الطبرسي رحمته الله.

أقول توضيح الكلام في الآية يستدعي التكلّم فيها إجمالاً ففيها أبحاث.
الأول: أنَّ العقلاء قد أجمعوا على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن المجي والذهاب على سبيل الحقيقة وذلك لأنّ كلّ موجودٍ يصحّ عليه هذين الوصفين لا ينفكّ عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفكّ عن المحدث فهو محدث فيلزم في ذاته الحدوث وقد ثبت أنّه قديم فلا بدّ لنا في المقام ونظائره من التأوّل على وجه يصحّ إسناده اليه تعالى وقد ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: أَنْ المراد بقوله: **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** أي آيات الله فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات كما يقال جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته قالوا والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه تعالى قال في الآية المتقدمة، فَأَنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد ثم أنه تعالى أكد ذلك بقوله: **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** فلما كان المقصود من الآية الوعيد والتهديد وجب أن يضم في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد.

ثانيها: أن يقدر في الآية الأمر والتقدير، **إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** والوجه فيه هو أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى التأويل وذلك كقوله تعالى: **وَالَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ**، والمراد يحاربون أولياء الله، وقوله: **وَإِسْأَلُ الْقَرْيَةَ**، أي أهل القرية، وقوله: **وَجَاءَ رَبُّكَ** والمراد جاء أمر ربك وهو من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو مجاز مشهور.

ثالثها: أَنْ المراد **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** بما وعد من العذاب والحساب فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم.

رابعها: أن يكون، في، بمعنى، الباء و حرف الجر يقام بعضه مقام البعض و تقدير الآية **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ**.

خامسها: ان قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً** لو قلنا إنها انزلت في اليهود حيث آمنو بموسى ولم يوفق بمحمد ﷺ فاقهرهم الله بالدخول في اسلم اى اسلام والواستسلام والطاعة على ما مر الكلام فيه و على هذا التقدير فقوله: **فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ** أيضاً يكون خطاباً الى اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى: **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** حكاية عنهم فيكون المعنى أنهم لا يقبلون دينك.

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَرَىٰ أَنَّهُمْ فَعَلُوا
 مَعَ مُوسَىٰ مِثْلَ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً^(١) و عليه فلا
 مانع من إجراء الآية على ظاهرها و ذلك لأنهم أي اليهود كانوا على مذهب
 التشبيه و يجوزون على الله المجي والذهاب وكانوا يقولون أنه تعالى قد تجلّى
 لموسى على الطور في ظللٍ من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمان محمد ﷺ
 و على هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه
 فلا يحتاج الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز فالآية تدل على أن قوماً
 ينتظرون أن يأتيهم الله وليس فيها دلالة على أنهم مُحَقِّقُونَ فيه.

البحث الثاني: أن الأقوال في قوله: والملائكة، ثلاثة، فمنهم من يقول أنه
 معطوف على اسم الجلالة والتقدير، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ
 وَالْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ و عليه فالإعراب فيه الرفع و
 منهم من يقول أنه معطوف على ظلل و عليه فالإعراب الجر.
 وهكذا القول بأنه معطوف على الغمام والقول الأول أظهر وأنسب بسياق
 الكلام.

البحث الثالث: في تفسير قوله تعالى: فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وفيه أقوال.
 أحدها: أن معنى كونه فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ أَنَّ سماع ذلك النداء ووصول
 تلك الظلل يكون في آنٍ واحد.

ثانيها: أن المراد حصول أصواتٍ مقطعةٍ مخصوصةٍ في تلك الغمامات
 تدل على حكم الله تعالى على كلٍّ أحدٍ بما يليق به من السعادة والشقاوة.
 ثالثها: أن الله تعالى يخلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها
 و سواد تلك الكتابة يُعرف بها حال أهل الموقف في الوعد والوعيد وتكون
 فائدة الظلل أنه تعالى جعلها إمامة لما يريد إنزاله بالقوم ليعلموا أن الأمر قد
 حُضِرَ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

رابعها: أَنْ الْمَأْتِي بِهِ مَحْذُوفٌ وَالْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِأَسْهٍ أَوْ بِنَقْمَتِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ، عَزِيزٌ، وَفَائِدَةُ الْحَذْفِ كَوْنُهُ أَبْلَغُ فِي الْوَعِيدِ لِإِنْقِصَامِ خَوَاطِرِهِمْ وَذَهَابِ فِكْرَتِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهِ.

خامسها: أَنْ فِي، بِمَعْنَى الْبَاءِ أَيْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَرَادِ الْعَذَابُ الَّذِي يَأْتِيَهُمْ فِي الْغَمَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ.

سادسها: أَنْ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ إِتْيَانِ اللَّهِ تَصْوِيرَ غَايَةِ الْهَيْبَةِ وَنَهَايَةِ الْفَرَعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وَلَا قَبْضَ وَلَا طَيٍّ وَلَا يَمِينٍ وَأَمَّا الْغَرَضُ تَصْوِيرَ عَظَمَةِ شَأْنِهِ.

سابعها: أَنَّهُ بِنَاءٌ عَلَى أَنْ الْخَطَابُ فِي أَدْخُلُوا لِلْيَهُودِ فَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ دِينَ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا عَلَى عِتْقَادِ التَّشْبِيهِ وَكَانُوا يَجُوزُونَ الْمَجْئِي وَالذَّهَابَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً وَيَقُولُونَ أَنَّهُ تَعَالَى تَجَلَّى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الطُّورِ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ فَطَلَبُوا مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ حِكَايَةً عَنْ مَعْتَقَدِ الْيَهُودِ وَلَا يَبْقَى اشْكَالٌ فَهَذِهِ هِيَ الْوَجْهَ الْمُحْتَمَلَةُ فِي الْمَقَامِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْآيَةَ مِنَ الْمُسْتَبْهَاتِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهَا وَلَا تَأْوِيلَهَا إِلَّا الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ الرَّسُولُ عِدْلاً لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ أَنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعُرْتِي الْحَدِيثَ.

فَنَقُولُ ذِكْرَ فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضَالِ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَقُولُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَهَكَذَا نَزَلَتْ وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يوصف

بالمجئ والذهاب تعالى الله عن الانتقال وأتّما يعني بذلك وجاء أمر ربك والمَلَك صَفّاً صَفّاً.

و عن تفسير علي بن أسناده عن أبي جعفر قال: سمعته يقول إبتداءً منه أنّ الله اذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بدّ منه أمر منادياً يُنادي فليجتمع الجنّ والإنس في أسرع من طرفة عينٍ ثمّ أذن لسماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس وأذن لسماء الثانية فتنزل وهي ضعف التي تليها فاذا رآها أهل السماء قالوا جاء ربنا وهو آتٍ يعني أمره حتّى تنزل كلّ سماءٍ كلّ واحدةٍ من وراء الأخرى وهي ضعف التي تليها ثمّ يُنزل أمر الله في ظلّل من الغمام والملائكة و قضي الأمر والى الله ترجع الأمور.

و عن العياشي بأسناده عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ قال: ينزل في سبع قباب من نور لا نعلم في أيّها هو حين ينزل في ظهر الكوفة. و عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: يا أبا حمزة كأني بقائم أهل بيتي قد علا بخفكم فاذا علا بخفكم نشرت راية رسول الله فاذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر و قال أبو جعفر أنّه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل وأما: وَقُضِيَ الْأَمْرُ فهو الوسم على الخرطوم يوم يُوسم الكافر انتهى^(١)

سَلِّ بْنِ إِسْرَآئِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ
يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

◀ اللغة

سَلِّ: فعل أمر من سأل يسأل وأصله إسأل فلما تحركت السين لم يحتج إلى ألف الوصل فيقال سَلِّ، وقيل ان العرب في سقوط الف الوصل في سَلِّ و بثوتها في اسئل وجهين.

احدهما: حذفهما في احديهما و ثبوتها في الاخرى.

الثاني: انه يختلف اثباتها واسقاطها به اختلاف الكلام فتحذف الهمزة في المبتداء مثل قوله: سَلِّ بْنِ إِسْرَآئِيلَ وثبت في العطف مثل قوله: واسأل الله القرية واسئلوا من فضله قال علي بن عيسى.

بَنَى إِسْرَآئِيلَ: أي أولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد بهم علماءهم.

بَيِّنَةٍ: المراد بها الحجة الظاهرة الواضحة الدالة على صحة المدعى والمراد بها في المقام البِدَّ البضاء و قلب العصا حَيَّة و فلق البحر و تظليل الغمام و إنزال المنّ والسّلوى و أمثالها ممّا ظهر لهم على يد موسى عليه السلام.

◀ الإعراب

كَمْ في موضع نصب لأنه مفعول ثانٍ لآتيناً و لكونه متضمناً معنى الإستفهام و جب له الصّدر ثمَّ أنَّ الجملة أعني بها، كم آتيناهم من آيةٍ قد وقعت موقع المفعول الثاني لقوله تعالى سَلِّ مِّنْ آيَةٍ يَتَعَلَّقُ بِآيَاتِنَا مَا حَرَفَ مَوْصُولٍ، جاءت، صلته والموصول والصلّة في موضع جرٍّ بإضافة بعد، اليه و قيل كم،

مبتدأ في موضع الرفع آتَيْنَاهُمْ خبرها، والعائد محذوف والتقدير آتَيْنَاهُمُوهَا
أو آتَيْنَاهُمْ إِيَّاهَا وهو ضعيف عند سيبويه.

◀ التفسير

خاطب الله فقال: سَلْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أي أولاد يعقوب وهم اليهود و
المقصود علماءهم الذين كانوا حول المدينة وهذا السؤال لتقرير التأكيد أي
تقريراً لتأكيد الحجة على اليهود كَمْ آتَيْنَاهُمْ أي أعطيناهم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ أي
علامة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حية وأمثالها من المعجزات التي
قد دلت كل واحدة منها فضلاً عن جميعها على صحة نبوة موسى وقيل
المعنى، كم، من حجة واضحة لمحمد ﷺ تدل على صدقه في التوراة

وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ لَفْظٌ عَامٌّ لجميع العامة وأن كان
المشار اليه بني إسرائيل لكونهم بدّلوا ما في كتبهم وحدثوا أمر الرسول ﷺ
فاللفظ منسحب على كل مبدل نعمة الله تعالى قال الطبري النعمة هنا الإسلام
وقال الرمخشري في الكشف: كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ على أيدي أنبياءهم
وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ثم قال
ونعمة الله، آياته أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنّجاة من الضلالة و
تبديلهم إِيَّاهَا هو أنّ الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب
ضلالتهم كقوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم، أو حرّفوا آيات الكتب الدّالة على
دين محمد ﷺ فأن قلت كم، إستفهامية أو خبرية قلت يحتمل الأمرين و
معنى الإستفهام فيها للتقرير انتهى موضع الحاجة من كلامه.

بني
إسرائيل
في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وقال بعض المفسرين المراد بنعمة الله ما أتاهاهم من أسباب الصحة والأمن والكفاية والمراد بتبديلها أنهم لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل إستعملوها في غير مواردنا انتهت.

قال بعض أهل التحقيق في قوله تعالى: **بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ مَا حَاصِلَةُ أَنَّ النِّعْمَةَ** لو فسرت بإيتاء الآيات والدلائل فالمراد من قوله: **بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ مَا تَمَكَّنَ مِنْ** معرفتها أو من بعد ما عرفها كقوله تعالى: **ثُمَّ يُخْرِفُوهَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**^(١) لأنه إذا لم يتمكَّن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه، وأن فسرت بما يتعلَّق بالدنيا من الصحة والأمن والكفاية فلا شك أن عند حصول هذه الأسباب يكون الشكر واجب فكان الكفر أقبح كما قال الله تعالى: **فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** أعاذنا الله منه.



زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

◀ اللغة

زُيِّنَ: على ما لم يُسمَّ فاعله يقال زَيَّنَهُ أَي حَسَّنَهُ وزخرفه.
يَسْخَرُونَ: السَّخَرِيَّةُ الإِسْتِهْزَاءُ.

◀ الإعراب

أُتِمَّا، حذفت التاء لأجل الفصل بين الفعل وما أُسند اليه ولأنَّ تَأْنِيثَ الحياة
غير حقيقي وذلك يحسن مع الفصل، والوقف على آمَنُوا، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مبتدأ
وفوقهم خبره.

◀ التفسير

قيل أَنَّهَا نزلت في أبي جهل وأمثاله من رؤوساء قريش وذلك لأنَّه بسطت
الدُّنْيَا لَهُمْ وكانوا يَسْخَرُونَ من قوم من المؤمنين مثل عبد الله بن مسعود وبلال
و حباب وغيرهم وكانوا يقولون لو كان مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيًّا لَأَتَّبِعَهُ أَشْرَافُنَا نقل
هذا عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حيث كانوا
يسخرون من ضعفاء المؤمنين، عن مقاتل وقيل نزلت في رؤوساء اليهود من
بني قريظة والنَّظِيرِ وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء قال الطَّبْرَسِي
بعد نقله الأقوال المذكورة ولا مانع من نزولها في جميعهم ثُمَّ يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ
عدولهم عن الإيمان وسلوكهم هذا المسلك أُنْثَمَا هو لا يثارهم الحياة الدُّنْيَا
فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

الجزء الثاني

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَذَا
مسائل:

الأولى: قال الرَّاغِب الزَّيْنَةُ الحَقِيقِيَّةُ مَا لَا يَشِينُ الْإِنْسَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ
لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّا يَزِينُهُ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ فَهُوَ مِنْ وَجْهِ شَيْءٍ ثُمَّ
إِذَا عَلِمَ أَنَّ الزَّيْنَةَ النَّفْسِيَّةَ كَالْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ الصَّحِيحَةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِتِّصَافِ
بِالْمَلَكَاتِ الْفَاضِلَةِ كَالسَّخَاوَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَمَا شَابَهَا.

ثانيها: الْبَدَنِيَّةُ كَالْقُوَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَطُولِ الْقَامَةِ وَحَسَنِ الْوَجْهِ وَبِالْجَمْلَةِ
تَنَاسُبِ الْأَعْضَاءِ وَالْأَجْزَاءِ.

ثالثها: الْخَارِجِيَّةُ كَالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَوْلَادِ وَالْعَشِيرَةِ وَنَحْوِهَا.

فَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ^(١)

وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا زَيَّنَّا أَلْسِنَاءَ الَّذِينَ بِزِينَةِ أَلْسِنَائِهِ^(٢)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَزَيَّنَّا أَلْسِنَاءَ الَّذِينَ بِمُضَابِيحٍ وَحِفَظًا^(٣)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي أَلْسِنَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ^(٤)

وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِنْ الثَّلَاثِ: قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَارُونَ: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي
زِينَتِهِ^(٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ^(٦) إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ زِينَةُ

الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْجَاهِ وَأَمْثَالُهَا مِنْ قِسْمِ الثَّلَاثِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: اذْكُرُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ^(٧)

١- الحجرات = ٧.

٢- الصَّافَاتِ = ٦.

٣- فَصَّلَتْ = ١٢.

٤- الْحَجَرِ = ١٦.

٥- الْقَصَصِ = ٧٩.

٦- الْأَعْرَافِ = ٣٢.

٧- الْحَدِيدِ = ٢٠.

قال الله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ
أَعْمَالَهُمْ فِيهَا^(١)

قال الله تعالى: وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا^(٢)
و غيرها من الآيات وسيأتي الكلام فيها في المستقبل بوجه أبسط ولنعم
ما قيل بالفارسية:

حال دنیا را بپرسیدم من از فرزانه‌ای
گفت یا خواب است یا باد است یا افسانه‌ای
گفتمش هر کس به مهر دل بر او برست دل

گفت یا غول است یا دیو است یا دیوانه‌ای
أَنْ قُلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ صَارَتْ زِينَةً فِي أَعْيُنِ الْكَفَّارِ وَلَمْ يَعْينَ فِي الْآيَةِ أَنَّ
الْمُزَيْنَ لَهَا مَنْ هُوَ.

قُلْتُ: اِخْتَلَفُوا فِي الْمَزَيْنِ لَهَا فَقَالَ قَوْمٌ أَنَّ الْمَزَيْنَ هُوَ الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لَهُمُ الدُّنْيَا
وَحَسَّنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ بوساوسه وحبَّها اليهم فال يُريدون غيرها وإستدلوا عليه:
قال الله تعالى: وَ لَكِنْ فَسَدَ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ^(٣)

قال الله تعالى: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ
أَلْيَوْمَ^(٤)

قال الله تعالى: تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ^(٥) و غيرها من الآيات وذهب آخرون الى أَنَّ الْمَزَيْنَ هُوَ اللَّهُ
تعالى وإستدلوا بقوله:

قال الله تعالى: كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ^(١)

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ^(٢)

قال الله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَئِنَّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا^(٣)

قال في الكشف بعد نقله ما نقلناه ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن
خذلهم حتى إستحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين له تزيناً ويدل عليه
قراءة من قرأ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا على البناء للفاعل انتهى.
وقال بعض المفسرين من العامة وردت إضافة التزيين الى الله تعالى و
إضافته الى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتل الوجهين
لكن الإضافة الى قدرة الله تعالى حقيقة والإضافة الى غيره مجاز على قواعد
السنة والزّمخشري يعمل على عكس هذا فإن أضاف الله فعلاً من أفعاله الى
قدرته جعله مجازاً وأن أضافه الى بعض مخلوقاته جعله حقيقة و سبب هذا
التّعكيس إتباع الهوى في القواعد الفاسدة انتهى ما ذكره.

أنا أقول قل كل يعمل على شاكلته، وذلك لأن الزّمخشري في الأصول
سلك مسلك الإعتزال والمُعْتَزلة لا يسندون القبائح الى الله تعالى حقيقة
والمستشكل من الأشاعرة وهم يسندونها اليه تعالى لقولهم بالجبر فعلى
مذهبهم الفعل في الحقيقة فعل الله وإسناده الى غيره على سبيل المجاز و
المُعْتَزلة على خلاف الأشاعرة فعلى مذهبهم الفعل في الحقيقة يسند الى
فاعله المباشر له وهو الخلق وأنما يُسند الى الخالق مجازاً وهذا بحث عميق
والحق في المقام مع المُعْتَزلة ونحن أيضاً نقول بمقاتلهم ولا نقول بالجبر و

لتحقيق البحث مقام آخر اذا علمت هذا فنقول الحق في المقام أنَّ المَزين لها هو الشَّيطان حيث زينها لهم بأن ترى دواعيهم وحسن فعل القبيح والإخلال بالواجب اليهم وأما الله تعالى فلا يجوز أن يكون المَزين لهم إيّاها لأنّه زهد فيها وقال في كتابه وأعلم أنّها متاع الغرور وقال متاع الدُّنيا قليل، وقال رسول الله حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة وبه قال الحسن والجبائي نعم أنّ الله تعالى خلق الأشياء المحبوبة وخلق فينا الشهوة لها:

قال الله تعالى: **رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ^(١)**

وذلك لأنّ التكليف لا يتم إلاّ مع الشهوة والى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله **حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ:**

قال الله تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْذُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا^(٢)**

ولأجل هذه الدّقيقة نهانا عن متابعة الشهوات فما قاله البيضاوي في تفسيره لهذه الآية من أنّ المَزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء إلاّ هو فاعله ويدلّ عليه قراءة، زين على البناء للفاعل وكلّ من الشَّيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهيمية والأشياء الشهوية مَزين بالعرض، ليس بشيء بل هو باطل عاطل نشأ من قلة التدبّر في الكتاب والسنة أو سوء الفهم اذ لو كان الأمر على ما ذكره البيضاوي وأمثاله يلزم منه الجبر المحض وكأنّهم لم يفرقوا بين خالق الزينة ومن يؤسوس إليها فلو كان الله تعالى هو المَزين لها بالحقيقة فلم نهانا عن متابعة الشهوات ثمّ أنّ المَزين لها لو كان هو الله تعالى يلزم منه الكفر وذلك لأنّ المَزين للشيء هو المُخبر عن حسنه فإن كان المَزين هو الله تعالى فلا يخلو إمّا أن يكون صادقاً في ذلك

بَابُ التَّوَقُّفِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثالث

التزيين وأما أن يكون كاذباً فإن كان صادقاً وجب أن يكون ما زينه حسناً فيكون فاعله المستحسن له مُصيّباً وذلك يوجب أن الكافر مصيبٌ في كفره ومعصيته وهذا القول كفر، كان كاذباً في ذلك التزيين أدى ذلك إلى لا يوثق منه تعالى بقولٍ ولا خبر وهذا أيضاً كفر فصّح أن المراد من الآية أن المزين هو الشيطان فثبت المطلوب.

وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ففيه إشارة إلى مقام المتقين الذين لم يؤثروا الحياة الدنيا على الآخرة ولم يغتروا بالحياة الدنيا فأن مقامهم يوم القيامة فوق مقام الكفار في الدرجات.



كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

◀ اللغة

أُمَّةً: قال الزاغبي في المفردات، الأُمَّة كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما، إما دينٌ واحد، أو زمانٍ واحد أو مكانٍ واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً وجمعها، أُمَمٌ.

بَغْيًا: البغي طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارةً يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارةً يُعتبر في الوصف الذي هو الكيفية قاله الزاغبي في المفردات، والباقي واضح.

◀ الإعراب

قوله: مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ حالان وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ مَعَهُمْ في موضع الحال من الكتاب أي وَأَنْزَلَ الكتاب شاهداً لهم ومؤيداً والكتاب جنس أو مفرد في موضع الجمع وبِالْحَقِّ في موضع الحال من الكتاب لِيَحْكُمَ اللام متعلقة بأنزَلَ وفاعل، يحكم، هو الله مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ مَنْ، تتعلق، باختلاف بَغْيًا مفعول لأجله والفاعل فيه، اختلف مِنَ الْحَقِّ في موضع من الهاء في، فيه، بِإِذْنِهِ حال من الَّذِينَ آمَنُوا أي مَأْذُونًا لَهُمْ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

﴿التفسير﴾

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً إِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمَقَامِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ مَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الْحَقِّ أَمْ فِي الْبَاطِلِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ قَتَادَةَ وَمَجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكَ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَإِخْتَارَهُ الْجَبَائِيُّ ثُمَّ إِخْتَلَفُوا فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانُوا كُفَّارًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانُوا كُفَّارًا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانُوا كُفَّارًا بَعْدَ نُوحٍ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ بَعْدَهُ وَقِيلَ كَانُوا كُفَّارًا عِنْدَ مَبْعَثِ كُلِّ نَبِيٍّ، ثُمَّ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِكُونِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ أَيْضًا إِخْتَلَفُوا فِي وَقْتِهِ فَقَالَ إِبْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ هُمْ كَانُوا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ وَهُمْ عَشْرُونَ فِرْقًا كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ فَاخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَنَقَلَ عَنْ الْوَاقِدِيِّ وَالْكَلْبِيِّ قَالَا، هُمْ أَهْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ حِينَ غَرَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ إِخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَالْتَقَدِيرُ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَنَقَلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلًا ثَالِثًا إِخْتَارَهُ أَبُو مُسْلِمٍ وَالْقَاضِي وَهُوَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرَائِعِ الْعَقْلِيَّةِ كَالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالْجَهْلِ وَالْعَبَثِ وَأَمْثَالِهَا وَإِحْتِجَّ الْقَاضِي عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ بِأَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّينَ يُفِيدُ الْعُمُومَ وَالِإِسْتِغْرَاقَ وَحَرْفَ الْفَاءِ يُفِيدُ التَّرَاخِيَّ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ يُفِيدُ أَنَّ بَعْثَهُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً عَنْ كَوْنِ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً فَتِلْكَ الْوَحْدَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى بَعْثِهِ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ لِأَبَدٍ وَأَنَّ تَكُونَ وَحْدَةً فِي شَرِيعَةٍ غَيْرِ مُسْتَفَادَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَوْجِبَ أَنْ تَكُونَ فِي شَرِيعَةٍ مُسْتَفَادَةٍ مِنَ الْعَقْلِ وَذَلِكَ مَا بَيَّنَّاهُ أَيْضًا فَالْعِلْمُ بِحَسَنِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ وَطَاعَةِ الْخَالِقِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْعَدْلُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ بَيْنَ الْكُلِّ وَالْعِلْمُ بِقَبِيحِ

الكذب والظلم والجهل والعَبَث مشترك فيه بين الكلّ فلا يُظهر أنّ النَّاس كانوا في أوّل الأمر على ذلك ثمّ إختلفوا بعد ذلك لإسباب منفصلة، ثمّ سأل القاضي نفسه فقال أليس أوّل النَّاس آدم عليه السلام وأنه عليه السلام كان نبياً فكيف يصح إثبات النَّاس مكلفين قبل بعثة الرّسل، وأجاب بأنّه يحتمل أنّه عليه السلام مع أولاده كانوا مجتمعين على التمسك بالشرائع العقلية أولاً ثمّ أنّ الله تعالى بعد ذلك بعثه إلى أولاده ويحتمل أن بعد ذلك صار شرعه مندرساً فالنّاس رجعوا بعد ذلك إلى التمسك بالشرائع العقلية انتهى ما نقل عنه.

ونقل في تفسير الميزان في المقام قولاً رابعاً وهو أنّ، كان، في الآية منسلخ عن الدلالة على الزّمان كما في قوله تعالى: **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ^(١)

فهو دال على الثبوت والمعنى أنّ النَّاس أمة واحدة من حيث كونهم مدينين بالطّبع فالإنسان مدنيّ بالطّبع لا يتم حياة الفرد الواحد منه وحده لكثرة حوائجه الوجوديّة وإتساع دائرة لوازم حياته بحيث لا يتم له الكمال إلاّ بالاجتماع والتعاون بين الأفراد والمبادلة في المساعي وساق الكلام إلى أن قال وكونه اجتماعياً مدنياً لم يزل على ذلك فهو مقتضى فطرته وخلقه غير أنّ ذلك يؤدي إلى الاختلاف واختلال نظام الاجتماع فشرع الله سبحانه بعنايته البالغة شرائع ترفع هذا الاختلاف وبلغها إليهم ببعث النبيين مبشرين ومنذرين وانزال الكتب الحاكم معهم للحكم في موارد الاختلاف انتهى.

أقول هذه هي الأقوال المنقولة في تفاسيرهم في حلّ الإشكال وأنت ترى أنّها لا ترجع إلى محصل ولا يمكن حسم مادّة الإشكال بهذا الاستخراجات الظنية التي لا يساعدها عقل ولا نقل وذلك لأنّ الإشكال باق على حاله كما كان وذلك لأنّ قوله تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** يدل على كونهم أمة أي جماعة واحدة قبل البعثة ثمّ بعث الله النبيين مبشرين و

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مندرين سواء قلنا بأن المراد من كونهم أمة واحدة أنهم كانوا على الحق أم على الضلالة و سواء قلنا أنهم كانوا قبل البعثة متمسكين بالشرائع العقلية أم لا و هكذا القول بكونهم مدنيين طبعاً و ذلك لأن البحث ليس في هذه الأمور و أما الكلام في المراد بالناس و أنه كيف يجوز شرعاً و عقلاً أن يكون الاجتماع خالياً عن الحجة ولو في مدة قليلة و قد ورد في الحديث أنه لولا الحجة لساخت الأرض أهلها و قوله الحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق فالقول بأن الناس كانوا بدون الحجة ولو في مدة قليلة لا يساعده العقل والنقل و هذا الإشكال هو الذي أوقع المفسرين في الحيص والبيص فقالوا ولم يعلموا ما قالوا ألا ترى أن القائل منهم صرح بأن الفاء تغيد التراخي فقوله تعالى: قَبِعَتْ اللَّهُ النَّبِيِّينَ يفيد أن بعثته جميع الأنبياء كانت متأخرة عن كون الناس أمة واحدة فتلك الوحدة المتقدمة على بعثته جميع الشرائع لابد و أن تكون وحدة في شريعة غير مستفادة من الأنبياء فوجب أن تكون في شريعة مستفادة من العقل ولقائل أن يقول لو كان الأمر كذلك يلزم أن لا تكون الحجة قد تمت عليهم قبل البعثة فهم كانوا غير مكلفين لأن التكليف لا يكون إلا بعد إتمام الحجة والعقل وحدة لا يكفي في المقام لقوله ﷻ أن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة و حجة باطنة أما الظاهرة فهي الأنبياء والرسل والأئمة و أما الباطنة فهي العقل، هذا بحسب النقل و أما عقلاً فلأن العقل لا حكم له في ما رواء المحسوسات والمدركات ولأجل هذا لا يكون مستغنياً عن حجة ظاهرة هي النبي أو الوصي و قد ثبت ذلك في محله.

و ثانياً، لو كان العقل كافياً ولو في برهة من الزمان فلم لا يكون كافياً في كل الإعصار أليس حكم الأمثال واحد فثبت و تحقق أن الشريعة المستفادة من العقل كلام لا طائل تحته ضرورة أن الشريعة لا يستفاد من العقل أصلاً، القول بأن الحجة كانت موجودة في الناس باطناً لا ظاهراً للتقية فهو أيضاً غير معقول

إذ لم يدلّ على هذا القول دليل من العقل أو النّقل مضافاً إلى كونه مخالفاً لظاهر الآية ومحصّل الكلام هو إنّنا بعد الفحص والتّتبّع في كلمات المُفسّرين لم نجد شيئاً يعتمد عليه فمنهم من قنع في تفسيره للآية بذكر الأقوال فقط ومنهم من حقّق بزعمه ولم يعلم أنّ الجواب إذا لم يكن مناسباً للسؤال فهو من قبيل تعيين الدّواء قبل تشخيص الدّاء، وممّن تصدّى لِدفع الإشكال هو صاحب الميزان رحمته الله فإنّه أطال الكلام في المقام وحقّق في الآية بما لا مزيد عليه فيما ذكره وأثبت أنّه خارج عن المدّعى الذي نحن بصدد بل هو شيء آخر لا كلام لأحد فيه ونحن نشير إلى بعض تحقيقاته لتعلم صدق ما قلناه ومن أراد الإطلاع على جميع ما ذكره فعليه بمراجعة تفسيره.

قال بعد ذكره الآية الشّريفة ما لفظه، بيان، الآية تبيّن السّبب في تشريع أصل الدّين و تكليف النّوع الإنساني به وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان أنّ الإنسان وهو نوع مفطور على الاجتماع والتّعاون كان في أوّل اجتماعه أمة واحدة ثمّ ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في إقتناء المزايا الحيوانية فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطّارئة والمشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعية لباس الدّين و شقّعت بالتبشّير والإنذار بالثّواب والعقاب وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النّبیین وإرسال المرسلين ثمّ اختلفوا في معارف الدّين أو أمور المبدء والمعاد فاختلّ بذلك أمر الوحدة الدّينية وظهرت الشّعوب والإحزاب وتبع ذلك الاختلاف في غيره ولم يكن هذا الاختلاف الثّاني إلّا بغياً من الدّين أوتوا الكتاب وظلماً وعتواً منهم بعد ما تبيّن لهم أصوله ومعارفه وتمّت عليهم الحجّة فالاختلاف اختلافان إختلاف في أمر الدّين مُستند إلى بغى الباغين دون فطرتهم و غريزتهم وإختلاف في أمر الدّنيا وهو فطريّ وسبب لتشريع الدّين ثمّ هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحقّ المختلف فيه بأذنه والله يهدي من يشاء إلى

صراطٍ مستقيم فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لإسعادة هذا النوع الإنساني والمصلح لأمر حياته يصلح الفطرة بالفطرة و يعدل قواها المختلفة عند طغيانها وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخروية والمادية والمعنوية فعذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعية والدينية) على ما تعطيه هذه الآية الشريفة، ثم ذكر ﷺ بحثاً آخر تحت عنوان (بدء تكوين الإنسان) و بحثاً آخر تحت عنوان (تركبه من روح وبدن) و بحثاً آخر، تحت عنوان (فشوره الحقيقي وإرتباطه بالأشياء) وعلومه العملية، وجره على استخدام غيره إنتفاعاً، وكونه مدنياً بالطبع وحدوث الاختلاف بين أفراد الإنسان، ورفع الاختلاف بالدين، والاختلاف في نفس الدين، والإنسان بعد الدنيا، ثم أردف كلامه بقوله (كلام في عصمة الأنبياء) كلام في النبوة وهكذا وهكذا والذي يستفاد من مجموع أبحاثه في المقام هو أن اختلاف الناس صار سبباً لتشريع الدين وأن الآية بصدد بيان هذا لا غير وأن الاختلاف على قسمين قسم منه مستند الى بغي الباغيين وقسم آخر مستند الى أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين ثم أنه ﷺ لم يقنع بهذا بل صرح بأن المراد بالآية أن الناس أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ليس أنهم كانوا على الهداية ولا على الضلال فقال ما هذا لفظه و بهذا البيان ظهر فساد ما ذكره بعضهم أن المراد بالآية أن الناس كانوا أُمَّة واحدة، على الهداية وأستدل على مدعاه بما حاصله أنهم لو كانوا على البداية فما هو الموجب بل ما هو المَجْوَز لبعث الأنبياء وإنزال الكتب الى آخر ما قال ثم قال ﷺ ويظهر به ايضاً فساد ما ذكره آخرون أن المراد بها أن الناس كانوا أُمَّة واحدة على الضلالة واستدل على قوله بقوله فلو كانوا على الضلالة قبل البعث والانزال وهي ضلالة الكفر والنفاق والفجور والمعاصي فما المصحح لنسبة ذلك الى حملة الكتاب وعلماء الدين الى آخر ما قال ونحن نقول لا شك أن الانسان مَفْطُورٌ على التعاون والاجتماع وأن افراد البشر

بحسب الفطرة يظهر فيهم الاختلاف في الأمور وهذا هو السبب لبعث الأنبياء وانزال الكتب لأن هذا أمر قد فرغنا منه في بحث النبوة بما لا مزيد عليه وإنما الكلام في أن قوله ﷺ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ما المراد به وأنهم في أي زمان كانوا أمة واحدة قبل بعث الأنبياء أو بعده وحيث أن الآية مُصَرَّحة بأنهم كانوا أمة واحدة قبل البعث بدليل الفاء في قوله تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ المفيد للتأخير فزيد أن نفهم هل يجوز عقلاً وشرعاً خلق الاجتماع عن النبي أو الوصي المعبر عنه بالحجة أم لا يجوز فإن قلنا بالجواز قبل البعث فنقول به بعده أيضاً لأن حكم الأمثال واحد وإن لم نقل كما هو الحق فما معنى الآية كان الناس أمة واحدة ولا فرق في ذلك بين القول بإنسلاخه عن الدلالة على الزمان وعدمه كما هو ظاهر على المتأمل هذا.

أولاً وثانياً: على فرض وجود الناس قبل البعث لا يخلو حالهم عن أحد الأمرين، الهداية أو الضلالة إذا الأمر دائر بين النفي والإثبات وارتفاعهما من قبيل إرتفاع التقيضين الذي إتفقوا على إستحالاته فما معنى قوله ﷻ وبهذا البيان يظهر فساد كذا وكذا.

ثالثاً: قوله فالإختلاف إختلافان، إختلاف في أمر الدين مستند الى بعض الباغيين، وإختلاف في أمر الدنيا وهو فطري الى آخر ما قال لا ربط له بالآية وإن كان هو كذلك في الواقع ونفس الأمر فإن الإختلاف في الدين غيره في أمر الدنيا، إلا أن الآية ساكتة عن هذا التقسيم وذلك لأن الإختلاف المذكور في الآية واحدة فقوله: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ بِمَنْزِلَةِ التفسير والبيان لقوله تعالى: لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ كَأَنَّهُ قِيلَ ومن المختلف فقال وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ وأما الإختلاف بحسب الفطرة فليس في الآية منه عين ولا أثر وأظن أن الذي أوقعه في هذه الورطة، قوله تعالى لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فظن أن المراد،

بِالنَّاسِ الْعَوَامِ وَبِاخْتِلَافِهِمْ إِيخْتِلَافُهُمْ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَأَنَّ الْمَرَادَ بِالنَّاسِ هُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتَوْهُ بَغِيًّا، فَكَأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تَفْسِيرُ النَّاسِ لَنَا فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَمِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَحْكُمُ النَّبِيُّ أَوْ الْكِتَابُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتَوْهُ فَالنَّبِيُّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ لِيَرْتَفَعَ الْإِخْتِلَافُ، الْإِخْتِلَافُ النَّاشِئُ عَنِ الْفِطْرَةِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَالْأَيَّةُ سَاكِنَةٌ عَنْهُ وَأَنْ كَانَ النَّبِيُّ حَاكِمًا فِيهِ أَيْضًا هَذَا أَنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَرَادَ، بِالنَّاسِ، عُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ أَوْتَوْهُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ كَمَا مَرَّ، وَإِنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَرَادَ بِالنَّاسِ جَمِيعُ الْأَفْرَادِ وَحَمَلْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا النَّاشِئُ عَنِ الْفِطْرَةِ، يُحْمَلُ الْإِخْتِلَافُ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا عَلَى النَّاشِئِ عَنِ الْفِطْرَةِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِينَ يَرْفَعُ الْإِخْتِلَافَ أَيْ إِيخْتِلَافًا كَانَ سَوَاءً كَانَ مُسْتَنْدَاً إِلَى بَغْيِ الْبَاغِينَ أَمْ إِلَى أَمْرِ الدُّنْيَا النَّاشِئِ عَنِ الْفِطْرَةِ هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي الْمَقَامِ وَنَرْجِعُ إِلَى تَفْسِيرِ الْكَلِمَاتِ فَنَقُولُ، كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا^(١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ^(٢)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ^(٣)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ^(٤)

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْ أَنْزَلَ اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّينَ الْكِتَابَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهِمَا وَجَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوَارِدِ الْإِخْتِلَافِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ.

قال الله تعالى: **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ^(١)

قال الله تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ^(٢)

قال الله تعالى: **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** ^(٣)

قال الله تعالى: **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ^(٤)

قال الله تعالى: **لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ** ^(٥)

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ يعني أن منشأ الاختلاف بينهم هو البغي وفيه إشارة إلى أن أصل الكتاب لا اختلاف فيه لأنه من عند الله وأنما الاختلاف ينشأ من عدم رعايتهم الحق وأنهم يفسرونه على طبق أميالهم وأغراضهم فكل يجر النار إلى قُرصته ولذلك ورد في الشريعة، كل من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده في النار.

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وذلك لأن المؤمن لا يكون باغياً تابعاً لهواه بل يكون مطيعاً متقاداً للشرع مستمداً من ربه متوكلاً عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالله تعالى لا يكله نفسه طرفة عين وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ليس فيه إعوجاج ولا انحراف فإن اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة ولذلك نقول، إهدنا الصراط المستقيم وقال الله تعالى مخاطباً لنبيه فاستقم كما أمرت، وأما المراد من الآية فهو أن الله تعالى لم يخل الأرض من حجة في كل عصر وزمان لقوله لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها ولتلا يكون للناس على الله حجة، قل فله الحجة البالغة اذا ثبت هذا فأعلم أن لا دلالة منها على وجود الناس قبل الحجة عند التأمل منها وذلك لأن الغاء لا تفيد التأخير كما فقله تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** يدل على اتصال

هذا القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

٢- البقرة = ١٧٦

٤- الشورى = ١٠

١- الإسراء = ١٠٥

٣- آل عمران = ٣

٥- النحل = ٣٩

البعثة بالناس و لازم ذلك أنه لم يكن زمان خالياً عن الحجّة أعني بها لأنبي
والناس موجودين فيه وبعبارة أخرى تفيد الآية إتصال البعثة بالناس وجوداً
وأما قدّم الناس في الترتيب على البعث لأنه فرع على وجود الناس اذ لولا
الناس فالى من يبعث النبي فعلى هذا يكون وجود الناس بمنزلة الأصل
والحجّة بمنزلة الفرع ولا يلزم منه الفصل حتّى يقال متى كان الناس أمة واحدة
قبل البعث والعجب منهم كيف غفلوا عن هذه الدقيقة وقالوا أنّ الفاء يفيد
التأخير و اذا ثبت التأخير فعلى أي دين كان الناس قبل البعث ولم يعلموا أنّ
الفاء للترتيب لا للتأخير والترتيب على قسمين إتصالي بمعنى أت ما بعد الفاء
متصل بما قبله إلا أنه متفرّع عليه و بعده، وإنفصالي كما في ثم، حيث أنّ بعده
منفصل عن قبله فلو كانت الآية ثم بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ كان الإشكال بحاله و
ليست كذلك فلا إشكال فيها من هذه الجهة أصلاً.

أن قلت اذا كان الأمر على هذا المنوال فما المستفاد من صدر الآية وأيّ
شيء تبين بها، قلت الآية أفادت أنّ الناس لا بدّ لهم من الدّين بواسطة النّبي
بمعنى أنّ وجود الناس يلازم وجود النّبي المبعوث اليهم إتماماً للحجّة ثم بين
الله تعالى فيها ما يتفرّع على وجوده بعد البعث ولذلك أتى بكلمة الفاء المفيد
للتّرتيب الإتصالي للدّلالة على أنّ وجود الناس لا ينفك عن البعث وبينهما
ملازمة عقلية أو شرعية وأما السّبب في تشريع أصل الدّين فهذه الآية تدلّ
عليه ظاهراً وأما هو ثابت في محله هذا ما فهمنا من الآية و لا نقول أنّ
المقصود منها هو هذا لا غيره و ذلك لأنّ القرآن كلام الخالق وله بطنّ ولبطنه
أيضاً بطنّ آخر وهكذا و أين الثّراب من ربّ الأرباب كيف وقد قال الله تعالى:
وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا^(١) ولعله يأتي بعدنا من يفهم منها غير ما فهمنا منها
والله أعلم بحقائق الأمور.

بسم القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ
وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

◀ اللغة

أَمْ: بمنزلة بل، فهي مُنْقَطِعَةٌ.

حَسِبْتُمْ: أي ظننتم.

لَمَّا: هنا، لم، دخلت عليها، ما، وبقي جزمها.

الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ: الشدة والمكروه، والضراء، يقابل بالسراء والنعماء.

زُلْزِلُوا: التزلزل الإضطراب وتكرير حروف لفظه تبينه على تكرير معنى

الزَّل في أي زُعِزَعُوا من الرَّعْب.

◀ الإعراب

أَنْ تَدْخُلُوا صلة و موصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سدّ
مفعوليه عند سبويه وأما عند الأخفش فالمفعول الثاني محذوف وتقديره أم
حسبتم دخولكم الجنة ثابتاً والجنة نصب لأنها ظرف مكان، لتدخلوا مَسَّتْهُمُ
جملة مستأنفة لا موضع لها وهي شارحة لأحوالهم ويجوز أن تضمّر معها، قد،
فتكون حالاً حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ يقرأ بالنصب والتقدير إلى أن يقول الرسول
فهو غاية والفعل مستقبل والمعنى على المضي والتقدير إلى أن قال الرسول
مَتَى نَصُرُ اللَّهَ الجملة وما بعدها في موضع نصب بالقول و موضع متى، رفع
لأنه خبر المصدر و على قول الأخفش موضعه نصب على الظرف، ونصر
مرفوع به.

التفسير

قال أكثر المفسرين أنَّ الآية نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحرّ والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد. وقيل نزلت في حرب أحد، وقالت فرقة نزلت تسليّة للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وأسَرَ قَوْمٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْنِّفَاقِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَيِّ بَلٍ أَظْنَنْتُمْ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ أَنَّهَا قَدْ تَجِي بِمِثَابَةِ أَلْفِ الْإِسْتِفْهَامِ لِيَبْتَدَأَ بِهَا وَكَيْفَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمْ حَسِبْتُمْ وَخَلْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ أَوْ لَمَّا تَمْتَحِنُوا بِمِثْلِ مَا مَاتَحِنُوا فَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا مَسَّتْهُمْ الْبِأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ الْبِأْسَاءُ نَقِضُ النِّعْمَاءِ وَالضَّرَاءُ نَقِضُ السَّرَاءِ وَقِيلَ الْبِأْسَاءُ الْقَتْلُ وَالضَّرَاءُ الْفَقْرُ وَقِيلَ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَضَارِّ الدِّينِ مِنْ حَرْبٍ وَخُرُوجٍ مِنَ الْأَهْلِ وَ الْمَالِ نَقْلَهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ أَوْ زَعَزَعُوا وَاضْطَرَبُوا بِالْمَخَافَةِ مِنَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ أَوْ حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ فَالْلَفْظُ مُسْتَقْبَلٌ وَ الْمَعْنَى عَلَى الْمَضِيِّ وَ تَفْصِيلُهُ أَنَّ أَتْبَاعَ الرَّسُولِ قَالُوا مَتَى نَصْرُ اللَّهِ فَقَالَ الرَّسُولُ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلَّهِ الدِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ (٢١٥)

◀ اللغة

قال الرَّاغِب، نَفَقَ الشَّيْءُ، مَضَىٰ وَنَفَدَ الْيَتَامَىٰ جَمْعُ الْيَتِيمِ قال الرَّاغِب،
الْيَتِيمُ، انْقِطَاعُ الصَّبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَبْلَ بُلُوغِهِ وَفِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ، وَ
قِيلَ كُلُّ مَنْفَرِدٍ يَتِيمٌ يَقَالُ دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، تَبْنِيهَا عَلَىٰ أَنَّهُ انْقَطَعَ مَادَتُهَا.
الْمَسَاكِينُ: جَمْعُ الْمَسْكِينِ، قِيلَ هُوَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْفَقِيرِ.

◀ الإعراب

مَاذَا يُنْفِقُونَ فِي مَاذَا، مَذْهَبَانِ لِلْعَرَبِ.
أَحَدُهُمَا: أَنْ تَجْعَلَ مَا، إِسْتَفْهَامًا بِمَعْنَىٰ أَيِّ شَيْءٍ وَذَا، بِمَعْنَىٰ الَّذِي وَ
يُنْفِقُونَ، صَلَاتُهُ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ فَتَكُونُ مَا، مُبْتَدَأُ وَذَا وَصَلَتْهُ خَبَرًا.
الثَّانِي: أَنْ يَجْعَلَ مَا، وَذَا، بِمَنْزِلَةِ إِسْمٍ وَاحِدٍ لِلِإِسْتِفْهَامِ وَمَوْضِعُهُ هُنَا نَصَبُ
بِیْنْفِقُونَ وَ مَوْضِعُ الْجُمْلَةِ نَصَبُ بِیْسْأَلُونَ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ مَا أَنْفَقْتُ مَا شَرْطُ فِي
مَوْضِعِ نَصَبِ بِالْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَهَا مِنْ خَبَرٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِعْرَابُهُ فَلِلَّهِ الدِّينَ جَوَابُ الشَّرْطِ
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا بِمَعْنَى الَّذِي وَتَكُونُ مُبْتَدَأُ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ وَمِنْ خَيْرٍ
مَالٍ مِنَ الْمَحْذُوفِ فَلِلَّهِ الدِّينَ خَبَرٌ فَامَّا مَا فِي وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَشَرْطُ الْبَتَّةِ.

بَابُ التَّرْقَاءِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

◀ التفسير

قال بعض المفسرين أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَنَّى لِي
دِينَارًا فَقَالَ أَفِيقَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، قَالَ أَنَّى لِي دِينَارَيْنِ، قَالَ ﷺ أَنْفَقَهُمَا عَلَىٰ

أهلك قال أن لي ثلاثة قال أنفقها على خادمك قال أن لي أربعة قال أنفقها على والدك قال أن لي خمسة قال أنفقها على قرابتك قال أن لي ستة قال أنفقها في سبيل الله وهو أحسنها نقل هذا القول عطا عن ابن عباس وروي الكلبي عنه أنها نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً هرمأً وهو الذي قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا أنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية، أن قيل أن القوم سألوا عما ينفقون لا عما تصرف النفقة اليهم وبعبارة أخرى سألوا عن بيان ما ينفقون وأجبوا ببيان المصروف فالجواب لا يطابق السؤال قلنا، قد تضمن قوله تعالى مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصروف لأن الإنفاق لا يقيد به إلا أن يقع موقعه قال الشاعر:

أَنْ الصَّيْغَةُ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

قاله الزمخشري في الكشف، ونقل عن القفال أنه قال، السؤال وأن كان وارداً بلفظ، ما، إلا أن المقصود السؤال عن الكيفية لأنهم كانوا عالمين بحسن الإنفاق وأن الذي أمروا به إنفاق مالٍ يخرج به قربة إلى الله وإذا كان هذا معلوماً لم ينصرف الوهم إلى أن ذلك المال أي شيء هو وإذا لم يكن هذا مراداً تعين أن المطلوب بالسؤال هو أن مصرفه أي شيء هو وحينئذ يكون الجواب مطابقاً للسؤال انتهى.

قال بعض المحققين أعلم أنه تعالى راعى الترتيب في الآية فقدم والدين وذلك لأنها كالمُخرج له من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب ثم ربياه في الحال الذي كان في غاية الضعف فكان أنعامهما على الإبن أعظم من أنعام غيرهما عليه ولذلك قال تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^(١) وفيه إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله شيء أوجب من رعاية

حَقَّ الوالدين لأنَّ الله تعالى هو الَّذي أخرج الإنسان من العدم إلى الوجود حقيقة والوالدان أخرجاه إلى عالم الوجود في عالم الأسباب لاظاهرة فثبت أنَّ حَقَّهُما أعظم من حَقِّ غيرهما بعد حَقِّ الله تعالى، ثمَّ ذكر الله تعالى بعد الوالدين الأقربين والسَّبب فيه أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يقوم بمصالح جميع الفقراء بل لا بدَّ وأن يَرَجح البعض على البعض والتَّرجيح لا بدَّ له من مرجح و القرابة تصلح أن تكون سَبباً للتَّرجيح لأنَّ القريب بمنزلة الجزء منه ومن المعلوم أنَّ الإنفاق على النَّفس أولى منه على الغير وقد قيل أنَّ الأقرب يمنع الأبعد، ثمَّ ذكر بعد الأقربين اليتامى وذلك لأنَّهم لصغرهم لا يقدرُونَ على الإكتساب ولكونهم يتامى ليس لهم أحد يكتسب لهم فالطُّفل الَّذي مات أبواه عُدَّ الكسب والكاسب وأشرف على الصَّياع، ثمَّ ذكر بعدهم المساكين لأنَّ حاجاتهم أقلَّ من حاجات اليتامى من حيث قدرتهم على التَّحصيل.

ثمَّ ذكر ابن السَّيِّل لأنَّه بسبب إنقطاعه عن بلده قد يقع في الإحتياج والفقر فلما فَصَّل هذا التَّفصيل الحسن أرفده بعد ذلك بالإجمال فقال وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ انتهى.

وأما الخير، فيمكن أن يراد به المال لقوله تعالى: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ^(١) وقوله: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ^(٢) وعليه فالمعنى في قوله: وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ شيء من المال قلَّ أو كَثُرَ ويمكن أن يراد به مطلق الخير الشَّامِل للإِنْفَاق وسائر وجوه البر والطَّاعة وهو أولى، أعلم أنَّ السَّرَّ في فضيلة الإِنْفَاق بالمال ثلاثة أمور.

أحدها: أنَّ التَّوْحِيد العام أن لا يبقى للموَحَّد محبوب سوى الواحد الفرد إذا المحبَّة لا تقبل الشركة والتَّوْحِيد باللسان قليل الجَدوى وإنَّما تمتحن درجة الحُبِّ بِمُفارقة سائر المحَّاب والأموال محبوبه عند النَّاس لأنَّها آلة

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْصِيلِ الْخَيْرِ

جزء ٢

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْصِيلِ الْخَيْرِ

تَمَتَّعَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَأَجْلُهَا يُأْنَسُونَ بِهَذَا الْعَالَمِ وَيَخَافُونَ مِنَ الْمَوْتِ فَأَمْتَجَنُوا فِي صَدَقِ دَعْوَاهُمْ الْحَبَّ التَّامَّ لِلَّهِ تَعَالَى، بِمَفَارِقَتِهِمْ عَنِ الْأَمْوَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ^(١) وَنَفَهُمْ هَذَا السِّرِّ فِي بَذْلِ الْأَمْوَالِ إِنْ قَسَمَ النَّاسُ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالمَحَبَّةِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ.

قَسَمٌ صَدَقُوا التَّوْحِيدَ وَافُوا بِعَهْدِهِ وَلَمْ يَجْعَلُوا قُلُوبَهُمْ إِلَّا مَحَلًّا لِحَبِّ وَاحِدٍ فَتَزَلُّوا عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ وَلَمْ يَدَّخِرُوا شَيْئًا مِنَ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ.

وَقَسَمٌ دَرَجَتُهُمْ دُونَ هَذَا وَهُمْ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ رَاقِبُوا مَوَاقِيتَ الْحَاجَاتِ وَمَرَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَيَكُونُ قَصْدُهُمْ مِنَ الْإِمْسَاكِ الْإِنْفَاقَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ دُونَ التَّنَعُّمِ وَصَرَفَ الْفَاضِلَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى وَجْهِ الْبَرِّ.

وَقَسَمٌ، إِقْتَصَرُوا عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ فَلَا يَزِيدُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهُ وَهُوَ أَدْوَنُ الدَّرَجَاتِ وَأَقَلُّ الْمَرَاتِبِ فَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ.

الثَّانِي: تَطْهِيرُ النَّفْسِ عَنْ رَذِيلَةِ الْبَخْلِ فَأَنَّهُ مِنَ الْمَهْلُكَانِ وَأَمَّا تَزُولُ هَذِهِ الرَّذِيلَةُ بِبَذْلِ الْمَالِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَتَّعُودَ.

الثَّلَاث: شُكْرُ النِّعْمَةِ فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فِي نَفْسِهِ وَنِعْمَةً فِي مَالِهِ فَالْعِبَادَاتُ الْبَدَنِيَّةُ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْبَدَنِ وَالْمَالِيَّةُ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْمَالِ ثُمَّ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارَ فِي مَدْحِ الْإِنْفَاقِ كَثِيرَةٌ جَدًّا أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا مَخَافَةَ الْإِطْنَابِ وَسَيَاتِي الْكَلَامِ فِيهِ بِوَجْهِ أَسْطَ.



كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ (٢١٦)

◀ اللغة

كُتِبَ: معناه فرض قال الشاعر:

كتب قتل والقتال علينا و على الغاينات جرّ الذبول
الْقِتَالُ: يقال قتله، قتلاً، قتلاً، والقتل في الاصل ازالة الروح من الجسد كالموت لكن
اذا اعتبر بفعل المتولى لذلك يقال، قتل واذا اعتبرت بفوت الحياة يقال موت.
كَرْهٌ: بضم الكاف وبفتحها نحو الضعف والضعف والكره معناه المشقة التي
تنال الإنسان من خارج فيما يُحْمَل عليه باكره والكره ما يناله من ذاته يعافه و
ذلك على ضربين.

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع والثاني، ما يعافه من حيث العقل
والشرع ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد أنني أريده وأكرهه
بمعنى أنني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل والشرع أو بالعكس
فقوله تعالى عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ أي تركهونه من حيث الطبع.
عَسَى: أي طمع وترجى.

شَرٌّ لَّكُمْ: الشر الذي، يرغب عنه الكل كما أن الخير هو الذي يرغب فيه
الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع.

بَابُ التَّفَاتُرِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

◀ الإعراب

وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ مبتدأ وخبر والجملة في موضع الحال وقيل في موضع
الصفة ويُقرأ بضم الكاف وفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل الفتح بمعنى

الكرامية فهو مصدر والضمّ إسم المصدر وقيل الضمّ بمعنى المشقة وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا أَنْ والفعل في موضع فاعل، عَسَى وليس في عسى، ضمير وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ في موضع نصب فيجوز أن تكون صفة لشئ ويجوز أن تكون حالاً من النكرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ مبتدأ وخبر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ في موضع الحال.

◀ التفسير

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أي فرض عليكم وهذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه وبه قال أكثر المفسرين كما أن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ^(١)، يدل على وجوب الصّوم وقد مرّ الكلام فيه والفرق بين المقامين هو أن الصّوم واجب عيناً أي على كلّ مكلف وأما الجهاد فهو واجب كفاية وحكى الشيخ عن عطاء القول بوجوب الجهاد على الصّحابة وأما بعدهم فقد سقط فرضه قال الشيخ بعد نقله ما نقلناه عنه والصّحيح الأول الوجوب كفاية على الجميع لحصول الإجماع عليه اليوم وقد فالرض خلاف عطاء انتهى.

وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس وبالضمّ المشقة حملت عليها أولم تحمل وعن الكسائي أنهما لغتان وحاصل المعنى أنه كُتِبَ عليكم القتال أعني به الجهاد في سبيل الله والحال أنه شاق عليكم لما فيه من حمل النفس على المهلك وقتل الحريم والحميم والصديق إلا أنها كراهة طباع لا سخط لأنّ كلّما كان على خلاف الطبع فهو مكروه على النفس لأنها جبلت على محبة الحياة وإرتكاب الأمور السهلة والمستلذة قال النبي ﷺ حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وقيل أنه كُرْهُ لَكُمْ قبل الأمر والتكليف لأنّ المؤمن لا يكره ما فرضه الله عليه لمنافاته للإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فالمعنى أَنَّهُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي حَالِ كُنْتُمْ تَكْرَهُونَهُ ثُمَّ أَعْقَبَهُ بَيَانُ أَنَّ فرضه عليكم مصلحة و منفعة دنيوية و أخروية و تركه شرٌّ و ضررٌ فيهما فهو سبحانه في علمه بعواقب الأمور في تكاليفه كالطبيب يحمل المريض على ما يكرهه و يمنعه عن الذي يُحِبُّه و لا يبعد أن يكون التعبير بعسى للتنبيه على أَنَّهُ قد يظهر وجه المصلحة في بعض التكاليف كما يقوله العدلية بالنسبة إلى حسن بعض الأشياء و قبحها و أَنَّهُ قد يدرك بالنظر سيما إذا إرتاضت النفس في ذلك و توطنت عليه ففيها دلالة على أَنَّ حُسن الأشياء و قُبْحها عقليان و أَنَّهُ قد يخفى فيكشفه الشرع المطلع على السرائر و الأمور الخفية و على أَنَّ أحكام الشرع تابعة للمصالح الثابتة في الأفعال و أن خفيت علينا و هي صريحة الدلالة على وجوب الجهاد و ظاهراً إطلاقها أَنَّهُ حينئذٍ إلاَّ أَنَّ المستفاد من الأخبار و إنعقاد الإجماع أوجب الحمل على الوجوب الكفائي و في قوله تعالى: عَلَيْكُمْ دلالة على خروج النساء عن هذا التكليف و كذا غير المكلفين كالصبيان و المحانين و إشارة إلى خروج من لا يقدر على ذلك كالمريض و نحوه هكذا قيل .

أقول والحقَّ أَنَّ خروج النساء عن هذا التكليف بالإجماع و الأخبار، و لا دلالة لقوله عَلَيْكُمْ على خروج النساء و التذكير للتغليب و أمَّا خروج الصبيان و المجانين، فنعم لأنَّ الخطاب لا يتوجه إلى غير المكلف و هو واضح و هكذا القول بآنه كره لكم قبل الأمر و التكليف و أمَّا بعده فلا لأنَّ المؤمن لا يكره ما فرضه الله عليه لمنافاته الإسلام فأنه ملامٌ لا يعتمد عليه اذ لا يساعده العقل و النقل و ذلك لأنَّ الطبع غير الإرادة فلا منافاة بين أن يكون الشئ منافياً للطبع ملائماً للإرادة و الذي ينافي الإسلام و الإيمان هو الثاني دون الأول لأنَّ أكثر الأحكام منافية للطبع و مع ذلك يريد بها المؤمن المسلم فيفعلها بالطوع و الرغبة كما هو مقتضى العبودية و الطاعة كالصوم و الصلاة و الزكاة و الحج و

أمثالها وهذا معنى أفضل الأعمال أحمّصها فلو لم يكن منافياً للطبع فما معنى حموضته ولذلك قالوا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد أتّي أريده و أكرهه بمعنى أتّي أريده من حيث الطبع و أكرهه من حيث العقل و الشرع و ذلك كأكثر المحرّمات أو أريده من حيث العقل و الشرع و أكرهه من حيث الطبع كأكثر الواجبات فقلوه تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ** أي تكرهونه من حيث الطبع ثم بيّن ذلك بقوله:

وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ أي عسى أن تكرهوا شيئاً، بالطبع وهو خير لكم في الدنيا والآخرة، ثم أن الخير على قسمين: خيرٌ مطلق و خيرٌ مقيد وهكذا في الشرّ إلا أن الشرّ المطلق لم يوجد في الخارج.

فالخير المطلق ما يكون مرغوباً فيه بكل حالٍ وعند كلّ أحدٍ كما وصف عليه السلام به الجنة فقال **عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ**، وأمّا المقيد فيهما فهو أن يكون الشيء خيراً لو اوجد و شراً لآخر للمال الذي بما تكون خيراً للزبد و شراً لغيره

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ أي مضرّ لكم و لا نفع فيه لكم و ذلك لأنّ الاحكام تابعة للمصالح و المفساد الواقعيته و العلم بهما مختصّ بالله تعالى و لذلك قال الله:

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ و الحاصل أنّه سبحانه لا يأمر العبد إلا بما فيه مصلحته و لا ينهيه إلا عمّا فيه مضرّته و الله يعلم المصلحة و المفسدة و هو لا يعلم و عليه فاذا أمر بشيء علم قطعاً أنّ الذي أمره الله تعالى به فيه مصلحة فوجب إيمثاله سواء كان مكروهاً للطبع أم لم يكن و هو واضح لا خفاء فيه.

يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ
 فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ
 اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
 يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ
 اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَيْمَتْ
 وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ
 اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

◀ اللغة

صَدُّ: الصَّدَّ مصدر قولك صَدَّ يَصُدُّ صَدًّا وهو قد يكون بمعنى الانصراف
 عن الشيء و الإمتناع منه نحو قوله تعالى: يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا وقد يكون
 بمعنى المنع كما في هذه الآية.

الْفِتْنَةُ: قال أرباب اللغة فتن، فِتْنَةً ومفتوناً الحيرة، الضلال، الكفر،
 إختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال.

يَرْتَدُّ: الإرتداد الرجوع الى القهقري قال الراغب الرَّد، صَرَفَ الشيء بذاته
 أو بحالته من أحواله يقال رَدَدته فارتدَّ انتهى.

حَبِطَتْ حَبَطَ حَبَطًا وَحُبُوطًا: حَمَلَهُ، ذهب اليه سدى وباقي اللغات
 واضح.

◀ الإعراب

قِتَالٍ فِيهِ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الشَّهْرِ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ لِأَنَّ الْقِتَالَ يَقَعُ فِي الشَّهْرِ الْكَسَائِي هُوَ مَخْصُوصٌ عَلَى التَّكْرِيرِ وَالتَّقْدِيرِ عَنْ قِتَالٍ فِيهِ وَبِهِ قَالَ الْقَرَاءُ وَالْأَقْوَى أَنَّ حَرْفَ الْجَزْرِ لَا يَبْقَى عَمَلُهُ بَعْدَ الْحَذْفِ إِخْتِيَارًا قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ وَجَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِالنَّكْرَةِ لِأَنَّهَا قَدْ وَصَفَتْ بِقَوْلِهِ فِيهِ وَصَدُّ مُبْتَدَأٌ وَعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ صِفَةٌ لَهُ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَكُفْرٌ مُعْطُوفٌ عَلَى صَدُّ وَخَرَجُ أَهْلِهِ أَيْضًا مُعْطُوفٌ وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ أَكْبَرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: حَتَّى يَرُدُّوكُمْ بِجُوزٍ أَنْ تَكُونَ، حَتَّى بِمَعْنَى، إِلَى، وَهِيَ فِي الْوَجْهِينِ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ، يِقَاتِلُونَكُمْ وَجَوَابُ إِنْ اسْتَطَاعُوا مُحْذُوفٌ قَامَ مَقَامَهُ وَلَا يَرَاوُنَ فَيَمُتُ مُعْطُوفٌ عَلَى يَرْتَدُّ فَأَوَّلُكَ حَبِطَتْ خَبَرُ لِقَوْلِهِ وَمَنْ يَرْتَدُّ، فَأَنْ، مَنْ فِي مَوْضِعٍ مُبْتَدَأٌ.

◀ التفسير

اختلفوا المفسرون في السائل في هذا السؤال فقال الحسن وغيره هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام وبه قال الجبائي وأكثر المفسرين وقال البلخي وغيره هم أهل الإسلام سألوا ليعلموا كيف الحكم فيه، وأما سبب نزولها فقد روي القرطبي في تفسيره عن أبي جندب بن عبد الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم، أبا عبيدة بن الحارث أو عبيدة بن الحارث فلما ذهب لينطلق بكى صباة إلى رسول الله ﷺ فبعث عبد الله بن مجش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأوا الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال ولا تكرهن أصحابك على المسير فلما بلغ قرأ الكتاب، فاسترجع وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أَنَّ ذلك اليوم من رجب فقال المشركون قتلهم في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ أَيْضاً فِي تَفْسِيرِهِ وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ بِأَسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ صَدَّوْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَدَّوْهُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَعَابَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْقِتَالَ فِي شَهْرِ حَرَامٍ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا بَعَثَ سَرِيَّةً فَلَقُوا عَمْرُو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنَ الطَّائِفِ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُمَادِي وَكَانَتْ أَوَّلَ رَجَبٍ وَلَمْ يَشْعُرُوا فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ أَرْسَلُوا لِيَعْبَرُوهُ بِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ الْحَدِيثُ وَلَنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَهُوَ رَجَبٌ سُمِّيَ بِهِ لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهِ وَلِذَلِكَ كَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَنْزِعَ الْأَسْنَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْزِعُونَ الْأَسْنَةَ وَالتَّصَالُ عِنْدَ دُخُولِ رَجَبٍ وَكَانَ يُدْعَى الْأُمَمَ لِأَنَّهُ لَا يُسْمَعُ فِيهِ قَعْقَعَةُ السَّلَاحِ فَتُنَسَبُ الضَّمُّ إِلَيْهِ كَمَا نُسِبَ الصَّوْمُ إِلَى اللَّيْلِ فِي قَوْلِهِمْ، لَيْلٌ صَائِمٌ فَكَانَ النَّاسُ لَا يَخَافُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَتَأْمَنُ السُّبُلُ إِلَى أَنْ يَنْقُضِيَ الشَّهْرُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ

قِتَالٍ فِيهِ قُلُ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ أَيْ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِتَالِ فِيهِ قُلْ نَعَمْ فِيهِ قِتَالٌ كَبِيرٌ أَيْ كَبِيرٌ إِثْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ذَنْبُهُ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مُبْتَدَأٌ وَكُفْرٌ بِهِ أَيْ بِاللَّهِ عَطْفٌ عَلَيْهِ عَطْفٌ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى السَّبِيلِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَيْ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، عَطْفٌ عَلَى صَدٍّ، وَالْمَرَادُ النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ وَكُونُهُمْ أَهْلُهُ بِإِعْتِبَارِ كُونِهِمُ الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِهِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ عَنِ الْجَمِيعِ أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي فَعَلْتَهَا الْمُشْرِكُونَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَالسُّؤَالُ عَنْهَا وَالْفِتْنَةُ الَّتِي يَفْتَنُونَ بِهَا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِيهِ كَمَا فَعَلُوا غَيْرَ مَرَّةٍ أَكْبَرُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ أَوْ الْقَتْلِ مُطْلَقاً كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ: وَلَا يَزَالُونَ يُفَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا.

بَابُ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ

جزء ٢

بَابُ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ

الى ذلك و أعانهم الشيطان على الافتتان عن الدين و الإخراج منه و ذلك بالنسبة الى من لم يستوثق الإيمان في قلبه ثم ذكر حال المرتدين فقال: وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَلَمْ يَتَبْ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَيْ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا الدُّنْيَا فَلَاتَهِ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِمُ الْغَسْلُ وَالكَفَنُ وَالذَّفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَاتَهِ لَيْسَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَ الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّادِرَةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهَا قَدْ حَبِطَتْ بِالْإِرْتِدَادِ وَ شَرَطَ اسْتِحْقَاقَ الثَّوَابِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ الْمَوْافَاةَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا جَزْمَ وَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ هِيَهْنَا بَحْثَانِ.

البحث الأول: أَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ إِلَى قَوْلِهِ: حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ يَدُلُّ عَلَى حَبْطِ الْأَعْمَالِ وَبُطْلَانِهَا بِالْكَلْبَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمَرْتَدِّ دِينَافِي قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(١) والجواب أَنَّ الإحباط لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ فِي آيَةِ بَلْ هُوَ مُقَيَّدٌ بِمَوْتِ الْمَرْتَدِّ فِي حَالِ كُفْرِهِ وَعَدَمِ تَوْبَتِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ، وَأَمَّا إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ فَلَا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَحَجَّ ثُمَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ فَكَفَرَ ثُمَّ تَابَ يَحْسَبُ لَهُ كُلُّ عَمَلٍ عَمَلَهُ وَلَا يَبْطُلُ مِنْهُ شَيْءٌ أَنْتَهَى.

وَصَحَّاحِيهِ بَرِيدَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْعَجَلِي قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَجُلٍ حَجَّ وَهُوَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ نَاصِبٌ مُتَدِينٌ ثُمَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَعَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ يَقْضِي حُجَّةَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ عليه السلام: يَقْضِي أَحَبَّ إِلَيَّ وَقَالَ كُلُّ عَمَلٍ عَمَلَهُ وَهُوَ فِي حَالِ نَصْبِهِ

و ضلّالته ثمّ منّ الله عليه وعزّفه الولاية فأنّه يؤجر عليه إلا الزكاة
فأنّه وضّعها في غير موضعها لأنّها لأهل الولاية وأمّا الصّلاة
والحجّ والصّيام فليس عليه قضاء انتهى.

وما رواه في الكافي عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:
من كان مؤمناً فعمل خيراً في إيمانه فأصابته فتنة فكفر ثمّ تاب بعد
كفره كتّبت له وحُسب بكلّ شيء كان عمله في إيمانه ولا يبيّطه الكفر
إذا تاب بعد كفره.

ونحو ذلك من الأخبار وعليه عمل الأصحاب وبه قال جماعة من العامة
كالشافعي، فعلى هذا يكون قوله تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ^(١) و
نحوهما ممّا هو مطلق، مقيداً بهذه الآية ونحوها ويتفرّع على ذلك أنّ ما وقع
منه من الأفعال حال الإيمان كالطّهارة والصّلاة والصّوم والحجّ والزكاة ونحو
ذلك ثمّ إرتدّ ثمّ عاد إلى الإيمان فلا يجب عليه إعادة شيء من تلك الأفعال كان
وقتها باقياً لوقوعها مستجمعة الشّرائط وبذلك قال الأصحاب إلا الحجّ فإنّ
الشيخ خالف فيه وهو ضعيف، ونقل عن جماعة من العامة منهم أبو حنيفة
القول بأنّ نفس الرّدة مبطلّة للعمل وأنّ لم يمت على الكفر وهذه الآية و
إجماع العصاة حجة عليه ويؤيده قوله تعالى: (أَنْ اللَّهَ لَا يَضِيعَ عَمَّا عَمِلَ
مِنْكُمْ) الآية وقوله: فَمَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ونحو ذلك ممّا دلّ على
المجازاة بالعمل خرج عنه من وافاه كافراً وبقي الآخر تحت العموم.

البحث الثّاني: أنّ الظاهر من الآية قبول التّوبة من المرتدّ سواء كان عن فطرة
أو ملة ويدلّ عليه إطلاق كثير من الرّوايات كرواية الحسن بن محبوب عن
غير واحد من أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله في المرتدّ يستتاب فإن
تاب وإلا قتل والمرأة إذا إرتدت أستتيبت فإن تابت ورجعت وإلا خلّدت
السّجن وضيقّ عليها في حبسها انتهى.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ورواية جميل عن أحدهما عليه السلام في رجل رجع عن الإسلام قال يستتاب فإن تاب والآقتل الحديث ونحو ذلك من الأخبار وهذا المذهب ينسب إلى ظاهر ابن الجنيّد وهو مذهب العامة والمشهور بين الأصحاب أنّ الفطريّ وهو من حملت به أمّه واحد أبويه مسلم لا تقبل توبته ولا يستتاب ويجب قتله و تبين منه زوجته وتعتدّ منه عدّة الوفاة وتقسم أمواله بل هذا هو المذهب عندهم.

ويدلّ عليه ما رواه الشيخ عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن المرتدّ فقال عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله بعد إسلامه فلا توبة له وقد وجب قتله و به انت منه إمرأته وتقسم ما ترك على ولده.

وفي الصحيح عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألت عن مسلم تنصر قال: يقتل ولا يستتاب قلت فنصراني أسلم ثمّ إرتدّ عن الإسلام قال عليه السلام: يستتاب فإن رجع وإلا قُتل انتهى.

وفي الصحيح عن الحسين بن سعيد قال قرأت بخطّ رجل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: رجلٌ ولد على الإسلام ثمّ كفر وأشرك و خرج عن الإسلام هل يُستتاب أو يقتل ولا يستتاب فكتب عليه السلام يُقتل.

وفي الموثّق عن عمّار الساباطي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كلّ مسلم بين مسلمين إرتدّ عن الإسلام و جحد محمدًا نبوته و كذّبه فإنّ دمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه وامرأته باينة منه يوم إرتدّ فلا تقرّبه و يقسم ماله على ورثته وتعتدّ إمرأته عدّة المتوفّي عنها زوجها و على الإمام أن يقتله ولا يستتبه.

و الأخبار بهذه المضامين كثيرة فهذه الروايت مخالفة للروايات الأولى وطريق الجمع يتّعين أن يكون بما ذكرناه من التفصيل فيكيف وبعضها صريح

بذلك وهي مقيدة لا طلاق الآية والاخبار المطلقة ويؤيده ان الآية وردت في مبدء الإسلام ولم يعهد في ذلك الوقت فطرى فينصرف الاطلاق الآية الى المملّى ولوجوب قتله المانع من قبول توبته كما ورد في من سبّ النبي وما قيل من أنّه لا يقبل توبته بحسب الظاهر واما فيما بينه وبين الله وذاك كما اذا لم يطلع عليه احد ولم يقتل او تاخر قتله ووتاب فتقبل توبته في هذه الحال و تصحّ عباداته ومعاملاته ويثاب على أعماله ولكن لا يعود ماله وزوجته اليه و يجوز أن يجدد العقد عليها بعد إنقضاء العدة بل فيها على احتمال كالمطلقة بايناً فأنّه يجوز أن يعقد عليها وهي في العدة.

ففيه أنّه خلاف ظاهر الأخبار المذكورة مع إمكان حمل الأخبار الأولى على التّقية لموافقتها للعامة كما عرفت و أمّا دلالة الآية فهي من دلالة المفهوم من قبيل مفهوم الصّفة وعلى القول بأنّه حجة لا يصلح لمعارضته الأخبار المطلقة الدّالة بمنطوقها هذا ما ذكره بعض المحقّقين ثمّ قال والقول بقبول التّوبة باطلاً لا يخلو من وجه بل هو الأوجه لقوله تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أنّ الله غفورٌ رحيمٌ و غيرها من الآيات الدّالة بإطلاقها على قبول التّوبة ولاطلاق الأخبار الكثيرة الدّالة على ذلك ويجاب عن الروايات الدّالة على نفي قبول التّوبة بأنّ المراد نفي الاستيتاب الظّاهري لا نفي قبول الطّاعة باطلاً وذلك غير بعيد من ظاهرها اذ لا منافاة بين قبولها باطلاً، وإجراء الأحكام الثلاثة ظاهراً هذا تمام الكلام في قوله تعالى: **وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ** الخ بقي في المقام شيء وهو أنّ القتال في الشّهر الحرام منسوخٌ أو ليس كذلك، قال الطّبرسي **مَنْزُوعٌ** ما هذا لفظه:

قال قتادة وغيره أنّ تحريم القتال في الشّهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخٌ بقوله تعالى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** (١) وبقوله إقتلوا المشركين

في التّوبة في نفي

جزء ٢

الحدود

حيث وجدتموهم ، وقال عطاء هو باقٍ على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة ولا يبتدئون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وأما أباح الله للمؤمنين والنبي قتلاً أهل مكة عام الفتح فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ اللَّهَ أَحَلَّهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَلَمْ يَحْلَهَا لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَا يَرَى مِنْهُمْ حُرْمَةَ الْحَرَمِ وَحُرْمَةَ هَذِهِ الْأَشْهُرِ جَازَ قِتَالَهُ أَيْ وَقَتٍ كَانَ وَلَا تَحْرِيمَ مَنْسُوخٍ فِي حَقِّهِ انْتَهَى.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية - الثانية - إختلفوا في نسخ هذه الآية فالجمهور على نسخها وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح واختلفوا في نسخها فقال الزهري نسخها قوله تعالى: **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً** ^(١) نسخها غزو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقيفاً في الشهر الحرام وقيل نسخها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة ثم نقل عن عطاء أنه قال، الآية محكمة ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم وكان يحلف على ذلك لأن الآيات التي وردت بعدها عامة في الأزمنة وهذا خاص والعام لا ينسخ الخاص انتَهَى.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ أَنْ هَذِهِ آيَةٌ نزلت في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل ابن الحضرمي على ما مر شرحه فظن قوم أنهم أن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل الله الآية فيهم بالوعد وقال **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** نقل هذا القول الشيخ في التبيان والقرطبي في تفسيره والطبري وغيرهما من العامة وكيف كان فالآية قد دلت على أن الله تعالى يغفر الذنوب التي صدرت من المؤمن المهاجر المجاهد في سبيل الله وهو كذلك ولا شك فيه لأحد من المسلمين أنما الكلام في المراد بهذه الأوصاف فنقول الإيمان عند هو الإقرار باللسان والإعتقاد بالقلب والعمل بالجوارح وعند العامة هو مجرد الاعتقاد أو هو مع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإقرار وأما العمل فلا يشترطونه فيه مفصلاً في الماضي وسيأتي البحث فيه في المستقبل.

وأما الهجرة فمعناها بحسب اللغة الإنتقال من موضع إلى موضع آخر، والهجر ضد الوصل والإسم الهجرة وهذا المعنى أعني به الإنتقال من موضع إلى موضع هو المعتبر عند العامة في صدق الهجرة وعليه حملوا الآيات الواردة في مدح الهجرة والمهاجرين بلا قيد و شرط وأما عندنا فيعتبر فيها قصد التقرب بها إلى الله تعالى إعتقاداً والعمل بمقتضاها شرعاً وعليه فليس كل من هاجر مع النبي مهاجراً في الواقع وهكذا الكلام في الجهاد وتفصيل البحث فيها موكول إلى محله.



يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ
كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا
وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

◀ اللغة

الْخَمْرُ: قال بعض أهل اللغة، خَمَرَهُ خَمَرًا سَتَرَهُ وقال الراغب في المفردات أصل الخمر سَتَر الشَّيْ يُقال لما يستر به خمار وساق الكلام الى أن قال، والخمر سُمِّيت لكونها خامرة لَمَقَرَّ العقل وهو عند بعض الناس إسم لكل مسكر وعند بعضهم إسم للمتخذ من العنب والتمر لما روي عنه ﷺ أَنَّهُ قال، الخمر إسم من هاتين الشجرتين النخلة والعنب ومنهم من جعلها إسمًا لغير المطبوخ انتهى.

الْمَيْسِرُ: بفتح الميم وكسر السين القمار قال أهل اللغة، الميسر كل قمار اللعب بالقداح، الجزور التي كانوا يتقامرون عليها.
إِثْمٌ: بكسر الألف وجمعه على آثام إسم للأفعال المبطنة عن الثواب.

◀ الإعراب

فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ مبتدأ وخبر وإِثْمُهُمَا وَنَفْعُهُمَا مصدران مضافان الى الخمر والميسر فيجوز أن تكون إضافة المصدر الى الفاعل لأن الخمر هو الذي يؤثم ويجوز أن تكون الإضافة اليهما لأنهما سبب الاثم او محلة قُلِ الْعَفْوَ يقرأ بالرفع على أنه خبر والمبتداء محذوف تقديره يُنْفِقُونَ الْعَفْوَ هَذَا اذا جعلت ما وذا اسماً واحداً لأن العفو جواب و اعراب الجواب كاعراب القول كَذَلِكَ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي تبيناً مثل هذا التبين يُبَيِّن لَكُمْ.

◀ التفسير

قيل نزلت الآية في جماعةٍ من الصحابة أتوا رسول الله فقالوا أفنتا في الخمر والميسر فأنها مُذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت الآية

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَدْ عرفت معناهما بحسب اللغة فنقول قال الشافعي كل شرابٍ مسكر فهو خمر، وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب الشديد الذي قذف بالزبد واحتج الشافعي على قوله بما رواه أبو داود عن ابن عمر أنه قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة، من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة وقال القرطبي، الخمر، ماء العنب الذي غلى أو طبخ وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه وقال الزمخشري في الكشاف والخمر ما غلا واشتدّ وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتدّ ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحلّ شربه مادون السكر اذا لم يقصد شربه اللّهُو والطّرب عند أبي حنيفة ثم قال وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كلّ ما أسكر من كلّ شراب.

وأما الميسر فهو القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا أقمرته وإشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله ثم قال في صفة الميسر.

كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام، والأقلام الفذ والتّوام، والرّقيب، والتّافس والمسبل والمعلّى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحدٍ منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا ثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد وبعضهم:

لي في الدنيا سهامٌ
وَأَسَامِيهِنَّ وَغَدُ
ليس فيهنّ ربيعٌ
و سَفِيحٌ وَ مَنِحٌ

للفذ سهم، للتوأم سهمان، للزّيق ثلاثة، للحلس أربعة، للناس خمسة، للمنبل ستة وللمعلّى سبعة، يجعلونها في الرّابة وهى خريطة يضعونها على يدي عدل ثمّ يجلبجها ويدخل يده فيخرج بإسم رجل رجل قَدْحاً منها فمن خرج له قَدْح من ذوات الأنصباء أخذ النّصيب الموسوم به ذلك القَدْح ومن خرج له قَدْح ممّا لا نصيب له لم يأخذ شيئاً و غرم ثمن الجزور كلّه وكانوا يدفعون تلك الأنصباء الى الفقراء ولا يأكلون فيها ويفتخرون بذلك و يذّمون من لم يدخل فيه ويسمّونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من الترد والشطرنج وغيرهما وعن النبي ﷺ إياكم وهاتين اللَّعبتين المشئومتين فأتتهما من ميسر العجم وعن عليّ أنّ الترد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كلّ شيء فيه حظر فهو من الميسر انتهى كلام صاحب الكشف اذا عرفت المعنى المراد منهما فأعلم أنّهما أي الخمر والميسر حرام عند العامّة والخاصّة.

قُلْ فِيهِمَا آثَمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وهذا هو الدليل على حرمتهما، قيل إثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاعة وقول الفحش والزور وزوال العقل الذي يعرف به ما يجب لخالقه وتعطيل الصلوة والتعوق عن ذكر الله الى غير ذلك.

وأما الميسر فلاّنه يفضي الى العداوة لأنّ صاحبه اذا أخذ ماله مجّاناً أبغضه حدّاً وهو أيضاً يشغل عن ذكر الله ومع ذلك هو من اللّعب واللّغو واللّهو منا فعهما، فقالوا أنّ منفعة الخمر أنّهم كانوا يتغالون بها اذا جلبوها من النّواحي و كان المشتري اذا ترك المحاكمة في الثمن كانوا يعدّون ذلك فضيلة ومكرمة فكان تكثر أرباحهم بسبب ذلك و أنّها يقوي الضّعيف ويهضم الطّعام ويُعين

على الباء ويسلّي المحزون ويشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي اللون و
ينعش الحرارة الغريزية ويزيد في الهمة والإستعلاء، ومن منافع الميسر
التوسعة على ذوي الحاجة لأن من قمر لم يأكل من الجزور وأما كان يغرقه
في المحتاجين ونقل أن الواحد منهم ربما كان في المجلس الواحد قمر مائة
بغير فيحصل له مال من غير كدّ و تعب ثم يصرفها الى المحتاجين فيكتسب به
المدح والثناء الى غير ذلك ثم أن الله تعالى حرهما لأن إثمهما أكبر من
نفعهما بل يقال أن نفعهما بالنسبة الى ضرهما كالقطرة بالنسبة الى البحر وكيف
كان فهما محرمان، كتاباً وسنة وإجماعاً، وعقلاً.

أما الكتاب فمنه هذه الآية وتقريب الإستدلال على حرمتها بها هو أن الآية
دالة على أن الخمر والميسر يشتملان على الإثم لقوله تعالى: **فِيهِمَا إِثْمٌ** والإثم
حرام، فالمشتمل عليه أيضاً حرام، أما إشتمالهما على الإثم فقد ثبت بنص
الآية، وأما أن الإثم حرام.

قال الله تعالى: **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ
الْإِثْمَ وَالْبَغْيَ** (١).

قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ** (٢).
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ (٣) وإذا ثبت حرمة الإثم ثبت
حرمة ما يشتمل عليه فهو المطلوب

قال الله تعالى: **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَرْزَاقُ رِجْسٌ مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** (٤)

قال الله تعالى: **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ** (٥) وغيرها من الآيات.

٢- الشورى = ٣٧.

٤- المائدة = ٩٠.

١- الأعراف = ٣٣.

٣- النجم = ٣٢.

٥- الحج = ٣٠.

وَأَمَّا السَّنَةُ

فمن طريق العامة روي أبو داود عن النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ أن من العنب خمرأ و أن من التمر خمرأ و أن من العسل خمرأ و أن من البر خمرأ و أن من الشعير خمرأ قال الرازي بعد ذكره الحديث أن هذا صريح في أن هذه الأشياء داخله تحت الخمر فتكون داخله تحت الآية الدالة على تحريم الخمر انتهى.

و منها ما رواه أبو داود أيضاً عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ كل مسكر خمر و كل خمر حرام.

و منها ما رواه أيضاً عن عايشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن التبع فقال: كل شراب مسكر و هو حرام قال الخطاب التابع شراب تتخذ من العسل و فيه ابطال كل تاويل بذكره الخطاب من تحليل الانبذة و افساد لقول من قال ان القليل من المسكر مباح لانه سئل من نوع واحد من الانبذة فاجاب لتحريم الجنس فيدخل فيه القليل والكثير.

و منها ما رواه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ ما أسكر كثيره فقليله حرام.

و منها، ما رواه عن عائشة قال: رسول الله ﷺ كل مسكر حرام و ما أسكره منه الفرق فملي الكف منه حرام قال الخطابي الفرق يكتال يسع ستّة عشر رطلاً و فيه أبين البيان أن الحرمة شاملة لجميع أجزاء الشراب و منها، ما رواه عن أم سلمة قالت نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر و مفتّر، قال الخطابي المفتّر كل شراب يورث الفتور في الأعضاء و هذا لا شك أنه متناول لجميع أنواع الأشربة قال الرازي في تفسيره بعد نقله الأحاديث المذكورة فهذه الأحاديث كلّها دالة على أن كل مسكر خمر و هو حرام انتهى.

ثم قال: المسألة الرابعة إختلفوا في أنَّ الميسر هل هو إسم لذلك القمار المعين أو هو إسم لجميع أنواع القمار رُوي عن النبي ﷺ أنه قال أيّاكم و هاتين الكعبتين فأنّهما من ميسر العجم و عن ابن سيرين و مجاهد و عطاء، كلّ شيء فيه خطر فهو من الميسر حتّى لعب الصّبيان بالجوز و أمّا الشطرنج. فروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال النرد و الشطرنج من الميسر انتهى.

أمّا من طريق الخاصّة

نقل ابن بابويه في الفقيه أنّه سأل عن الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال، قال الرّجس من الأوثان الشطرنج و قول الزور أيضاً، والنرد أشدّ من الشطرنج فإنّ إتخاذها كفر واللّعب فيها شرك و تعليمها كبيرة موبقة و السّلام على اللّاهي فيها معصية و مقلّتها كمقلّب لحم الخنزير و ساق الحديث الى أن قال و لا يجوز اللّعب بالخواتيم و الأربعة عشر و كلّ ذلك و أشباهه قمار حتّى لعب الصّبيان بالجوز هو القمار و أيّاك والضرب بالصّوابخ فإنّ الشيطان يركض معك و الملائكة تنفر عنك و من بقى في بيته طنبور أربعين صباحاً فقد باء بغضب من الله انتهى.

و أيضاً في هذا الكتاب بأسناده عن عليّ ابن طالب عليه السلام قال: نهى رسول الله عن بيع النرد و أن يشتري الخمر و أن يسقي الخمر و قال عليه السلام لعن الله الخمر و غارسها و عاصرها و شاربها و ساقيتها و بايعها و مشتريها و أكل ثمنها و حاملها و المحمّولة اليه.

و منها ما رواه الشّيخ عن صابر قال: سألت أبا عبد الله عن الرّجل يؤجر بيته فيبيع فيه الخمر قال عليه السلام حرام أجره و منها عن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبي عبد الله الصّبيان يلعبون بالبليض و الجوز و يقامرون فقال لا تأكل منه فإنّه حرام انتهى.

والأحاديث كثيرة وسيجيئ بعضها في تفسير قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ^(١)** في سورة المائدة إن شاء الله تعالى.

وأما الإجماع على حرمة الخمر والميسر فهو ثابت لا كلام فيه كيف ولم يقل أحد من علماء الإسلام بحلّية الخمر أو الميسر بقولٍ مطلقٍ

وَأَمَّا الْعَقْلُ

فلأنَّ عقل الإنسان أشرف صفاته والخمر مزيل له مفسدٌ إيّاه وكلّ ما كان عدوَّ الأشرف فهو أخسّ فيكون شرب الخمر أخسّ الأمور وتقديره أَنَّ العقل أتمُّ سَمِيَّ عقلاً لأنّه يجري مجرى عقل النّاقة فأَنَّ الإنسان إذا دعا طبعه الى فعلٍ قبيح كان عقله مانعاً له من الإقدام عليه فإذا شرب الخمر بقى طبع الدّاعي الى فعل القبائح خالياً عن العقل المانع منها والتّقريب بعد ذلك معلوم فهذا إجمالٌ من التّفصيل في الباب وسيأتي الكلام فيه في المستقبل بوجه أبسط.

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ. إعلم أَنَّ قراءة الجمهور فيه النّصب و عليه المصاحف أي قل العفو العفو وهو الزّيادة عن مؤنة الأهل والعيال قال الواحدي العفو في اللّغة الزّيادة فقوله تعالى خذ العفو، أي الزّيادة وقال القفال العفو ما سهل و تيسر ممّا يكن فاضلاً عن الكناية يقال خذ، ما عفا لك، أي ما تيسر ولما كان السّؤال في الآية المتقدّمة في قوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ** سؤالاً عن مصرف النّفقة كما بيّناه هناك كان السّؤال في هذه الآية عن قدر الإنفاق وهو في شأن عمر بن الجموح كما تقدم فأَنّه لما نزل قوله تعالى:

قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينِ^(٢) قال كم أنفق فنزل قل العفو أي أنفق ما سهل و تيسر وفضل ولم يشقّ على القلب إخراجه واليه أشار الشّاعر بقوله:

خُذِ الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سُورَتِي حِينَ أَغْضِبُ

فالمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة هكذا قال القرطبي في تفسيره، وأما على قراءة الرفع فتكون، ذا، بمعنى الذي أي ما الذي ينفقون، قل العفو أي قل الذي ينفقون هو العفو، والمأل فيهما من حيث المعنى واحد.

كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أَي لَكِي تَتَفَكَّرُونَ فَأَنَّ التَّرَجِي من الله تعالى ليس على حقيقته وحاصل المعنى هو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَيِّنُ لَكُمْ الْآيَاتِ فَيُعَرِّفُكُمْ أَنَّ الْخُمُورَ وَ الْمَيْسِرَ مَثَلًا فِيهِمَا إِثْمٌ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي هَذَا الْحُكْمِ وَأَمْثَالِهِ عِلْمْتُمْ أَنَّ الْإِجْتِنَابَ عَنِ الْمُنْهَى عَنْهُ أَوْلَى وَأَنْفَعُ لَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ تَابِعَةٌ لِلْمَصَالِحِ وَ الْمَفَاسِدِ فِي الْوَاقِعِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمَفْسَدَةَ وَ الْمَصْلَحَةَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَالْتَفَكَّرَ الصَّحِيحُ يَرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صِلَاحُكُمْ وَ فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَ حِلَاوَةُ الْمَشَاطِينِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَفَكَّرُوا سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى
قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

◀ اللغة

تُخَالِطُوهُمْ: المخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل للماء و
الخليطان الشريكان لإختلاط أموالهما.
لَأَعْتَبْتَكُمْ: الأعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلًا وعنت العظم عنتًا
أصابه وهن أو كسر بعد جبر وأصل الباب المشقة والشدة.

◀ الإعراب

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي متعلقة بمتفكرون ويجوز أن تتعلق بيبين إصلاح
لَهُمْ خَيْرٌ مبتدأ ولهم، نعت له، وخير، خبر والتقدير خيرٌ لهم أو خيرٌ لكم، أي
إصلاحهم نافع لكم، وجاز الإبتداء بالنكرة وأن لم توصف، لأن الإسم هنا في
معنى الفعل وتقديره، أصلحوهم ويجوز أن تكون النكرة والمعرفة هنا سواء لأنه
جنس فإِخْوَانُكُمْ أي فهم أخوانكم ويجوز فيه التّصّب وتقديره، فقد خالطتم
أخوانكم الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ هنا جنسان وليس الألف واللام لتعريف المعهود
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ المفعول محذوف وتقديره ولو شاء الله إعانتكم لأعنتكم.

◀ التفسير

قيل في سبب نزول الآية أنه لما أنزل الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ^(١)

وقوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا** ^(١) إنطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله عنه فنزلت الآية فلا بد من اضممار في الكلام فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى والتصرف في أموالهم قل يا محمد الآية وقيل أن السائل عبد الله بن رواحة، وقيل كانت العرب تتشأم بملابسة أموال اليتامى فنزلت الآية.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي، متعلقة، بتفكرون أو متعلقة بيبين أي أن الله تعالى يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة.

أي في أمر الدنيا والآخرة فتعلموا أن الدنيا دار بلاء وعناء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك وأما على القول بأنه من صلة، يبين فالمعنى أن الله تعالى كما يبين لكم الآيات في الخمر والميسر ومثالهما كذلك يبين لكم الآيات في أمور الدنيا والآخرة لكي تتفكروا في ذلك، وقيل فيه تقديم وتأخير والتقدير كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وفي هذا التوجيه ضعف بين، أما أولاً فلأن ما ذكره عدول عن ظاهر الآية بغير دليل مضافاً إلى أن العدول عنه خلاف الأصل وثالثاً، مامعنى بيان الآيات في الآخرة وليست بدار التكليف، و قيل أن المعنى أن الله تعالى يبين لكم الآيات فيعرفكم أن الخمر والميسر فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة فاذا تفكرتم في أحوال الدنيا علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا، ويحتمل أن يكون المعنى أن إنفاق المال في وجوه الخير لأجل الآخرة وإمساكه لأجل الدنيا فتتفكرون في أمر الدنيا والآخرة حيث أن الدنيا فانية والآخرة باقية وتعلمون حسن ترجيح الآخرة على الدنيا.

بَيِّنَ لَكُمْ
الْآيَاتِ
فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

جزء ٢

بَيِّنَ لَكُمْ
الْآيَاتِ
فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ أَيْ قُلْ لَهُمْ بِإِمَامَةِ مُحَمَّدٍ مَدَاخِلَتُهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِصْلَاحِ لَهُمْ وَلَأَمْوَالُهُمْ خَيْرٌ مِنْ مَجَانِبَتِهِمْ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي مَجَانِبَتِهِمْ بِالْكَلْبَةِ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَتِيمَ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ مَنْ يَتَكَفَّلُهُ بَعْدَ أَبِيهِ فِي مَالِهِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَهَذَا بِخِلَافِ الْمَخَالَطَةِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِصْلَاحِ وَلِذَلِكَ:

إِنَّ تَخَالِطَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ أَيْ أَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمِنْ حَقِّ الْأَخِ أَنْ يُخَالَطَ أَخَاهُ وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الْمَخَالَطَةَ عَلَىٰ الْمُصَاهَرَةِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مُضَافًا إِلَىٰ أَنَّ الْمَخَالَطَةَ أَعَمُّ مِنْهَا فَلَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ الْحَمْلِ عَلَيْهَا وَحَيْثُ أَنَّ الْمَخَالَطَةَ قَدْ يَقْصِدُ الْإِصْلَاحُ فِي مَالِ الْيَتِيمِ وَقَدْ يَقْصِدُ الْإِفْسَادُ فِيهِ وَلَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ قَصْدِهِ إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ:

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ أَيْ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مَنْ دَاخَلَهُمْ مِنْكُمْ بِإِفْسَادٍ وَإِصْلَاحٍ فَيَجَازِيهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَدَاخِلَتِهِ وَقَصْدِهِ فَأَحْذَرُوا وَلَا تَتَحَرَّوْا غَيْرَ الْإِصْلَاحِ.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاعْتَنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَيْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ الْعَنْتِ وَالْمَشَقَّةِ وَأُحْوجَكُمْ فَلَمْ يَطْلُقْ لَكُمْ مَدَاخِلَتَهُمْ، لِفَعْلٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ، أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ، أَيْ غَالِبٌ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْنَتَ عِبَادَهُ وَيُحَرِّجَهُمْ وَلَكِنَّهُ، حَكِيمٌ، لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ.

رَوَى الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّ تَخَالِطَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، يَعْنِي الْيَتَامَىٰ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَلِي الْأَيْتَامَ فِي حَجَرِهِ فَلْيُخْرِجْ مِنْ مَالِهِ عَلَىٰ قَدَرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عَلَىٰ قَدَرِ مَا يَخْرُجُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَيَخَالَطُهُمْ وَيَأْكُلُونَ جَمِيعًا لَا يَزِرُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا أَنْمَا هِيَ النَّارُ انْتَهَى.

و في حديثٍ آخر تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه قلت أرايت أن كانوا يتامى صغاراً وكباراً أو بعضهم أعلى كسوة من بعضٍ وبعضهم أكل من بعضٍ و مالهم جميعاً فقال أما الكسوة فعلى كلِّ إنسانٍ ثمن كسوته وأما الطَّعام فأجعلوه جميعاً فإنَّ الصَّغير يوشكَّ أن يأكل مثل الكبير انتهى^(١).



وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةٌ
 مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا
 تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ
 خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ
 إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
 بِآذَنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

◀ اللغة

قال الراغب اصل النكاح العقد ثم استعير للجماع وفحال ان يكون فى الاصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايةات لإستباحهم ذكره.
 المُشْرِكَاتِ: جمع مُشْرِكَةٍ، قال الرَّاغِب، الشُّرك العظيم هو اثبات شريك لله تعالى فكل من أشرك بالله فهو مشرك.
 لَآئِمَةٌ: الأمة بفتح الهمزة الخادة أو المملوكة جَمعها، إماء و الباقي واضح.

◀ الإعراب

يُؤْمِنَنَّ في محل نصب بأن مضمرة وأن يؤمن في موضع جر بحتى ولو أَعْجَبَتْكُمْ لو هاهنا بمعنى إن، وكذا في كل موضع وقع بعد، لو، الفعل الماضي وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ بضم التاء لأنه من أنكحت والمفعول الثاني منه محذوف أي لا تنكحوا المشركين الأزواج.

◀ التفسير

إعلم أن أصناف الكفار ثلاثة:

أحدها: من ليس له كتاب ولا شبهته كتاب كعبدة الأوثان و النيران و الكواكب و غيرهم.

الثاني: من له كتاب كاليهود والنصارى.

الثالث: مَنْ له شبهة كتاب كالمجوس والحقُّ أنَّ هذين الصَّنَفين داخلان في المُشركين فتكون الآية شاملة للأصناف الثلاثة حرائر وإماء نكاحاً وإنكاحاً دائماً ومنقطعاً ويرشد اليه التعبير بصيغة الجمع المحلي باللام المفيد للعموم هكذا قال بعض المحققين ثم قال ويدل على هذا الحكم أيضاً أنَّ أهل الكتاب كفَّار بلا خلاف وقد سمَّاهم الله بذلك في قوله: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(١) ونكاح الكفَّار لا يجوز لقوله تعالى: وَ لَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ^(٢) انتهى ما أفاده في المقام اذا عرفت هذا فنقول.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ قِراءَةُ الجمهور بفتح التاء مِن نَكَح يَنْكِحُ أي لا تتزوجوا عليهن حتى يؤمن بمعنى لا تختاروهن لأنفسكم أزواجاً وإطلاق الآية يشمل الحرَّة والأمة والدائمة والمُنقطعة ومنهم من قرأ الآية بضم التاء وعليه فالمعنى لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ الرِّجَالُ المُسلمين وهو بعيد والأوَّل هو الصَّواب قال الطَّبْرسي رحمته أي لا تتزوجوا النِّساء الكافرات حَتَّى يُؤْمِنَ أي يصدَّقن بالله وبرسوله وهي عامَّة عندنا في تحريم مناهضة جميع الكفَّار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة انتهى.

وقال الشَّيخ في التَّبَيان، هذه الآية على عمومها عندنا في تحريم مناهضة الكفَّار وليست منسوخة ولا مخصوصة وقال ابن عَبَّاس في رواية شهر بن جوشب عنه، قال فَرَّقَ عُمَرُ بَيْنَ طَلْحَةَ وَحَذِيفَةَ وَبَيْنَ إِمْرَأَتَيْهِمَا اللَّتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُمَا غَيْرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ ذَهَبٍ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ هِيَ عَامَّةٌ إِلَّا أَنَّهَا نَسَخَتْ بِقَوْلِهِ: وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ^(٣) وقال قتادة وسعيد بن جبیر هي على الخصوص وأما أختير ما قلناه لأنَّه لا دليل على نسخها ولا

في القرآن تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

على خصوصها و سُبَّيْن وجه الآية في المائدة اذا إنتهينا إليها إنتهى ما ذكره ^{بُيِّنَ}.

و قال الطبري و هو من أعيان العامة في تفسيره لهذه الآية إختلف أهل التأويل في هذه الآية هل نزلت مراداً بها كلّ مشركة أم مراداً بحكمها بعض المشركات دون بعض و هل نسخ بها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا فقال بعضهم نزلت مراداً بها تحريم نكاح كلّ مشركة على كلّ مسلم من أيّ أجناس الشّرك كانت عابدة وثن أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشّرك ثمّ نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب:

قال الله تعالى: **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُجِّلَ لَهُمْ قُلْ أُجِّلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ إِلَى قَوْلِهِ: وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ^(١).**

ثمّ روى بسنده عن ابن عباس أنّه قال: **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** ثمّ استثنى نساء أهل الكتاب:

قال الله تعالى: **وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ^(٢).**

و أيضاً بأسناده عن عكرمة و الحسن البصري قالوا **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** فنسخ من ذلك نساء أهل الكتاب أحلّهن للمسلمين إنتهى.

ثمّ قال: و قال آخرون بل نزلت هذه الآية مراداً بحكمها مشركات العرب و لم ينسخ منها شيء و لم يستثنى و أنّما هي أية عامة ظاهرها خاصّ ثمّ ذكر بعد ذلك من الأخبار ما يدلّ عليه أن شئت فراجع و بعد نقل الأخبار و الأقوال إختار فيها عدم النّسخ و هذا لفظه و قد بيّنا في غير هذا الموضع من كتابنا هذا

و في كتابنا كتاب اللطيف من البيان أن كل أيتين أو خبرين كان أحدهما نافياً
حكم الآخر في فطرة العقل فغير جائز أن يقضي على أحدهما بأنه ناسخ حكم
الأخر إلا بحجة من خبر قاطع للعدر مجيئه و ذلك غير موجود بأن قوله: **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ناسخ ما كان قد وجب تحريره من النساء
بقوله: **وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** فإن لم يكن ذلك موجوداً كذلك
فقول القائل هذه ناسخة دعوى لا برهان له عليها والمدعى دعوى لا برهان
عليها متحكمم والتحكم لا يعجز عنه أحد انتهى.

أقول ما قاله حق لا مرية فيه وسيجي تفصيل الكلام في هذا الباب في سورة
المائدة إن شاء الله تعالى:

وَلَا مَئِمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ و ذلك لأن الإيمان خير من الكفر والمراد
بالأمة المؤمنة المملوكة المسلمة خير من حرة مشركة فضلاً عن أمتها **وَلَوْ
أَعْجَبَتْكُمْ بِمَالِهَا وَحَسَنِهَا وَجَمَالِهَا** وقلنا سابقاً، أن، لو، بمعنى، أن، أي وأن
أعجبكم جمالها وحسنها ومالها و ذلك لأن الإيمان هو الأصل في الإنسان و
هو في المشركة مفقود **وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا** أي ولا تنكحوا
النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا بالله
وبرسوله قال بعض المفسرين وهذا يؤيد قول من يقول أن قوله **وَلَا تُنْكِحُوا
الْمُشْرِكَاتِ** يتناول الجميع أي جميع الكافرات **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ
مُشْرِكٍ** قالوا أي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك **وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** ماله و
جمالها **أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**؛ يعني أن المشركين يدعو إلى النار أي الكفر
والمعاصي التي هي سبب دخول النار ولعلنا إشارة إلى أن الزوج يدعو زوجته
إلى دينه **وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ** أي يدعو إلى ما يوجب الدخول فيها
وَالْمَغْفِرَةِ من الإيمان والطاعة **يَاذُنْ** أي بأذن الله تعالى **وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ**

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا وَيَتَأْمَلُونَ فِي مَضَامِينِهَا وَيَتَطَّلِعُونَ عَلَى أَسْرَارِهَا بِقَدْرِ
الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَحِلَاوَةُ النَّشَاطَيْنِ وَقَدْ قَالَ ﷺ تَفَكَّرْ سَاعَةً
خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً وَتَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ فِي سُورَةِ
الْمَائِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا
النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

◀ اللغة

عَنِ الْمَحِيضِ: المَحِيض بفتح الميم وكسر الحاء الحَيْض وهو مصدر يقال
حاضت المرأة حَيْضاً، مُحَاضٌ، نَحِيضٌ فهي حائض وحائضة أيضاً قال
الشاعر:

كَحَائِضَةٍ يُزْنِي بِهَا غَيْرَ طَاهِرٍ.

قال الرَّاعِبُ الحَيْض الدَّم الخارج من الرَّحِمِ عَلَى وصفٍ مَخْصُوصٍ فِي
وَقْتٍ مَخْصُوصٍ وَالْمَحِيضُ الحَيْضُ وَ وَقْتُ الحَيْضُ وَ موضعه عَلَى أَنَّ
المصدر فِي هَذَا النِّحْوِ مِنَ الفِعْلِ يَجِيئُ عَلَى مَفْعَلٍ نَحْوِ معاش ومعاد.
أَذَى: الأذى كناية عن القدر و يطبق عَلَى القول المكروه أيضاً وَ منه قوله
تعالى: لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى^(١) أَي بما تسمعه من المَكْرُوه وَأَما
عَبَّرَ عَنِ الحَيْضُ بِهِ لِأَنَّ المرأة تَأْذِي بِهِ وَ هكَذَا غَيْرَهَا يَتَأَذَى بِرَأْسِهَا دَمُ الحَيْضِ.
فَاعْتَزِلُوا: الإِعْتَزَالُ الإِجْتِنَابُ وَ هِيَ كناية عن الوطئ.

◀ الإعراب

مِنْ حَيْثُ جار و مجرور وَ حَيْثُ مَبْنِي لا يظهر فِيهِ الإِعْرَابُ الْمُشَابِهَةُ
الْحَرْفِ وَمِنْ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ فَأَتُوهُنَّ، أَمَرَكُمُ اللَّهُ جملة فِي محلِّ الجَرِّ بِإِضافة،
حَيْثُ، إِلَيْهِ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

﴿التفسير﴾

ذكر الطبري عن السدي أنّ السائل ثابت بن أبي الدحداح، وقيل أسيد بن خضير وعباد بن بسر وهو قول الأكثرين و سبب السؤال على ما قيل هو أنّ العرب في المدينة وما والاها كانوا استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنّب مأكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الآية وقيل كانوا يتجنّبون النساء في الحيض و يأتونهنّ في أديارهنّ مدة زمن الحيض فنزلت الآية وقيل غير ذلك.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ الْمَحِيضِ يجي مصدر كالمجي والمبيت تقول حاضت المرأة مَحِيضًا، واسم زمان أي مدة المَحِيض، واسم مكان أي مكان المحيض القبل اذا عرفت هذا فنقول المَحِيض الأول أعني به قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ مصدر لا غير وعليه فالمعنى يسألونك عن الحَيْض و أحواله قُلْ هُوَ أَذَىٌّ الْأَذَى هو المكروه المُستقَدَر الَّذِي ينفر الطبع منه فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ أصل الإعتزال التَّنْجِي والمقصود منه في المقام ترك الجماع في المحيض أي في زمن الحَيْض إن حملت المحيض على المصدر أو في محلّ الحيض إن حملته على الإسم وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ أي حَتَّى ينقطع الدَّم عَنْهُنَّ هذا على قراءة التَّخْفِيفِ وَأَمَّا على قراءة التَّشْدِيدِ معناه حَتَّى يغتسلن في قول الحسن والقراء وقال مجاهد وطاووس معنى، تَطْهُرْنَ، توضأْنَ مذهبنا قاله الشيخ في التبيان فَإِذَا تَطْهُرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أي فاذا اغتسلن على مسلك القوم، وَتَوَضَّأْنَ على مختار الشيخ رحمته، فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، قيل صورته صورة الأمر ومعناه الإباحة أي فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِتَجْنِبِهِ فِي حَالِ الْحَيْضِ وَهُوَ الْفَرْجُ عَلَى قول بعض المفسرين السُّدِي وَالضُّحَاكُ مِنْ قَبْلِ الطَّهْرِ دُونَ الْحَيْضِ وَعَنْ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ مِنْ قَبْلِ النِّكَاحِ دُونَ الْفَجْرِ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَحْسَنُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ قِيلَ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ وَقِيلَ مِنَ الذَّنْبِ وَ

الأول أظهر وأليق وأنسب بظاهر الكلام هذا تمام الكلام في تفسير ألفاظ الآية وفي الآية الشريفة مسائل لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً.

الأولى: إشتهر عند الأصحاب أن الحيض لغةً هو السيل من قولهم حاض الوادي اذا سأل بقوة ويؤيده قول صاحب القاموس حيث قال حاضت المرأة حيضاً سال دَمها، ولا يبعد كونه شرعاً حقيقة في هذا المعنى لأصالة عدم النقل، وعرفه جماعة من أصحابنا بأنه الدَّم الذي له تعلقٌ بإنقضاء العدة ولقليله حدٌ، وإكتفى بعضهم بذكر الأوصاف المذكورة في بعض الأخبار مثل ما روي عن الصادق عليه السلام أن دم الحيض حارٌّ عبيطٌ أسود له دفعٌ وحرارة ودم الإستحاضة أصفر بارد.

الثانية: المشهور عندنا هو أن أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة فما نقص عن ثلاثة أو أكثر وتجاوز عن عشرة فليس بحيض وأما العامة فقد نقل القرطبي عن فقهاء المدينة أن أكثره خمسة عشر يوماً وما زاد عليها لا يكون حيضاً وأنما هو إستحاضة قال هذا مذهب مالك وأصحابه وقد روى عن مالك قولاً آخر أيضاً وهو أنه لا وقت لقليل الحيض ولا لكثيره إلا ما يوجد في النساء الشافعي أقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً، وقال أبو حنيفة أصحابه أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة.

الثالثة: وجوب الاعتزال المؤكد مادامت المرأة حائضاً وهو ممّا أجمعت عليه الأمة ثم أنهم اختلفوا في جواز الإستمتاع فيما بين السرة والركبة بعد إتفاقهم على الجواز فيما عدا ذلك فذهب المرتضى رحمته الله منّا إلى المنع وهو قول أكثر العامة وذهب أكثر أصحابنا إلى الجواز وهو الأقوى لعموم قوله تعالى إلا على أزواجهم، خرج منه موضع الدَّم بالإجماع فبقي ما عداه، وللأصل، ولأن المتبادر من الاعتزال هو اعتزال موضع الدَّم ولأن المحيض أمّا ان يراد به المعنى المصدري أو زمان المحيض أو مكانه وعلى الأول يحتاج إلى الإضمار

اذ لا معنى لكون المصدر ظرفاً بلا اعتزال فلا بد من اضمار زمانه او مكانه ندم
أول وهو خلاف الاصل وعلى الثاني يلزم وجوب اعتزال النساء مدة الحيض
بالكلية وهو خلاف الإجماع فتعين الثالث وهو المطلوب قاله في المُنْتَهَى.

الرابعة: في غاية تحريم الوطئ قيل هي إنقطاع الدّم المعلوم بالاستبراء
على النحو المذكور في الأخبار وبه قال أكثر علمائنا وبعض العامة فقال ابن
بابويه أنه يحرم الوطئ بعد الإنقطاع وقبل الغسل إلا أن يكون الرجل شبقاً و
تغسل فرجها فإنه يُباح له ذلك، وقال الطبرسي أن وطئها مشروط بأن تتوضأ أو
تغتسل ومراده بالوضوء غسل الفرج هكذا قيل، وذهب أكثر العامة الى القول
بالتحريم، والأظهر ما عليه أكثر الأصحاب لما تتضمنه الآية الشريفة من
تخصيص الاعتزال بزمان المَحِيض أو مكانه ويُرشد الى ذلك الوصف بكونه
أذى، ولما يقتضيه قراءة التّخفيف في يطهّرن، وذلك كله قرينة على كون
المراد من قوله، **فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**، بمعنى طهّرن فيكون من قبيل تطعمت الطعام
بمعنى طعمته ويحتمل أن يكون المراد به غسل الفرج وهو المعنى اللغوي اذ
لَمْ تَثَبْتَ الحقيقة الشرعية.

الخامسة: أن المراد بقوله: **مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ يَتَجَنَّبَهُ** وهو محلّ
الحيض أعني القبل، وقيل من قبل الطهّر لا من قبل الحيض، وقيل من النكاح
دون الفجور وغير ذلك من الأقوال.

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ
وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

◀ اللغة

نِسَاؤُكُمْ: النساء والنسوان والنسوة جمع المرأة من غير لفظها كالقوم في جمع المراء.
حَرْثٌ لَّكُمْ: الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزرع وسمي المحروث حرثاً.

◀ الإعراب

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فالنساء مبتدأ والحرث خبره أَنَّى شِئْتُمْ أي كيف شئتم والمفعول محذوف أي شئتم الإتيان قَدِّمُوا قيل المفعول محذوف وتقديره قَدِّمُوا نِيَّةَ الولد أو نِيَّةَ الأعفان.

◀ التفسير

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ أنما أفرد الخبر والمبتدأ جمع لأنَّ الحَرْث مصدر وصف به هو في معنى المفعول أي محروثات لكم قال في الكشف أي مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من التطف التي منها النسل بالذور، وقوله: فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث وقوله: هُوَ أَذَى فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ،

وقوله: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ وقوله: فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله تعالى آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم انتهى.

قال بعض المفسرين روي أن اليهود قالوا من جامع إمرأته في قبلها من دبرها كان ولدها أحول مخبلاً وزعموا أن ذلك في التوراة فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال كذبت اليهود ونزلت هذه الآية وعن ابن عباس أن عمر جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هلكت وحكى وقوع ذلك منه فنزلت الآية كانت الأنصار تنكر.

أن يأتي الرجل المرأة من دبرها في قبلها وكانوا أخذوا ذلك من اليهود كانت قريش تفعل ذلك فأنكرت الأنصار ذلك عليهم فنزلت الآية أقول شبه فرج المرأة بالأرض والبطقة بالبذر والولد بالنبات الخارج والحرث مصدر ولهذا وحد الحرث والمعنى نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد فحذف المضاف قال الرازي في تفسيره المسألة الثالثة ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد من الآية أن الرجل مخير بين أن يأتيها من قبلها وبين أن يأتيها من دبرها في قبلها فقوله: أَنْتِ شِئْتُمْ محمول على ذلك ونقل نافع عن ابن عمر أنه كان يقول المراد من الآية تجوز إتيان النساء في أدبارهن وسائر الناس كذبوا نافعاً في هذه الرواية وهذا قول مالك واختيار السيد المرتضى من الشيعة وهو رواه عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انتهى.

أنا أقول ، أما قوله تعالى: نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فلا كلام لأحد فيه وذلك لوضوح المعنى فيه وأنه على سبيل المجاز، وأما قوله تعالى: فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ فالأقوال فيه كثيرة مختلفة فقال الطبرسي رحمه الله معناه من أين شئتم عن قتادة وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا

خطأ عند أهل اللغة لأنّ، أتى، لا يكون إلّا بمعنى، أين كما قال أتى لك هذا و قيل من أي وجه و ساق الكلام الى أن قال و إستدل مالك بقوله: **أَتَى شِئْتُمْ** على جواز إتيان المرأة في دبرها و رواه عن نافع عن ابن عمر و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر قال كثير من أصحابنا و خالف في ذلك جميع الفقهاء و قالوا أنّ الحرث لا يكون إلّا بحيث النسل فيجب أن يكون الواطئي حيث يكون النسل، فأجيبوا عن ذلك بأنّ النساء و أن كنّ لنا حرثاً فقد أبيح لنا و اطهنّ بلا خلاف في غير موضع الحرث كالواطئي فيما دون الفرج و شبهه انتهى ما ذكره **هَيْدَرُ** و قال الفيض **هَيْدَرُ** في الصافي قيل من أي جهة شئتم و العياشي و القمي عن الصادق أي متى شئتم في الفرج وفي رواية أخرى عنه في أي ساعة شئتم و في أخرى من قدامها و من خلفها في القبل و في التهذيب عن الرضا **عليه السلام** أنّ اليهود كانت تقول اذا أتى الرجل المرأة من خلفها خرج ولده اقول فانزل الله تعالى:

نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ من خلف أو قدام خلافاً لقول اليهود و لم يعن في ادبارهنّ و عن الصادق **عليه السلام** من الرجل يأتي المرأة دبرها قال لا بأس اذا رضيت قيل فان قول الله عزّ وجلّ: **فَاتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** قال **عليه السلام** هذا في طلب الولد من حيث أمركم الله تعالى يقول **نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** انتهى.

ثم قال **هَيْدَرُ** أقول لا منافاة بين الرويتين لأنّ المراد بالأولى نفى دلالة هذا الآية على حلّ الأدبار والمراد بالثانية نفى دلالة قوله تعالى: **مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** على حرمتها و أمّا تلاوته **عليه السلام** هذه الآية عقيب ذلك فإستشهاد منه بها على أنّ الله سبحانه أنما أراد طلب الولد إذ سماهنّ الحرث ثم قال و يجوز أن يكون قوله تعالى: **إِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** إشارة الى الأمر بالمباشرة و طلب الولد في قوله سبحانه: **فَالْأَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ^(١) وفي الرواية الثانية إشارة

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

إلى أن المتوقف حله على التطهر هو موضع الحرث خاصة دون سائر المواضع وفي الكافي سأل عن الصادق عن إتيان النساء في إيجازهن فقال **عَلَيْهَا** هي لعبتك لا تؤذوها وفي رواية والمرأة لعبة لا تؤذي وهي حرث كما قال الله، و في أخرى لا بأس به وما أحب أن تفعله انتهى كلام الفيض **رَضِيَ**.

وأقول أنما ذكرنا كلامهما بتمامه لتعلم صدق ما قلناه في صدر البحث من وجود الاختلاف في كلماتهم وهكذا تفاسير العامة فأن المفسرين منهم اختلفوا في المراد بقوله: **فَأُتُوا حَرْثُكُمْ أَنْتِ شَيْئٌ** وأنما أعرضنا عن نقل كلماتهم مراعاة للإختصار فمن شاء الإطلاع على أقوالهم فعليه بالتفاسير ولا سيما المطولات منها والذي حصل لنا في المقام بعد الفحص في كلماتهم حول الآية هو أن منشأ الخلاف كلمة، أنتي، والإحتمالات فيها لا تخلو عن ثلاثة. **أحدها:** أن تكون بمعنى الحال وأن شئت قلت كيف.

ثانيها: أن تكون بمعنى المكان.

ثالثها: بمعنى الزمان وهذا هو المراد بقول القائل، أنتي تستعمل بمعنى، أين، ومتى وكيف، فأن الأين للمكان ومتى للزمان وكيف للحال فعلى قول من قال أنها في الآية بمعنى، أين، يصير معنى الآية **فَأُتُوا حَرْثُكُمْ أَنْتِ شَيْئٌ** أين شئتم أي جامعوهن في كل مكان أردتم ولو كان في الزاحلة، وعلى قول من قال أنها في الآية بمعنى، متى، أي متى شئتم فالمعنى جامعوا حرثكم في أي زمان شئتم لئلا كان أو نهراً خرج عنه موارد المنع وبقي الآخر داخلاً في الإطلاق، وعلى قول من قال أنها بمعنى كيف فالمعنى جامعوا حرثكم كيف شئتم وعلى أي حال أردتم ومن المعلوم أن الواطئي في الدبر داخل في هذا القسم لا في القسمين الأولين إذ الوطئي في الدبر كيفية خاصة من أقسام الوطئي ولا ربط له بالزمان والمكان وأن كان فيهما لا محالة إذا عرفت هذا فنقول:

المشهور بين أهل اللغة هو أن، أنتي، لا تستعمل بمعنى، متى، إذ لا معنى

لقوله، أُنْئِيَ لَكَ هَذَا، بل الأمر دائر بين، أَيْنَ لَكَ هَذَا، أَوْ كَيْفَ لَكَ هَذَا، أَيَّ مَكَانٍ جَاءَ، أَوْ كَيْفَ جَاءَ، قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ، أُنْئِيَ، لِلْبَحْثِ عَنِ الْحَالِ وَالْمَكَانِ وَلِذَلِكَ قِيلَ هُوَ بِمَعْنَى، أَيْنَ وَكَيْفَ، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَاهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، أُنْئِيَ لَكَ هَذَا أَيَّ مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ، انْتَهَى.

فَلَوْ صَحَّ بَحْثُهُ عَنِ الزَّمَانِ لَذَكَرَهُ فَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ بِمَعْنَى، مَتَى، سَاقِطٌ مِنْ أَصْلِهِ خَارِجٌ عَنِ الْبَحْثِ وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى الْآيَةِ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَيْنَ شِئْتُمْ وَكَيْفَ شِئْتُمْ أَيَّ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَعَلَى آيَةٍ كَيْفِيَّةٍ فِي الْقَبْلِ أَوْ فِي الدُّبْرِ، بَلِ الْأَقْوَى فِي الظَّنِّ هُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ بَيَانُ جَوَازِ الْكَيْفِيَّةِ فِي الْجَمَاعِ كَيْفَ يُتَّفَقُ دُونَ إِفَادَةِ الْمَكَانِ إِذْ هُوَ مَعْلُومٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ فَأَنَّ قَوْلَهُ نَسَاؤُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ، يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْإِسْتِمْتَاعِ وَالْجَمَاعِ فِي أَيِّ مَكَانٍ إِذْ لَا خُصُوصِيَّةَ فِي الْمَكَانِ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى الذِّكْرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرْءَ وَالْمَرْأَةَ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ جِسْمٌ لَا مُحَالَةَ وَكُلُّ جِسْمٍ يَحْتَاجُ إِلَى مَكَانٍ فَلَا بَدَّ لَهُمَا مِنْ حَيَازٍ فِي جَمِيعِ شَأْنَيْهِمَا وَأَطَوَارُهُمَا مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ وَبِالْجُمْلَةِ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ وَمِنْهَا الْجَمَاعُ فَهُوَ لَا مُحَالَةَ يَكُونُ فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ فَلَوْ حَمَلْنَا الْآيَةَ عَلَى إِفَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ مِنَ الْبَدِيعَاتِ وَالْمُسْتَقْلَلَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا يَشْكُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَوَامِّ فَضْلاً عَنِ الْعُلَمَاءِ، لَزِمَ مِنْهُ تَوْضِيحُ الْوَاضِحِ وَهُوَ كَمَا تَرَى فَلَا اقْوَى فِي النَّظَرِ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى الْحَالِ وَالْكَيْفِ الَّذِي كَانَ خَفِياً عَلَى النَّاسِ قَبْلَ الْآيَةِ مِنْ حَيْثُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ لَنَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْوُطْئِ الَّذِي لَيْسَ مَوْضِعُ الْحَرْثِ أَمْ لَا يَجُوزُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِكَوْنِ الْوُطْئِ فِي الْقَبْلِ جَائِزاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى نِسَاؤُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْمَجَامَعَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَرْثِ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ، وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْحَرْثِ وَهُوَ الدُّبْرُ فَأَفَادَتِ الْآيَةُ جَوَازَهُ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ هَذَا مَا فَهَمْنَا مِنَ الْآيَةِ وَهُوَ يُؤَيِّدُهُ أَنَّ الْمَشْهُورَ بَيْنَ الْأَصْحَابِ الْجَوَازَ كَمَا أَنَّ الْمَشْهُورَ بَيْنَ الْعَامَّةِ عَدَمُ

الجواز إلا مالك، فأنه قال ما أدركتُ أحداً إقتدى به في ديني يشك في أن وطئ المرأة في دبرها حلال ثم قرأ الآية المذكورة، لنا الأصل، وعدم المانع من جهة العقل و الآية المذكورة فإن ظاهرها ذلك لأن استعمال اني لو لم نقل بأنه منحصر في المكان فلاشك أن استعماله اكثر في المكان واولى فحمل الآية عليه اولى من حملها على الاقل النادر الذي هو كالمعدوم واما الاخبار الواردة في الجواز.

فمنهما ما رواه الشيخ عن عبدالله ابن ابي يعفور قال: سئلت ابي عبدالله عليه السلام عن الرجل ياتي المرأة في دبرها قال عليه السلام: لا بأس اذا رضيت فاين قول الله فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ قال عليه السلام: هذا في طلب ولد من حيث امركم الله ان الله تعالى يقول: نِسَاءُكُمْ حَرِّثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي سِئْتُمُ انتهى.

وروي عن زرارة عن أبي جعفر في قول الله عَزَّ وَجَلَّ نِسَاءُكُمْ حَرِّثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي سِئْتُمُ قال عليه السلام حيث شاء انتهى.

و عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: كتبت الى الرضا عليه السلام في مسألة فورد منه الجواب سألت عمن أتى جاريته في دبرها والمرأة لعبة لا تؤذى وهي حرث كما قال الله والدلالة ظاهرة... ويمكن الاستدلال على المدعى بقوله تعالى في قصّة لوط: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ^(١) وجه الدلالة أنه تعالى علم رغبتهم، أي قوم لوط، في الدبر فيكون الإذن مصروفاً اليه ويدل عليه ما رواه الشيخ في الصحيح عن موسى بن عبد الملك بأسناده عن رجل قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها فقال عليه السلام: أحلّتها آية من كتاب الله قول لوط هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ، وقد علم أنهم لا

يريدون الفرج وفي بعض النسخ، القبل، بدل الفرج، ومما يستدل به على المدعى عموم قوله تعالى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ^(١) والتقريب ما مر.

وأيضاً قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ خَافِضُونَ، إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ^(٢) ووجه الدلالة ظاهر ومن الأخبار أيضاً ما رواه في التهذيب وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ.

والكافي عن علي بن الحكم قال: سمعت صفوان بن يحيى يقول للرضا عليه السلام: أَنَّ رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة هابك واستحى منك أن يسألك قال عليه السلام: ما هي قلت الرجل يأتي امرأته في دبرها قال عليه السلام: ذلك له قلت فأنت تفعل قال عليه السلام: إِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ. انتهى.

وعن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأتي المرأة في دبرها قال عليه السلام: لَا بَأْسَ بِهِ.

والأخبار الدالة على الجواز كثيرة وفيما ذكرناه كفاية نعم فيه كراهة شديدة وهي لا تنافي الجواز ولأجل الكراهة قال الرضا عليه السلام: إِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ فَأَنَّ الْمُعْصُومَ لَا يَفْعَلُ مَكْرُوهاً أَبَداً ثُمَّ أَنَّ الأخبار نقلناها عن كتاب آيات الأحكام للجزائري رحمه الله^(٣).

وَقَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.
معناه قَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَالْقَرَبَاتِ أَي لَا تَكُونُوا فِي قَيْدِ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ بَلْ كُونُوا فِي قَيْدِ تَقْدِيمِ الطَّاعَةِ، ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَكَدَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ وَمَوَاضِعِ الشُّبْهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ

قوله
في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

التَّسْمِيَةَ عِنْدَ الْجَمَاعِ أَوْ الدَّعَاءَ عِنْدَهُ، أَوْ طَلَبَ الْوَلَدِ ثُمَّ أَرَدَفَهُ بِقَوْلِهِ: **وَأَعْلَمُوا**
أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَعِدٌّ وَوَعِيدٌ وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّأْكِيدِ لِسَابِقِهِ، وَبَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ،
 الَّذِينَ لَا يَخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا يَرْتَكِبُونَ مَنَاهِيهِ وَمَعَاصِيهِ فَأَنَّ الْعَمَلَ شَرْطٌ فِي
 تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا وَ قَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِيهِ مَرَاراً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ
تَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ (٢٢٤)

◀ اللغة

عُرْضَةً: العُرْضَةُ بضم العين ما يُحْجَل مُعَرَّضاً للشيء، وبغير عُرْضَةٍ للسفر أي يجعل معرّضاً له.

لَا يُؤْمِنُكُمْ: الأيمان بفتح الألف جمع اليمين بمعنى الحلف لأنّ اليمين في الأصل الجارحة ولذلك قيل أنّه في الحلف مستعار من اليد إعتباراً بما يفعله المعاهد والمخالف وغيره.

تَبَرُّوا: مأخوذ من البرّ وهو التوسع في فعل الخير.
وَتُصْلِحُوا: الإصلاح ضدّ الإفساد.

◀ الإعراب

أَنْ تَبَرُّوا في موضع نصب مفعول من أجله أي مخافة أن تَبَرُّوا وعند الكوفيين، لئلا تَبَرُّوا وقال أبو إسحاق، هو في موضع رفع بالإبتداء، والخبر محذوف أي أن تَبَرُّوا وتَتَّقُوا خير لكم وقيل التقدير، في أن تَبَرُّوا، فلمّا حذف حرف الجرّ، نصب وقيل هو في موضع جرّ بالحرف المحذوف انتهى.

◀ التفسير

قيل أنّها نزلت في عبد الله في راحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه و لا يكلمه و لا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول أنّي حلفت بهذا فلا يحلّ لي أن أفعله فنزلت الآية و قال القرطبي والبيضاوي أنّها نزلت بسبب أبي بكر إذ

حلف أن لا ينفق على مسطح حين تكلم في عائشة كما في حديث الأفك و كيف كان السبب.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا نَهْيٌ صريح عن جعل الله عرضة للإيمان وفي معناه ثلاثة أقوال أو أكثر.

أحدها: أن العرضة علة كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى وبه قال الحسن وطاووس وقتادة.

الثاني: أن العرضة حجة كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع، أن تبروا وتتقوا، بأن تكونوا قد سلف عنكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها فأفعلوا الذي هو خير وهو قوله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: بمعنى ولا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وإتقوا المآثم فيها وقال بعض المحققين، العرضة، فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تقرضه دون الشيء من عرض العود على الأثناء فيعترض دونه ويصيرها حاجزاً ومانعاً منه يقال فلان عرضة دون الخير، والمعرض أيضاً معرض للامر كما قيل: **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ** و معنى الآية على الأول أن الرجل كان على يحلف على بعض الخيرات من الرحم وغيرها ثم يقول اخاف الله ان احسنت في يميني فيشرك البر فقيل لهم **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ** أي حاجز لما خلفتم عليه ومعناه على الأخرى ولا تجعلوا الله لايمانكم فتبذلوه بكثرة الحلف به ولذلك، ذم من أنزل فيه: **وَلَا تَطْغِ كُلَّ خَلَفٍ مَهِينٍ** ^(١) **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** بما تقولون عليهم بما تفعلون، أو تقصدون في ضماثركم والذي يستفاد من الآية هو النهي عن الحلف بالله إلا في موارد معينة في الشريعة المقدسة.

و هو كذلك عن أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ الآية قال عليه السلام: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل على يمين أن لا أفعل، وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ قال عليه السلام هو قول الرجل في كل حالة لا والله، بلى والله انتهى.

و عن الكافي بسنده عن أبي أيوب الخزار قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإن الله عز وجل يقول: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ وعن تفسير العياشي بأسناده عن أبي جعفر و أبي عبد الله في قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ قال هو الرجل يصلح بين الرجلين فيحمل ما بينهما من الإثم انتهى.

و عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام و محمد ابن مسلم عن أبي جعفر في قول الله: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ قال عليه السلام يعني الرجل يحلف إلا يكلم أخاه وما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه انتهى والأحاديث بهذه المضامين كثيرة.

لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤْخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ (٢٢٥)

◀ اللّٰغَةُ

اللّٰغُو: مصدر لغى يُلغُو إذا أتى بما لا يحتاج اليه في الكلام أو بما لا خير فيه أو بما يلغي إثمه.

◀ الإعراب

فِي أَيْمَانِكُمْ يجوز أن تتعلّق في، بالمصدر كما تقول لغا في يمينه ويجوز أن يكون حالاً منه وتقديره باللغو كائناً في أيمانكم بِمَا كَسَبَتْ يجوز أن تكون ما، مصدرية فلا تحتاج إلى ضمير وأن تكون بمعنى، الذي، أو نكرة موصوفة فيكون العائد محذوفاً.

◀ التفسير

لَمَّا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ السَّابِقَةِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عُرْضَةً لِلْإِيمَانِ عَلَى مَا مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ قَالَ فِي هَذِهِ آيَةِ.

لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وإختلفوا في يمين اللغو في هذه الآية فقال ابن عباس والشَّعْبِيُّ هو ما يجري على عادة اللسان من لا والله و بلى و الله من غير عقدٍ على يمين يقتطع بها مال، يظلم بها أحد وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله وقال الحسن ومجاهد هي يمين الظان وهو يرى أنه حلف فلا إثم عليه ولا كفارة ونقل عن بعض آخر أنها يمين الغضب لا يؤاخذ بالحنث فيها وبه قال سعيد بن جبير إلا أنه أوجب فيها الكفارة وقال

مسروق، كلّ يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو ولا يجب فيها الكفّارة وقيل أنّ لغو اليمين ما يجب فيه الكفّارة ونقل عن إبراهيم أنّها يمين النّاس اذا حنث و قال زيد بن أسلم هو قول الرّجل أعمى الله بصري أو أهلك الله مالي، فيدعوا على نفسه.

أقول أصل اللّغو هو الكلام الذي لا فائدة فيه وكلّ يمينٍ جرت مجرى ما لا فائدة فيه صارت بمنزلة ما لم يقع فهي لغو ولا شيء فيها هكذا قال الرّماني ثمّ أنّ الأيمان على ضربين: أحدهما لا كفّارة فيها، والثّاني يجب فيها الكفّارة.

فالأوّل هو اليمين على الماضي اذا كان كاذباً فيه مثل أن يحلف أنّه ما فعل وكان فعل، أو يحلف أنّه فعل وما كان فعل فهاتان لا كفّارة فيهما عندنا وكذلك اذا حلف على مالٍ ليقطعه كاذباً فلا كفّارة عليه ويلزمه الخروج ممّا حلف عليه و التّوبة وهي اليمين الغموس وفي هذه أيضاً خلاف ومنها أن يحلف على أمرٍ فعل أو ترك وكان خلاف ما حلف عليه أولى من المقام عليه فليحالف فلا كفّارة عليه عندنا وفيه خلاف عند أكثر الفقهاء وما فيه كفّارة فهو أن يحلف على أن يفعل أو يترك وكان الوفاء به أمّا واجباً أو ندباً أو كان فعله وتركه سواء فمتى حالف كان عليه الكفّارة هكذا قرّره الشّيخ رحمته الله في التّبيان ثمّ نقل عن الحسن أنّه قال، الأيمان على ثلاثة أقسام منها أن يحلف على أمرٍ وهو يرى أنّه على ما حلف فهذا هو اللّغو لا عقوبة فيه ولا كفّارة.

ومنها أن يحلف على أمرٍ وهو يعلم أنّه كاذب فهذا آثم فاجر عليه التّوبة ولا كفّارة عليه ومنها أن يحلف لا يفعل كذا فيفعل، أو يحلف ليفعلنّ ولا يفعل ففي ذلك الكفّارة وساق الكلام الى أن قال:.

قال اليمين على أربعة أوجه في قول أكثر الفقهاء، اثنتان لا كفّارة فيها و اثنتان

فيها الكفارة، فالأول قول الرجل والله ما فعلت وقد فعل وقوله والله لقد فعلت، وما فعل فهاتان لا كفارة فيهما لأنه لا حنث فيهما والثاني قول الحالف والله لا فعلت ثم يفعل وقوله والله لأفعلن ثم لا يفعل فهاتان فيهما الكفارة انتهى ما ذكره الشيخ في التبيان قال في آيات الأحكام.

روي في الفقيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، قال عليه السلام هو لا والله وبلى والله.

وعنه عليه السلام في حديث آخر هو لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء انتهى.

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ أَي ما قصدته قلوبكم وعزمت عليه على أنه يشترط في العقاد اليمين نيته فلا يستعمل يمين الجنون ولا السكران ولا الساهي ولا لناتم والغضبان ولا المجهور ولا المكروه ولا من سبق لسانه جرياً على عادة اللسان أو في اللجاج أو العجلة ونحو ذلك مما تجرد عن قصد.

و يدل عليه ما رواه الشيخ بأسناده عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا الحسن عن الرجل يحلف وضميره على غير ما حلف قال عليه السلام اليمين على الضمير، وعن مسعدة بن صدقة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسأل عما لا يجوز من النية على الإضمار في اليمين فقال عليه السلام يجوز في موضع ولا يجوز في آخر فأما ما يجوز فإذا كان مظلوماً فما حلف به ونوى اليمين فعلى نيته وأما إذا كان ظالماً فاليمين على نية المظلوم.

وعن أبي الصباح قال والله لقد قال: لي جعفر بن محمد عليه السلام أن الله

عَلَّمَ نَبِيَّهِ ﷺ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَلَّمَنَا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا صَنَعْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَوْ حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ يَمِينٍ فِي تَقِيَّةٍ فَأَنْتُمْ مِنْهُ فِي سَعَةِ انْتَهَى.

و عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لا يمين في غضب
 ولا في قطيعة رحمٍ ولا في جبرٍ ولا في إكراهٍ قال قلتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ
 فما فرق بين الجبر والإكراه قال عليه السلام الجبر من السلطان ويكون
 الإكراه من الزوجة والأم والأب وليس ذلك بشيءٍ انتهى.

أقول وبذلك أفتى الأصحاب وخالف في ذلك بعض العامة فحكم بإعقاد
 اليمين بالقسم الصريح وأن لم يقصد قال وأما يتوقف على القصد ما ليس
 بصريح كالكناية بالحق والقدرة ونحو ذلك انتهى وضعفه ظاهر والله غَفُورٌ
 حَلِيمٌ أي أنه تعالى غفور لأيمانكم اللغو تنبيهاً على أن رفع المؤاخذه مجرد
 إحسانٍ منه تعالى وإمتنان حيث كان ذلك ممّا قد يعسر التحرّز عنه غالباً
 فيحلم عن مؤاخذتكم بذلك ويجوز أن يكون المعنى أن يغفر لكم ما كسبته
 قلوبكم بالكفارة أو بالتوبة أو مطلقاً بإحسانه الجميل ولطفه الجزيل وسيأتي
 الكلام في الحلف وأقسامه وأحكامه في سورة المائدة.



لِّلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

◀ اللّغة

يُؤْتُونَ: الإيلاء الحلف يقال الى الرجل من امرأته، يؤلي إيلاءً وألية
والؤلة وهو الحلف فهو مأخوذ من الألية قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزارٍ وأحسنا ألية مُقسmina
وقال الآخر:

أنّي أليت على حلفية ولم أقفلها سحر السّاحر
وجمع ألية، ألياء وأليات كعشية وعشايا، وعشايات.

تَرِيصٌ: مصدر باب التّفعل وفعله تَرِيص قال تعالى: فَتَرِيصُوا بِهِ حَتَّى
حِينٍ^(١) والتّريص بالشّي إنتظارك به خيراً أو شراً يحلّ.

فَأَوْ: أي رجعوا ومنه قوله تعالى حَتَّى تَفِي إلى أمر الله، أي ترجع من
الخطأ إلى الصّواب.

وَإِنْ عَزَمُوا: العزم القصد.

◀ الإعراب

لِّلَّذِينَ يُؤْتُونَ اللّام متعلّقة بمحذوف وهو الإستقرار وهو خبر، قدّم على
المبتدأ وهو قوله: تَرِيصٌ وعلى قول الأخفش هو فعل وفاعل وأما من، فقبل
هو يتعلّق بيؤلون، وإضافة التّريص إلى الأشهر إضافة المصدر إلى المفعول فيه

في المعنى وهو مفعول به على السعة، والألف في فاؤوا، منقلبة عن ياء، لقولك فاء يفي، فيئة وإن عزموا الطلاق أي على الطلاق فلما حذف الحرف نصب، والطلاق إسمٌ للمصدر وهو التطلق.

التفسير

المراد بالإيلاء في الآية الشريفة إعتزال النساء وترك جماعهن على وجه الإضرار بهن بسبب الحلف لا مطلقاً ولذلك قالوا بالإيلاء هو الحلف على ترك وطئ الزوجة وكان التعدية بمن لتضمن معنى الإنتفاع ثم أن اليمين التي يكون الرجل بها مولياً هي اليمين بالله عز وجل أو بشيء من صفاته التي لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الإمتناع من الجماع على جهة الغضب والضرار وقال سعيد بن المسيب على ما نقل عنه هو في الجماع وغيره من الضرار نحو الحلف ألا يكلمها وهو قول ضعيف والى ما ذكرناه في معنى الإيلاء أشار الله تعالى بقوله:

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ قَالَ فِي الْجَوَاهِر بعد ما بين معنى الإيلاء بحسب اللغة على ما مر ذكره ما هذا لفظه:

و شرعاً حلف الزوج الدائم على ترك وطئ زوجته المدخول بها قبلاً أو مطلقاً مقيداً بالزيادة على الأربعة أشهر أو مطلقاً للإضرار بها والأصل فيه قوله تعالى: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ ﷻ وقد كان طلاقاً في الجاهلية كالظهار فغير الشارع حكمه وجعل له أحكاماً خاصة أن جمع شرائطه والآفهو يمين يعتبر فيه ما يعتبر في اليمين وحينئذ فكل موضع لا ينعقد إيلاء مع إجتماع شرائط اليمين يكون يميناً كما ذكره غير واحد بل أرسلوه المسلمات انتهى.

بَابُ التَّرَبُّصِ فِي نِسَاءِ الْيُؤْلُونَ

جزء ٢

الجدد الثاني

أقول تحقيق الكلام في الإيلاء يستدعي التكلم فيه إجمالاً في عدة مسائل:
الأولى: في صيغة الإيلاء، لا ينعد الإيلاء إلا بأسماء الله سبحانه مع التلّفظ بها بالجملة القسمية فلو قال المولي لأتركك وطنك لم يقع للأصل ويقع بكلّ لسانٍ لأنه ليس زائداً على اليمين الذي يقع بكلّ لسانٍ.

الثانية: القصد فلا يقع من السّاهي والنّائم والسّكران ونحوهما ثمّ أنّ اللفظ لا بدّ أن يكون صريحاً مثل أن يقول والله لا جامعتك ولا وطنتك ناوياً به الإيلاء فلا يقع بالكنايات مثل أن يقول قيل أنّ يقول لا جمع رأسى ورأسك بيت او مخدّة وامثال ذلك من الكنايات وان لا يكون مطلقاً على الشرط على ان ظهر الثالثه يشترط في المولى البلوغ والعقل والاختيار والقصد فلا اعتبار يقول الصبي والجنون والمجبور وغير القائل.

الرابعة: يشترط في الزّوجة المولي منها أن تكون منكوحه بالعقد الدائم على المشهور والأقوى فلا يقع الإيلاء بالمملوكه والمستمتع بها وأن تكون مدخولاً بها فلا يقع الإيلاء بمجرد العقد قبل الدّخول وأن يكون قصد المولي الإضرار بها فلو حلف لصالح اللّبن أو لعذرٍ في مرضٍ لم يكن له حكم الإيلاء.
الخامسة: لا ينعد الإيلاء حتّى يكون التّحريم بالحلف مطلقاً أو مقيّداً بالدوام أو مقروناً بمدة تزيد على الأربعة أشهر ولو لحظة فلا ينعد لأربعة أشهر فما دون ولا معلقاً بفعل ينقضي قبل هذه المدة.

السادسة: مدة التّربص أربعة أشهر لقوله تعالى: **تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** فالمدة حقّ للزوج وليس للزّوجة المطالبة له فيها بالفئة قال الباقر والصادق **عليهما السلام** إذا آل الرّجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول ولا حقّ في الأربعة أشهر ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة أشهر فإن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسخها فما سكنت ورضيت وهو في حلّ وسعة وإن رفعت أمرها قيل له إمّا أن تقبلي فتمسخها وإمّا أن تطلقى وعزم الطّلاق أن يخلي عنها فإذا حازت و

طَهَّرَتْ طَلَقَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِرَجْعَتِهَا مَا لَمْ تَمْضِ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ فَهَذَا إِيلَاءٌ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَ سَنَّةَ رَسُولِهِ إِنَّتَهَى فَإِذَا انْقَضَتْ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٌ لَمْ تَطْلُقْ بِانْقِضَاءِ الْمَدَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلْحَاكِمِ طَلَاقُهَا لِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِ مَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ فَإِذَا رَافَعْتَهُ مَخِيرَ بَيْنِ الطَّلَاقِ وَالْفَيْئَةِ فَإِنْ طَلَّقَ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ حَقِّهَا وَيَقَعُ الطَّلَاقُ رَجْعَةً عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَنَا لِهَذَا هُوَ الْإِيلَاءُ عَلَى مَذْهَبِنَا.

أَمَّا الْعَامَّةُ

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَالْإِيلَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يَقُولَ وَاللَّهِ لَا أَقْرَبُكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا عَلَى التَّقْيِيدِ بِالْأَشْهُرِ أَوْ لَا أَقْرَبُكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا يَكُونُ فِيمَا دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا مَا يَحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَحُكْمُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا فَاءَ إِلَيْهَا فِي الْمَدَّةِ بِالْوُطِيِّ إِنْ أَمَكْنَهُ أَوْ بِالْقَوْلِ إِنْ عَجَزَ صَحَّ الْفَيْئُ وَحَنَثَ الْقَادِرُ وَلَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ وَلَا كَفَّارَةَ عَنِ الْعَاجِزِ وَأَنْ مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ بَانَتْ بِتَطْلِيقِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَعَدَ الشَّافِعِيُّ لَا يَصَحُّ الْإِيلَاءُ إِلَّا فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ يُوقِفُ الْمُؤَلِّيَ فَأَمَّا أَنْ يَفِيَّ وَأَمَّا أَنْ يَطْلُقَ وَإِنْ أَبَى طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قَاءَ أَوْ أَيُّ فَاؤًا فِي الْأَشْهُرِ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنْ فَاؤُوا فَيَهِنَ إِنَّتَهَى مَا ذَكَرَهُ وَبِهِ قَالَ غَيْرُهُ مِنْ مَفْسَرِي الْعَامَّةِ وَعَلَى مَا ذَكَرُوهُ فِي الْإِيلَاءِ وَحُكْمِهِ فَمَوَارِدُ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَعَةٌ.

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِوُقُوعِ الْإِيلَاءِ فِي حَلْفِ الرَّجُلِ عَلَى تَرْكِ مَجَامِعَتِهَا فِي الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرِ فَصَاعِدًا، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ بَلْ نَقُولُ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ الْحَلْفُ أَزِيدَ عَلَى الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَلَوْ بِلَحْظَةٍ وَأَمَّا فِيهَا فَلَا.

ثَانِيهَا: أَنَّ مَضْتَ الْأَرْبَعَةِ فَقَدْ بَانَتِ الْمَرْأَةُ بِتَطْلِيقِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ لِأَنَّ الطَّلَاقَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلْفِظِ بِهِ.

ثَالِثُهَا: قَوْلُهُ، فَإِنْ قَاءَ أَوْ أَيُّ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بَعْدَهَا وَقِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنْ فَاؤُوا فَيَهِنَ فَيَرْجِعُ إِلَى قَارِئِهَا وَلَيْسَتْ مِمَّا يَعْتَمَدُ عَلَيْهِ خُصُوصًا إِذَا

كانت مخالفة سائر القراءات ولنرجع الى تفسير الألفاظ فقوله تعالى: **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَخَلَفُوا عَلَىٰ تَرَكَ مَجَامِعَتِهِمْ مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ أَى التَّوَقُّد والتَّثْبِت فيها فَإِنْ قَاءُوا أَى فأن رجعوا عن إيلائهم بعد المدَّة فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى أَنَّهُ يَغْفِر للمؤمنين ويرحمهم.**

وَأِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وقد مرَّ أنَّ عزيمة الطلاق عندنا أن يعزم ثم يتلفظ به فمتى لم يتلفظ به على الوجه المشروع فأنَّ المرأة لا تبين منه. وقوله: **فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** أَى أَنَّهُ تعالى يسمع قوله و يعلم ضميره و قيل يسمع إيلاؤه ويعلم نيَّته والحمد لله ربَّ العالمين.



وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا
يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ
الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

◀ اللغة

الْمُطَلَّقَاتُ: جمع المطلقة قال الرَّاغب أصل الطَّلَاق التَّخْلِيَةُ مِنَ الْوَثَاقِ
يَقَالُ أَطْلَقْتُ الْبَعِيرَ مِنْ عِقَالِهِ وَطَلَّقْتَهُ وَهُوَ طَالِقٌ بِلَا قَيْدٍ وَمِنْهُ اسْتَعِيرَ طَلَّقْتُ
الْمَرْأَةَ نَحْوَ خَلَيْتَهَا فَهِيَ طَالِقٌ أَيْ مَخْلَاةٌ عَنِ حَبَالَةِ النِّكَاحِ.
قُرُوءٍ: جمع قرء والقُرء عند أهل الحجاز الطَّهْرُ وعند أهل العراق الحيض و
كُلُّ أَصَابٍ لِأَنَّ أَصْلَ الْقُرء خُرُوجُ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَخَرَجَتْ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ
إِلَى الطَّهْرِ وَمِنْ الطَّهْرِ إِلَى الْحَيْضِ وَقِيلَ أَتَى الْقُرءَ، الْوَقْتُ يَقَالُ رَجَعَ فَلَانِ لِقُرئِهِ
أَي لَوَقْتِهِ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ فَالْحَيْضُ ثَانٍ لَوَقْتِ الطَّهْرِ وَالطَّهْرُ فَانٍ لَوَقْتِ
الْحَيْضِ.
يَكْتُمْنَ: يقال يَكْتُمُنِ أَي تَسْتَرُنَ وَالباقِي وَاضِحٌ.

في القرآن في تفسير القرآن

◀ الإعراب

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ انتصاب ثلاثة هنا على الظرف مَا خَلَقَ اللَّهُ يجوز أن تكون ما
بمعنى الذی و أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف أي خلقه الله في
أَرْحَامِهِنَّ سيتعلّق، بخلق، ويجوز أن يكون حالاً من المحذوف وهي حال
مقدرة في ذَلِكَ قِيلَ ذَلِكَ كناية عن العدة فعلى هذا سيتعلّق، بأحقّ، أي

جزء ٢

المجلد الثاني

يَسْتَحَقُّ رَجْعَتَهَا مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ الْمَعْرُوفِ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ الْبَاءُ بِالِاسْتِقْرَارِ فِي قَوْلِهِ: وَلَهُنَّ أَيُّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَيَجُوزُ وَأَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الرُّفْعِ صِفَتُهُ لِمَثَلٍ لَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ بِالْإِضَافَةِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ دَرَجَةٌ مَبْتَدَأٌ وَ لِلرِّجَالِ خَبَرٌ وَعَلَيْهِنَّ مَتَعَلَقٌ بِالِاسْتِقْرَارِ.

◀ التفسير

بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الْمُطَّلَقَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وَالْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أَيُّ أَنَّ الْمُطَّلَقَاتِ بَعْدَ الطَّلَاقِ يَنْتَظِرْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَطْهَارٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُنَّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ قِيلَ لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ ثُمَّ قَالَ وَالْمُرَادُ بِالْقُرْءِ الْأَطْهَارُ عِنْدَنَا وَبِهِ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ عَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ الْقُرْءَ الطَّهْرُ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ وَالْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ الْقُرْءَ الْحَيْضُ وَالْمُرَادُ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ ثَلَاثَةَ حَيْضٍ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَ أَسْتَشْهَدُوا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُسْتَحَاضَةِ دَعِيَ الصَّلَاةُ أَيَّامَ أَقْرَانِكَ وَالصَّلَاةُ إِنَّمَا تَتْرَكَ فِي أَيَّامِ الْحَيْضِ وَ أَسْتَشْهَدُ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقُرْءَ الطَّهْرُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَيُّ فِي طَهْرٍ لَمْ تُجَامِعْ فِيهِ وَسَاقَ الْكَلَامُ إِلَى مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ظَاهِرًا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ اللَّغَةِ ذَكَرُوهُ أَنَّ الْقُرْءَ عِنْدَ أَهْلِ الْجِجَارِ الطَّهْرُ وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْحَيْضُ وَالْأَصْلُ فِيهِ خُرُوجٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَخَرَجَتْ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ إِلَى الطَّهْرِ وَمِنْ الطَّهْرِ إِلَى الْحَيْضِ وَأَنَّ قُلْنَا أَنَّ الْقُرْءَ فِي الْأَصْلِ الْوَقْتُ كَمَا يُقَالُ رَجَعَ فُلَانٌ يُقَرِّئُهُ أَيُّ لَوَقْتِهِ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ فَالْحَيْضُ وَقْتُ ثَانٍ لِلطَّهْرِ تَانٍ لَوَقْتُ الْحَيْضِ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ الْإِضَافَةُ فِيهِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ ثَلَاثَةُ فَلْبُوسِ بَلْ يُقَالُ ثَلَاثَةُ أَفْلَسٍ وَ أَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ عَلَى التَّأْوِيلِ وَ

التقدير، ثلاثة من قروءٍ لأنَّ العدد يضاف إلى مُميّزه وهو من ثلاثة إلى عشرة قليل فلا يميّز القليل بالكثير وأحتمل البعض أن يكون قد وضع أحد الجمعين موضع الآخر إتساعاً لفهم المعنى و ذهب آخرون إلى أنَّ تميّز الثلاثة إلى العشرة يجوز أن يكون جمع كثرة من غير تأويل فيقال خمسة كلاب وستة عبيد ولا يجب عند هذا القائل أن يقال خمسة أكلب ولا ستة أعبد، قال الزاغب في المفردات، القرء في الحقيقة إسمٌ للدّخول في الحيض عن طهرٍ ولما كان إسماً جامعاً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كلّ واحدٍ منهما لأنَّ كلّ إسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كلّ واحدٍ منهما إذا انفرد كالمائدة للخوان والطعام ثمّ قد يُسمّى كلّ واحدٍ منهما بانفراده به وليس القرء إسماً للطهر مجزئاً ولا للحيض مجزئاً بدلالة أنَّ الطاهر التي لم تر أثر الدّم لا يقال لها ذات قرء وكذلك الحائض التي استمر بها الدّم، والنفساء لا يقال لها ذلك وقوله تعالى: يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض وقوله عليه السلام: أقعدني عن الصلاة أيام أقرائك، أي أيام حيضك وقول أهل اللغة أنَّ القرء من قرأ أي جمع، فأنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض جسماً ذكرت لإجتمع الدّم في الرّحم إنتهى ما ذكره.

وإنما نقلناه بطوله لما فيه من كثير الفائدة وقمع مادّة الاختلاف في تفسير القروء ومن المعلوم أنَّ كلامه حجّة في المقام وغيره ومنه يظهر أنَّ الخلاف إنّما نشأ من استعمال اللفظ في المعنيين فظنّ كلّ فريق وضع اللفظ للمستعمل فيه ولم يعلم أنّه موضوع للقدر الجامع بينهما هذا تمام الكلام في معنى القروء في الآية إذا عرفت هذا فنقول هذا الحكم أعني به التّربص بأنفسهنّ ثلاثة قروء، ثابت لذات الأقراء وهي المستقيمة الحيض وهي التي يأتيها حيضها في كلّ شهر مرّة على عادة النساء وفي معناها معتادة الحيض فيما دون الثلاثة أشهر وربما قيل أنّها التي تكون لها فيه عادة مضبوطة وقتاً

سواءً إنضبط العدد أو لا فهي التي تعتد بثلاثة قُرُوء وأما إذا كانت المطلقة من ذات الشهور وهي التي لا تحيض خُلقةً أو لعارضٍ وهي في سَنٍّ من تحيض فهي تعتد من الطلاق بثلاثة أشهر لقوله تعالى: **وَالتِّي يَتُسَّنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ** ^(١).

وأما اليانسة التي بلغت سَنَ اليأس من خمسين أو ستين، والأول لغير القرشية والثاني لها وهكذا التي لم تبلغ التسع الذي هو أول سَنٍ امكان الحيض فقليل أنهما تعتدان بثلاثة أشهر وقيل لا عدة عليهما وتفصيل الكلام في الفقه وأما كيفية الطلاق وشرائطه فسيأتي الكلام فيها في المستقبل.

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ قيل المراد به الحيض أي لا يكتمن حيضهن وذلك لأن الطلاق في الحيض باطل والعلم بوجوده لا يحصل إلا من قبلها، وقيل أن المراد به الحمل أي لا يكتمن حملهن، والقول الثالث الحيض والحمل معاً بناءً على أن الحامل تحيض وكيف كان فالمقصود من الآية أنه لما دار أمر العدة على الحيض والإطهار ولا إطلاع عليهما إلا من جهة النساء جعل القول قولها إذا ادعت إنقضاء العدة أو عدمها، قيل أن معنى النهي عن الكتمان النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقه ولذلك قال تعالى:

إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وذلك لأن سبيل المؤمنين والمؤمنات عدم كتمان الحق **وَيَعُولُوهُنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا**.

البعولة جمع البعل وهو الزوج سمي بعلًا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها ومن قوله تعالى: **اتَّعَدُوا بَعْلًا** أي رباً يعلوه في الربوبية والهافى بقوله زائدة مؤكدة لتأنيث الجماعة سماعاً لا قياساً فلا يقال لعب ولعوبة وقيل هي التأنيث دخلت على فعول والبعولة أيضاً مصدر البعل وقيل البعل

الجماع ومنه قوله **عَلَيْهَا** لا يام التشريع أنها إيام اكل وشرب وبعال فالرجل بعلم المرأة، والمرأة بعلمته وأما أنه أي البعل أحق برذهن وبعبارة أخرى أن أزواجهن أولى وأحق بمراجعتهم أي رذهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر لهم في مدة العدة فالوجه فيه أنه لا خلاف لأنه لا خلاف بين المسلمين في أنه ما دامت تلك العدة باقية كان للزوج حق الرجوع إليها ويفوت بإتقاضها ولا يشترط في ذلك أي في مراجعة الزوج رضاء المرأة ولا يحتاج إلى عقد جديد وإشهاد بعد الرجوع لأن الزوج ينفرد بالمراجعة وهذا الحكم أعني به كونه أحق بردها إلى الحالة الأولى وهي الزوجية يختص بالرجعيات أي إذا كان الطلاق رجعيًا، وأما إذا كان بائنًا فلا وحيث بلغ الكلام إلى الطلاق فلا بأس بالإشارة إلى ما لا بد منه من بيان ماهية الطلاق والمقصود منه شرعاً وبيان شرائطه وأحكامه وما يتعلق بالباب إجمالاً ليكون الناظر على بصيرة في جميع الآيات الواردة في الطلاق فنقول الطلاق قيل أنه لغة حل عقد و يطلق على الإرسال والتترك يقال ناقة طالق أي مرسلة ترعى حيث تشاء وطلقت القوم إذا تركتهم وشرعاً إزالة قيد النكاح بصيغة طالق وشبهها وقد ثبت أنه ليس في العقود والإيقاعات حقيقية شرعية ضرورة وجودها في هذه المعاني قبل زمن النبي ولكن اعتبر في الصحيح منه أمور وبهذا المعنى جعله الأصحاب معنى شرعياً مقابلاً للمعنى اللغوي وكيف كان فالمقاصد ثلاثة.

المقصد الأول: في المطلق، الثاني في المطلقة، الثالث في شرائط الطلاق.

أما الأول: فنقول يعتبر في المطلق شروط أربعة، الأول، البلوغ فلا اعتبار بعبارة الصبي وأن بلغ عشرًا على الأقوى المشهور بين الفقهاء.

الشرط الثاني: العقل، فلا يصح طلاق المجنون ولا السكران ولا من زال عقله بإغماء أو شرب فرقد أو نوم ونحو ذلك لعدم القصد الذي يترتب عليه الحكم.

الشرط الثالث: الإختيار فلا يصح طلاق المكره.

الزابع: العقد فلا يتحقق طلاق الساهي و النائم والغالط.

المقصد الثاني: في المطلقة و شروطها خمسة.

الأول: أن تكون زوجة فلو طلق الموطونة بالملك لم يكن له حكم قطعاً وكذا لو طلق الأجنبية وأن تزوجها بعد ذلك ولو علق الطلاق بالتزويج لم يصح سواء عين الزوجة أم لا بأن قال إن تزوجت فلانة فهي طالق أو قال كل من أتزوجها فهي طالق.

الثاني: أن يكون العقد دائماً فلا يقع الطلاق بالأمة المحللة ولا المتمتع بها ولو كانت حرة.

الثالث: أن تكون المرأة طاهراً من الحيض والنفاس ويعتبر هذا الشرط في المدخول بها الحائل دون غير المدخول بها ودون الحامل فإنه يصح طلاقهما حائضين بناءً على مجامعة الحيض للحمل وذلك لأن غير المدخول بها لا عدّة لها كما أنّ الحامل عدتها وضع الحمل على كلّ حالٍ وهكذا يعتبر هذا الشرط في الحاضر زوجها و أمّا الغائب عنها في طهر مواقعتها مدّة يعلم بمقتضى عادتها إنتقالها من القرء الذي وطئها فيه الى وقت آخر، فلا.

الزابع: أن تكون المرأة مستبرة من المواقعة التي واقعها أيّاه بما جعله الشارع طريقاً الى ذلك من الحيضة أو المدّة في الغائب والمستربة فلو طلقها في طهر واقعها فيه لم يقع الطلاق نعم يسقط إعتبار ذلك في اليائسة التي لا عدّة لها وفيمن لم تبلغ سنّ الحيض الذي هو التسع وكذا يسقط في الحامل بشرط أن يمضي عليها ثلاثة أشهر لم تردماً معتزلاً لها.

الخامس: التعيين وهو أن يقول زوجتي فلانة أو يشير إليها بما يرفع الإحتمال مع فرض التعدّد و أمّا إذا كان له زوجة واحدة فقال زوجتي طالق صحّ لعدم الإحتمال ولا بدّ له من اجراء الطلاق بالصيغة المخصوصة المتلقة

من الشَّرْع مثل أن يقول أنتِ طالق أو فلاة أو هذه ونحو ذلك فلو قال أنتِ الطَّلَاق أو قال أنتِ من المطلقات لم يقع وأن كان نوايياً بها الطَّلَاق وأيضاً يجب على المطلق الإشهاد بمعنى وجوب حضور عدلين فيه فلو طلق إمرأته بغير الأَشهاد لم يقع إجماعاً وكتاباً وسنةً.

قال الصادق عليه السلام: في خبر أبي الصباح من طلق بغير شهود فليس بشئٍ وقال الباقر عليه السلام: الطَّلَاق لا يكون بغير شهودٍ

والأخبار كثيرة ولم يخالف في هذا الحكم أحد من فقهاءنا فلا يقع الطَّلَاق بشاهدٍ واحدٍ فضلاً عن عدمهما وأن كملت شروطه الآخر وأن يكونا عادلين وفي الاقتصار على إعتبار الإسلام فقط فيهما خلاف والأظهر عدم الإكتفاء به المقصد الثالث، في أقسام الطَّلَاق وهو ينقسم بحسب اللَّفظ على البدعة والسنة فيقال طلاق سُنيّ وطلاق بدعيّ نسبته اليهما بمعنى البدعة المحرمة والسنة المشروعة فطلاق البدعة اصطلاحاً ثلاث.

أحدها: طلاق الحائض لحائل بعد الدخول مع حضور الزوج معها ومع غيبته دون المدّة المشترطة وكذا النفساء.

ثانيها: أن يكون الطَّلَاق في طهر قُرْبهما فيه مع عدم اليأس والصَّغر والحمل ومضيّ المدّة مع حضور الزوج أو مطلقاً.

ثالثها: طلاق الثلاث من غير رجعة بينهما مرسلّة او مترتّبة والكلّ محرّم بعنوان الشرعيه باطل عندنا إلاّ الاخير فإنّه لاخلاف في وقوع الواحدة به اذ كان رسلاً وفيه خلاف واما القسمان الاولان فلا خلاف في بطلانهما عند جميع الفقهاء هذا في البدعيّ، واما السنة فهي تنقسم أقساماً ثلاثة، بائنٌ، ورجعيٌّ، وعديٌّ، هكذا قالوا والحقّ أنّ العديّ قسمٌ من الرجعي لا قسيماً له فالحقّ أن يقال أنّ طلاق السنة ينقسم الى بائنٍ، ورجعيٍّ، ثمّ الرجعي الى عديٍّ وغيره، فالبائن ما لا يصحّ للزوج بعده الرجعية بها وهو ستّة بلا خلاف.

أحدها: طلاق التّي لم يدخل بها.

ثانيها: طلاق اليائسة وهي من بلغت خمسين أو ستين سنة.

ثالثها: من لم تبلغ سنّ إمكان المحيض أي التسع.

رابعها وخامسها: طلاق المختلعة والمباراة ما لم ترجعا في البذل.

السادس: المطلقة ثلاثاً بينها رجعتان وحرمتها عليه حتّى تنكح زوجاً غيره.

وَأَمَّا الرَّجْعِيُّ فَهُوَ الَّذِي لِلْمُطَلَّقِ مَرَّاجَعَتُهَا فِيهِ سِوَاءِ رَاجِعٍ أَمْ لَمْ يَرَجَعْ.
وَأَمَّا الْعَدِّيُّ فَهُوَ أَنْ يُطَلَّقَ عَلَى الشَّرَاطِ ثُمَّ يَرَجِعُهَا قَبْلَ خُرُوجِهَا مِنْ عَدَّتِهَا
وَيُؤَاقِعُهَا ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فِي طَهْرٍ أُخْرٍ غَيْرِ طَهْرِ الْمَوَاقِعَةِ ثُمَّ يَرَجِعُهَا وَيُؤَاقِعُهَا ثُمَّ
يُطَلِّقُهَا فِي طَهْرٍ أُخْرٍ فَأَتَتْهَا تَحْرِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَنْكَحَ زَوْجاً غَيْرَهُ وَلَا يَقَعُ هَذَا
الطَّلَاقُ مَا لَمْ يَطَّأَهَا بَعْدَ الْمَرَّاجَعَةِ هَذَا إجمال الكلام في المطلق والمطلقة و
الطلاق وتفصيلها في الفقه اذا عرفت هذا فقد علمت أنّ العدة لا تكون في
اليائسة و التي لم يدخل بها والتي لم تبلغ سنّ من تحيض وهو التسع و
المختلة والمباراة فقوله تعالى: **وَيُعَوِّلُتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ** لا يشملها لعدم العدة
فيها قوله:

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ معناه أنّ للنساء على أزواجهنّ مثل
الذي لأزواجهنّ عليهنّ من الحقّ بالمعروف أي كما أنّ للزوج حقّاً على
الزوجة مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وأن لا تدخل فراشه غيره تحفظ
مائه فلا تحتال في إسقاطه وأن تكون مأمونة على ماله في غيابه و حضوره
فكذلك لها عليه أيضاً حقوق يجب عليه مراعاتها في حقّها قال رسول
الله ﷺ **إَتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَاتَّكُمُ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ** وإستحللتم
فزوجهنّ بكلمة الله الحديث.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ قِيلَ معناه فضيلة، منها الطّاعة ومنها أن يملك التّخلىة ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد وقيل غير ذلك والله عزّيزٌ حكيمٌ لأنّه قادر على ما يشاء حكيمٌ في أفعاله.

في تفسير العيّاشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى:

وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ إِلَى قوله فِي أَرْحَامِهِنَّ يعني لا يحلّ لها أن تكتم الحمل اذا طلقت وهى حبلى والزّوج لا يعلم بالحمل فلا يحلّ لها أن تكتم حملها وهو أحقّ بها في ذلك الحمل ما لم تضع انتهى.

وفي من لا يحضره الفقيه سأل إسحاق بن عمّار أبا عبد الله عليه السلام عن حقّ المرأة على زوجها قال يشبع بطنها ويكسو جثتها وأن جهلت غفر لها انتهى.

وروي الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: جاءت امرأة الى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة فقال لها تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدّق من بيتها إلّا بأذنه ولا تصوم تطوعاً إلّا بأذنه ولا تمنعه نفسها وأن كانت على ظهر قتب (الرّحل) ولا تخرج من بيتها إلّا بأذنه فإن خرجت بغير أذنه لعنتها ملائكة السّماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرّحمة حتّى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم النّاس حقّاً على الرّجل قال عليه السلام والداه قالت فمن أعظم النّاس حقّاً على المرأة قال زوجها قالت فمالي من الحقّ عليه بمثل ماله عليّ قال عليه السلام لا ولا من كلّ مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحقّ نبياً لا يملك رقبتي رجل أبداً أنتهى.

أقول وفي هذا الحديث كفاية لما نحن بصدده من حقوق الطّرفين والله أعلم بحقيقة الأمر.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ
 بِاِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوا مِمَّا
 اَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا اِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
 اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهٖ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا
 تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُوْنَ (٢٢٩)

◀ اللغة

فَاِمْسَاكُ، اَمَسَكَ اِمْسَاكًا: قال الرَّاغب اِمْسَاكُ الشَّيْءِ التَّعْلُقُ بِهِ وَحِفْظُهُ.
 تَسْرِيحُ: مصدر باب التَّفْعِيل يقال سَرَّحَ تَسْرِيحًا، قال الرَّاغب السَّرْحُ شَجَرٌ
 له ثمر و سرحت الإبل أصله أن ترعيه السَّرْحُ ثم جعل لكل إرسالٍ في الرَّعْيِ،
 والسَّارِحِ الرَّاعِي والتَّسْرِيحِ في الطَّلَاقِ مستعار من تسريح الإبل كالطَّلَاقِ في
 كونه مستعاراً من إطلاق الأبل انتهى.

◀ الإعراب

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ مبتدأ وخبر وتقديره عدد الطَّلَاقِ الَّذِي يجوز معه الرَّجْعَةُ
 مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ أي فعليكم اِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ صِفةٌ لِاِمْسَاكٍ ويجوز أن يكون في
 موضع نصب به اَنْ تَاْخُذُوا مفعوله شَيْئًا وَمِمَّا وصف له قَدَمٌ عليه فصار حالاً،
 و«من» للتَّبْعِيضِ، وما، بمعنى، الَّذِي، و آتَيْتُمْ، تتعدى الى مفعولين وقد
 حذف أحدهما وهو العائد على، ما، تقديره، آتَيْتُمُوهُنَّ، إِيَّاهُ اِلَّا اَنْ يَخَافَا اَنْ
 والفعل في موضع نصب على الحال والتقدير، اِلَّا خَائِفَيْنِ، وفيه حذف
 مضافٍ تقديره ولا يحل لكم أن تأخذوا على كُلِّ حالٍ أو في كُلِّ حالٍ اِلَّا في

حال الخوف الَّا يُقِيمَا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ بِيَخَافَا تَقْدِيرَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَا تَرَكَ حُدُودَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا خَيْرٌ، لَا فِيمَا مَتَعَلَّقٌ بِالِاسْتِقْرَارِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ، عَلَيْهِمَا، فِي فِى مَوْضِعِ النَّصَبِ بِجَنَاحٍ وَفِيمَا افْتَدَتْ الْخَبَرَ جَنَاحَ اسْمٍ لَا إِذَا عَمِلَ يَنْوِنُ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ مُبْتَدَأٌ وَتَعَدُّوْهَا بِهِ مَعْنَى تَعَدُّ وَهَآخِرُ حُدُودَ اللَّهِ مَفْعُولٌ يَتَعَدُّوْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ.

◀ التفسير

نقلوا في تفسير الآية قولين.

أحدهما: ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ معناها البيان عن تفصيل الطَّلَاق في السَّنة وهو أنَّه إذا أراد طلاقها فیتبغی أن یطلقها فی طهرٍ لم یقربها فیہ بجماع تطلیقة واحدة ثم یترکها حتّی تخرج من العدة أو تحيض و تطهر ثم یطلقها ثانية.

ثانيهما: ما قاله عروة وقَتادة أنَّ معناه البيان عن عدد الطَّلَاق الذي یوجب البینونة ممَّا لا یوجبها وفي الآية بیان أنَّه لیس بعد التَّطْلِیقَتین إلَّا الفرقة البائنة.

وقول ثالث: عن الرَّجَاج وهو أنَّ فی الآية حذف لأنَّ التَّقدير الطَّلَاق الَّذِی یملك فیہ الرَّجعة مرَّتَان بدلالة قوله: **فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٍ بِإِحْسَانٍ** والمرَّتَان معناه، دَفَعْتَان وكیف كان المعنى فقلوه:

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٍ بِإِحْسَانٍ ومعناه أَنَّهُمْ مَخِیْرُونَ بَیْن أَنْ یُمْسَكُوا النِّسَاءَ بِحَسَنِ الْعِشْرَةِ وَالْقِیَامِ بِمَوَاجِبِهِنَّ وَبَیْن أَنْ یَسْرِحُوهُنَّ السَّرَّ الْجَمِیل الَّذِی عَلِمَهُمْ وَالْمَرَادُ بِالتَّسْرِیحِ فِی الْمَقَامِ الطَّلَاقِ كَمَا أَنَّ الْمَرَادَ بِالِامْسَاكِ عَدَمَ الطَّلَاقِ وَیُمْكِنُ أَنْ یَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الطَّلَاقَ الرَّجْعِی مَرَّتَانٍ لِأَنَّهُ لَا رَجْعَةَ بَعْدَ الثَّلَاثِ، فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ، أَى بِرَجْعَةٍ أَوْ تَسْرِیحٍ بِإِحْسَانٍ أَى بِأَنْ لَا یَرَاغِبُهَا حَتّی تَبِیِّنَ الْعِدَّةَ أَوْ بِأَنْ لَا یَرَاغِبُهَا

مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث، وروي أنّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ أين الثالثة فقال ﷺ أو تسريح بإحسان، وعند أبي حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يُوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث.

روي أنّ جميلة بنت عبد الله ابن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأنت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضاً أني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فأذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامَةً وأقبحهم وجهاً فنزلت الآية وكان قد أصدقها حديقة فاختلفت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام، ذكره الزمخشري في الكشف.

أقول الحق أنّ الآية تُبين أمرين:

أحدهما: أنّ الطلاق الذي فيه الرجوع للزوج وهو الطلاق الرجعي مرتان واليه الإشارة قوله تعالى الطلاق مرتان إلى قوله بإحسان وذلك لأن الرجل كان في عهد الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن ينقضي عدتها كان له ذلك طلقها ألف مرة إذ لم يكن للطلاق عندهم حد فنزلت الآية وقال الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثاً والطلاق الثالث.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَكْحَلَ زَوْجاً غَيْرَهُ.

ثانيهما: طلاق الخلع واليه أشار تعالى بقوله: إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ونحن نتكلم في الآية فنقول، أمّا قوله الطلاق مرتان إلى قوله

بإحسانٍ فقد مرَّ الكلام فيه وقوله: **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا** فيه دلالة على عدم جواز أخذ شيء مما آتوا نساءهم من مهرٍ وغيره حال الطلاق ثم إستثنى الله تعالى من ذلك حلية الأخذ لهم من نساءهم في حالة و هي ما اذا عرضت بعض الأسباب كقدم المحبة والبغض فحصل الطن بعدم إقامة حدود الله المقررة في أمر الزوجية فعند ذلك يحل لها أن تفدى نفسها وتخلصها من حكمه ويحل للزوج أخذ الفدية فقال:

إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا. أي على المرء والمرأة فيما إفتدت المرأة به، أي بما إفتدت، ويُسمى هذا الطلاق بالخلع أن كان المأخوذ منها تمام المهر أو أزيد، و بالمباراة أن كان المأخوذ دون المهر بيان ذلك هو أن الخلع بضم الخاء وفتحها في الأصل بمعنى التزع لغَةً و شرعاً إزالة قيد النكاح بفدية من الزوجة وكراهية منها له خاصة دون العكس وقيل في وجه التمية أن كلاً منهما بمنزلة اللباس للأخر لقوله تعالى: **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ^(١) فخلعه إياها نزع منه لها و المخالفة بينهما تكون بذلك منه وبفدائها نفسها وكراهتها له، وأما المباراة فهي في الأصل، المفارقة يقال براء الرجل شريكه اذا فارقه و شرعاً إزالة قيد النكاح بفدية منها مع كراهية من الجانبين قاله في الجواهر وعليه فالفرق بينهما هو أن الكراهية في الخلع من جانب المرأة فقط وفي المباراة من الجانبين ولا يشترط فيها كون الفدية أقل من المهر وقد حملوا قول من قال بإشتراط كون الفدية أقل من المهر على الإحتياط وعلى أي تقدير فالمشهور عند الفقهاء أن الخلع لا يحتاج الى الطلاق بعده بل هو يكفي في حصول الإفتراق وقال الشيخ **مَنْ لَا يَكْفِي حَتَّى يَتَبَعَ بِالطَّلَاقِ**.

بَابُ
النِّقَاحِ
فِي
تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

وأما في المبراة فلا خلاف عندهم أنَّ المقتضي للفرقة هو التَّلفُظ بالطلاق بعدها و تفصيل الكلام فيهما وبيان أحكامهما و شرائطهما في الفقه وينبغي التفسير على أمور:

أحدها: أنَّ قوله تعالى **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ظاهر في الإباحة للزوجة خاصة.

ثانيها: أنَّ ظاهر الآية عدم اثم المُرثَة في اعطاء ما تخلص به نفسها.

ثالثها: أنَّ مقتضى ظاهر الآية أنَّ جواز الاخذ انما يكون مع خوف عدم اقامة محدود من الجانبين اى خصوص الكلامه من كل واحد منها.

رابعها: ان قلنا تضمن الآية المختلفة فليس ما يدل فيها على الوجوب اى عدم وجوب الخلع وهو واضح.

خامسها: لو خالعه ولم يكن هناك كراهة من جانبها سواء كانت الكراهة من جانبها أم لا لم يصح الخلع ولم يملك الفدية لفقدان الشرط وهو موضع وفاق و الأخبار صريحة الدلالة عليه ولو طلقها والحال هذه بعوض لم يملك العوض و هو الذي تقتضيه الآية ففي هذه الصورة هل يقع الطلاق و يكون رجعيّاً أم يقع باطلاً صرح المحقق في الشرايع والعلامة في التحرير بالأول و وجهه أنه عقد صدر من أهله مع حصول شروطه فيقع صحيحاً و يبطل العوض لأنه مخالف للكتاب فيرد اليه فيقع رجعيّاً لعدم ما يقتضي دخوله في البائن و قيل يقع باطلاً لأنه غير مقصود والعقود تابعة للمقصود فما وقع لم يقصد و ما قصد لم يقع و تفصيل البحث فيه موكول الى الفقه.

سادسها: إطلاق الآية يدل على جواز أخذ الفدية أي قدرٍ شاء و أن زاد على المهر كذا قيل وفيه تأمل لأنَّ الإستثناء راجع الى أخذ شيء مما آتيتموهن فيكون هو المعنى بقوله: **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** فيما اقتدت به أي في الذي إفتدت به من المهر ثم أنه لا بد من تعيين الفدية جنساً و قدراً ممّا يصح تملكه و يتمول.

سابعها: مقتضى قوله **فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَبْذُلُ الْفِدْيَةَ مِنْ مَالِهَا فَلَوْ تَبَرَّعَ بِهِ غَيْرُهَا بِالْبَذْلِ مِنْ مَالِهِ فَقَوْلَانِ أَشْهَرُهُمَا، وَأُظْهَرُهُمَا الْمَنْعُ لِأَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ النِّكَاحِ حَتَّى يَثْبُتَ الْمَزِيلُ وَلَمْ يَثْبُتْ كَوْنُ الْخَلْعِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَزِيلًا فَيَبْقَى النِّكَاحُ عَلَى الْأَصْلِ وَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ بِالصَّحَّةِ نَعَمْ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعَامَّةِ وَالسَّرُّ فِي عَدَمِ الصَّحَّةِ هُوَ أَنَّ الْبَذْلَ الْمُتَنَازِعَ فِي صَحَّتِهِ هُوَ مَا إِقْتَضَى بِكَوْنِ الطَّلَاقِ مَعَهُ خَلْعًا لِيَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ الْمَخْصُوصَةُ لَا مَجْرَدُ بَذْلِ الْمَالِ فِي مَقَابِلَةِ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْجَعَالَةِ نَعَمْ هَذَا لَا مَانِعَ فِيهِ مِنَ الطَّلَاقِ.

ثامنها: مقتضى الآية كَوْنُ الْخَالْعِ بِالْغَا عَاقِلًا مُخْتَارًا قَاصِدًا لِذَلِكَ وَكَوْنِهَا مَعَ الدَّخُولِ فِي طَهْرِ لَمْ يَقْرَبْهَا فِيهِ إِذَا كَانَ حَاضِرًا وَمِثْلُهَا تَحِيضٌ مَعَ حَضُورِ شَاهِدَيْنِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ طَلَاقٌ فَيَلْزَمُ فِيهِ مَا لَزِمَ فِيهِ وَصَحِيحَةُ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ **لَا طَلَاقَ وَلَا خَلْعَ وَلَا مَبَارَاةَ وَلَا خِيَارَ إِلَّا عَلَى طَهْرِ** مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، صَرِيحٌ فِي الْمُدْعَى.

تاسعها: لَوْ أَرَادَ مُرَاجَعَتَهَا بَعْدَ أَنْ رَجَعْتَ بِالْبَذْلِ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى عَقْدٍ لِصَيُورِهِ رَجْعِيًّا وَأَنْ لَمْ تَرْجِعْ بِالْبَذْلِ وَأَرَادَ ذَلِكَ وَرَضِيَتْ إِفْتَقَرَتْ إِلَى الْعَقْدِ سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ فِي الْعِدَّةِ أَمْ بَعْدَهَا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ تَطْلِيقٌ بَاطِلٌ وَلِنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ فَقَوْلُهُ **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** قِيلَ هَذَا الْخَوْفُ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَيْ أَلَّا أَنْ يَعْلَمَا إِلَّا أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْحُدُودِ فِي لَايَةِ هُوَ الْوُضَائِفُ الْمَقْرَرَةُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَيْ حَقُوقُ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ وَحَقُوقُ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ فَأَنْ خَفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ: **فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** قَدْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ
 زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
 يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ
 حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)

◀ اللّٰعَة

فَلَا جُنَاحَ: الجُنَاحُ بضم الجيم الإثم وقيل هو الإثم المائل بالإنسان عن الحق.
 إِنْ ظُنَّا: الظنّ بفتح الظاء إسم لما يحصل عن إمارة، فمتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت لم يتجاوز حدّ التوهم.
 حُدُودَ اللَّهِ: الحدّ الحاجز بين الشئين الذي يمنع إختلاط أحدهما بالآخر
 يقال، حددتُ كذا، جعلت له حدّاً يُمَيِّز وَحدّ الدار ما تميّز به عن غيرها وحدّ الشئ الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره.

◀ الإِعْرَاب

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا أي في أن يتراجعا يُبَيِّنُهَا الجملة في موضع نصب من الحدود والعامل فيها معنى الإشارة.

◀ التّفْسِير

قيل في سبب نزولها أنّه جاءت إمراة رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله فقالت أني كنت عند رفاعة فطلّقني فبّت طلاقي وأنّ عبد الرّحمن بن الزبير تزوّجني وأنا معه مثل هدبة الثوب وأنّه طلقني قبل أن يمسني فقال رسول الله ﷺ أتريدين أن ترجعي الى رفاعة لا حتّى تذوقي عسلية ويذوق عسليتك فنزلت الآية وبيّن الله تعالى فيها حكم التّطليقة الثالثة فقال:

فَإِنْ طَلَّقَهَا يَعْنِي التَّطْلِيقَ الثَّلَاثَةَ فَلَا تَحِلُّ أَي لَا تَحِلُّ الْمَرْأَةُ لَهُ، أَي لِلزَّوْجِ حَتَّى تَنْكِحَ الْمَرْأَةُ زَوْجًا، آخَرُ غَيْرِ الْمَطْلُوقِ فَإِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَي لَا إِثْمَ عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ يَتَرَاجَعَا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا عَقْدَ النِّكَاحِ وَيَعُودَا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ أَي أَنْ رَجِيا أَوْ عَلِمَا أَوْ اعْتَقَدَا إِقَامَةَ حُدُودِ اللَّهِ فِي حَسَنِ الصَّحْبَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ وَأَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَهُمَا الصَّلَاحُ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ قِيلَ إِشَارَةً إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَحُدُودِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَنَوَاهِيهِ يُبَيِّنُهَا أَي يَفْصِلُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ خَصَّ الْعُلَمَاءُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ يَنْفِقُونَ بَيَانَ الْآيَاتِ أَوْ أَنَّ التَّخْصِصَ لِلتَّشْرِيفِ كَمَا خَصَّ جِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ اعْلَمْ أَنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ نَزَلَتْ فِي بَيَانِ حُكْمِ التَّطْلِيقِ الثَّلَاثَةِ وَنَحْنُ قَدْ بَيَّنَّا أَقْسَامَ الطَّلَاقِ سَابِقًا وَالْآنَ بَيِّنُ كَيْفِيَّتَهُ الطَّلَاقُ فَنَقُولُ قَدْ عَرَفْتَ فِيمَا مَضَى أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالشَّرَاطِطِ الْمَقْرُورَةِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْقَصْدِ وَالْبَلَاغِ وَالِاخْتِيَارِ وَإِنْ يَكُونُ الْعَقْدُ دَائِمِيًّا وَهَكَذَا فَإِذَا تَمَّتِ الشَّرُوطُ فِي الْمَطْلُوقِ وَالْمَطْلُوقَةِ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الشَّرُوطِ أَنْ يَكُونَ الطَّلَاقُ فِي طَهَرٍ غَيْرِ الْمَوَاقِعَةِ فِي حُضُورِ عَدْلَيْنِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْكَلَامِ فِيهِ.

روي في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: يَطْلُقُهَا تَطْلِيقَةً عَلَى طَهَرٍ غَيْرِ جَمَاعٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ ثُمَّ يَدْعُهَا حَتَّى تَمْضِيَ أَقْرَأَهَا فَإِذَا مَضَتْ أَقْرَأَهَا فَقَدْ بَانَتْ مِنْهُ وَهُوَ خَاطِبٌ مِنَ الْخُطَّابِ أَنْ شَاءَتْ أَنْ نَكِحَتْهُ وَأَنْ شَاءَتْ فَلَا وَأَنْ أَرَادَ يَرَاغِبُهَا قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ أَقْرَأَهَا فَتَكُونُ عِنْدَهُ عَلَى التَّطْلِيقِ الْمَاضِيَةِ انْتَهَى.

فهذه كَيْفِيَّةُ الطَّلَاقِ عَلَى النَّهْجِ الْمَقْرُرِ فِي الشَّرْعِ ثُمَّ أَنَّ الزَّوْجَ أَنْ يَرَاغِبُهَا قَبْلَ مَضِيِّ الْعِدَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْدٍ جَدِيدٍ وَأَنْ يَرَاغِبُهَا بَعْدَ الْعِدَّةِ فَلَا يَبْدَأُ مِنَ الْعَقْدِ، لِأَنَّ الزَّوْجَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ صَارَ أَجْنَبِيًّا عَنْهَا كَغَيْرِهِ مِنَ الْخُطَّابِ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَهَا عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي الطَّلُوقِ الْأَوَّلِيِّ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ

٢٢٨ - البقرة =

المرأة له حتى تنكح زوجاً غيره، وأما قوله:

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا فُقِيل المراد به الزوج الثاني أي أنه أن طلقها الثاني أيضاً فلا جناح عليه في الرجوع اليها لأنه لم يطلقها ثلاثاً حتى تحرم عليه إلا بالمحلل وأنما أضاف المراجعة اليهما لأنه قد يكون الطلاق ممّا لا يملك فيه الرجعة مثل أن يكون بائناً أو كان ذلك بعد إنقضاء العدة و عليه فقوله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أي على الزوج الثاني والزوجة أن يراجعا، وقيل أن الضمير في قوله: عَلَيْهِمَا عائد الى الزوجة والزوج الأول بعد التحليل ولما كان الرجوع لا يكون إلا بعقدٍ ومهر في هذه الحال وهو موقوف على رضاها نسبة تعالى اليهما وقوله: إِنْ طُتَّ أَي رَجَح عندهما بقرائن الأحوال أن يقيما حدود الله التي عدّها للزوجة وهذا الشرط ليس لصحة العقد لأنه يصح وأن طنا خلافه كيف وهو خارج عن الأمور المعتمدة في صحته غاية حصول الإثم إذا حصل موجب الثانية إطلاق الآية يقتضي أنه لا فرق في الإحتياج الى المحلل بين كون الرجعة بعد إستيفاء العدة بمهرٍ وعقدٍ جديد أو في إثباتها و يدل على ذلك غير واحدٍ من الأخبار مذهب الأصحاب لا نعلم فيه مخالفاً إلا ابن بكير فإنه جعل إستيفاء العدة هادماً للتحريم في الثالثة.

الثالثة: يشترط في المحلل أمور.

الأول: البلوغ وهو المتبادر من إطلاق الآية ويدل عليه خصوصاً ما رواه في الكافي عن علي بن الفضل الواسطي قال كتبْتُ الى الرضا رجل طلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح غيره فتزوجها غلام لم يحتمل قال عليه السلام لا حتى يبلغ انتهى.

في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

الثاني: الوطئ في القبل فلا يكتفي الدبر وإكتفى بعض العامة بمجرد العقد لأن

النكاح يستعمل فيه وهو ضعيف قال القُرطبي وأهل العلم هاهنا على أن النكاح الجماع لأنه تعالى قال، زوجاً غيره فقد تقدّمت الزّوجية فصار النكاح الجماع وأظن أن حديث العسيلة لم يبلغ المخالف أو لم يصحّ عنده فأخذ بظاهر القرآن ثم قال روي الأئمة واللفظ للدار قطني عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره ويذوق كلّ واحدٍ منهما غسل صاحبه ثم نقل عن بعض العلماء الحنفية أنه قال من عقد على مذهب سعيد بن المسيّب فللقاضي أن يفسخه ولا يعتبر فيه خلافة لأنه خارج من اجماع علماء على وناهم من قوله ﷺ حتّى يذوق كلّ واحد منهما غسيلة صاحبه استوتا تهما في ادراك لذت الاجماع وهو صخة لاحد القولين عندنا في أنه لو وطها خاتمة او فغمی عليها لم تح لمطقهما لأنهما لم تذوق العسيلة اذ لم تدركها.

الثالثة: كونه بالعقد الدائم فلا يكفي المتعة لقوله تعالى، فإن طلقها فلا جناح عليهما الآية والمتعة ليس فيها طلاق وكذا الملك والتحليل.

الرابع: إذا طلقها فأدعت أنها تزوجت وطلّقت وكان ذلك في مدّة يمكن فيها ذلك صدّقت وقبل قولها وذلك لأنه قد يتعسر عليها إقامة البيّنة فتكون هي المصدّقة ولأنه يقبل قولها في أمر العدة ولا يشترط في النكاح الإشهاد.

الخامس: لو وطها المحلّل في وقتٍ يحرم عليه الوطئ فيه كالحائض والصائم فالظاهر حصول التحليل عملاً بالأطلاق وبه أكثر أهل العلم وخالف فيه مالك.

السادس: لو كان عقد المحلّل فاسداً ثم حصل منه الجماع فالظاهر عدم حصول، التحليل لأن المتبادر من قوله تعالى، حتّى تنكح زوجاً غيره هو

النَّكَاحُ الصَّحِيحُ السَّابِعُ: لو كان النِّكَاحُ بِشَرطِ التَّحْلِيلِ أَيْ بِشَرطِ أَنْ يُطْلَقَهَا لِتَحُلْ عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْأَصْحَابِ فساد العقد والشرط وبه قال أكثر الشافعية وذهب أبو حنيفة إلى الكراهة تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ الْإِشَارَةُ إِلَى جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الْمَذْكُورَةِ إِذْ لَا يَعْنِي بِحُدُودِ اللَّهِ إِلَّا أَحْكَامَهُ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَتَنَ بِكَلَامِ اللَّهِ حَقًّا لَيْسَ إِلَّا الْعَالِمُ بِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ.



وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
 ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
 وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
 وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)

◀ اللغة

قد مرّ الكلام في الطلاق والنساء، بحسب اللغة أجلهنّ، الأجل بفتح الجيم
 المدة المضروبة للشئ.

ضِرَارًا: الضرّة أصلها الغفلة التي تَصُرُّ.
 لِّتَعْتَدُوا: الإعتداء التجاوز عن الحد وهو الظلم.
 هُزُوعًا، الهُزء: مزحٌ في خفية وقد يقال لما هو كالمزح.

◀ الإعراب

ضِرَارًا مفعول لأجله ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال أي
 مضارين لِّتَعْتَدُوا اللّام متعلّقة بالضّرار ويجوز أن تكون لام العاقبة نِعْمَتَ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ يجوز أن يكون، عليكم، في موضع نصب بنعمة لأنها مصدر أي أن أنعم
 الله عليكم ويجوز أن يكون حالاً منها فيتعلّق بمحذوف ما أنزلَ يجوز أن يكون،
 ما، في موضع نصب عطفاً على النعمة فعلى هذا يَعِظُكُمْ، حالاً أن شئت من ما،
 والعائد إليها الهاء في، به، وأن شئت من إسم الله ويجوز أن تكون، ما، مبتدأ و
 يعظكم خبره، مِنْ الْكِتَابِ حال من الهاء المحذوفة تقديره وما أنزله عليكم.

التفسير

يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَفْعَلُ بَعْدَ الطَّلَاقِ الَّذِي أَوْقَعَهُ بِالشَّرْطِ الْمَقْرَّرَةِ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ فَقَالَ:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَإَنِّ أَيِّ قَارِبِنَ أَجَلَهُنَّ وَالْمَرَادُ بِالْأَجْلِ هُوَ مَدَّةُ الْعِدَّةِ وَ
أَمَّا فَسَرُّ بُلُوغِ الْأَجْلِ بِقَرْبِهِ لَأَنَّ الزَّوْجَ بَعْدَ بُلُوغِ الْأَجْلِ لَا خِيَارَ لَهُ فِي الْإِمْسَاكِ
فَهَذَا كَمَا تَقُولُ بَلِغْتُ الْبَلَدَ إِذَا قَرَبْتُ مِنْهُ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَيِ
فَأَمْسِكُوهُنَّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَ
حَسَنِ الْعِشْرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَيِ إِتْرَكُوهُنَّ حَتَّى تَنْقَضِيَ
عِدَّتُهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا أَيِ لَا تَرَاغِبُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ لَكُمْ فِيهِنَّ قِيلَ
كَالرَّجُلِ يَطْلُقُ إِمْرَأَتَهُ ثُمَّ يَرَاغِبُهَا وَلَا حَاجَةَ لَهُ بِهَا وَلَا يَرِيدُ إِمْسَاكَهَا كَيْمَا يَطُولُ
بِذَلِكَ الْعِدَّةَ عَلَيْهَا وَلِيَضَارَّهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَقَالَ وَلَا
تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا، أَيِ لَتُظْلِمُوهُنَّ وَقِيلَ لَتَلْجُوهُنَّ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ مَنْ
يَفْعَلُ ذَلِكَ أَيِ مَنْ أَمْسَكَهُنَّ ضِرَارًا لِيَعْتَدِيَ عَلَيْهِنَّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِتَعْرِيزِهَا
لِعِتَابِ اللَّهِ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا أَيِ جَدَّوْا فِي الْأَخْذِ بِهَا وَالْعَمَلُ بِمَا
فِيهَا وَأَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا وَالْأَفْقَدُ إِتَّخَذَتْهَا هُزُوءًا وَلِبَاءً وَقِيلَ كَانَ الرَّجُلُ
يَطْلُقُ وَيَعْتَقُ وَيَتَزَوَّجُ وَيَقُولُ لَاعِبًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ قِيلَ فِي
مَعْنَاهُ، مَا أَبَاحَهُ لَكُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَقْوَالِ وَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وقِيلَ الْمَرَادُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَنُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ لَتُؤْجِرُوا بِفَعْلٍ مَا أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ أَيِ اتَّقُوا عَذَابَ اللَّهِ بِاتِّقَاءِ مَعَاصِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ مِمَّا تَعْلَنُونَ وَتَسْرُونَ فَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَهُوَ ظَاهِرٌ فَعَنِ الْفَقِيهَةِ
بِأَسْنَادِهِ عَنِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا
تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّجُلُ يَطْلُقُ إِذَا كَادَتْ أَنْ يَخْلُو رَاغِبًا
ثُمَّ طَلَّقَهَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَفِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

بِ
الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ

جزء ٢

الجلد الثاني

روي البزنطي بأسناده عنه عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل أن يطلق
 امرأته ثم يراجعها وليس له فيها حاجة ثم يطلقها فهذا الضرار الذي
 نهى الله عنه إلا أن يطلق ثم يراجع وهو ينوي الإمساك انتهى.
 وروي الطبري بأسناده عن سليمان بن أرقم أن الحسن حدثهم أن
 الناس كانوا على عهد رسول الله يطلق الرجل أو يعتق فيقال ما
 صنعت فيقول أنما كنت لاعباً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعباً
 أو اعتق لاعباً فقد جاز عليه قال الحسن وفيه مزلة ولا تتخذوا
 آيات الله هزواً انتهى.

اقول الامر اوضح عن مخفى على احد فلا يحتاج الى اكثرهما اوضحنا.



وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
 أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

◀ اللغة

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ: العضلة في الأصل كُلِّ لَحْمٍ صُلْبٍ فِي عَصَبٍ وَتَجُوزُ بِهِ فِي
 كُلِّ مَنَعٍ شَدِيدٍ أَيْ فَلَا تَمْنَعُوهُنَّ.
 أَزْكَى: أَصْلُ الزَّكَاةِ النَّمُو يُقَالُ زَكِيَ الزَّرْعُ يَزْكُو إِذَا حَصَلَ مِنْهُ نَمُو وَبَرَكَةٌ وَ
 قَدْ يَرَادُ مِنْهَا الْحَلَالُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا، إِشَارَةً إِلَيْهِ.

◀ الإعراب

أَنْ يَنْكِحْنَ قِيلَ تَقْدِيرُهُ مَنْ أَنْ يَنْكِحْنَ، أَوْ عَنْ أَنْ يَنْكِحْنَ فَلَمَّا حُذِفَ
 الْحَرْفُ صَارَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عِنْدَ سَيِّبِيهِ وَأَمَّا عِنْدَ الْخَلِيلِ فَهُوَ فِي مَوْضِعٍ
 جَرٍّ إِذَا تَرَاضَوْا ظَرْفٌ لِأَنْ يَنْكِحْنَ أَوْ لَتَعْضُلُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ وَأَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ تَرَاضِيًا كَائِنًا بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِنَفْسِ الْفِعْلِ أَزْكَى الْأَلْفُ فِيهِ مِنْ وَاوٍ لِأَنَّهُ مِنْ زَكِيَ يَزْكُو، لَكُمْ
 صِفَةٌ لَهُ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ السَّابِقَةِ حُكْمَ مَا يَفْعَلُ بَعْدَ الطَّلَاقِ وَقَبْلَ إِنْقِضَاءِ
 الْعِدَّةِ فَأَمَرَ النَّاسَ بِإِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ كَذَلِكَ وَنَهَايَهُنَّ عَنْ إِمْسَاكِهِنَّ

ضراراً اعتداءً عليهنّ بينَ فيّ هذه الآية حكم ما يفعل بهنّ بعد إنقضاء الأجل
فنهاهم عن منعهنّ عن التّزوج فقال تعالى:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ عَلَى النَّهْجِ الْمَقْرَّرِ فِي الشَّرْعِ فَلْيَنْ أَجْلَهُنَّ أَيِ انْقَضَتْ
عِدَّتُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَيِ لَا تَمْنَعُوا الْمُطَلَّقاتِ عَنِ التَّزْوِجِ ثَانِيًا أَوْ ثَالِثًا،
وَالْخَطَابُ قِيلَ أَنَّهُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَقِيلَ لِلزَّوْجِ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمَا بِالْمَعْرُوفِ أَيِ
إِذَا أُرِدْنَ أَنْ يُنْكَحْنَ أَرْوَاجُهُنَّ فَلَا تَمْنَعُوهُنَّ عَنْهُ قِيلَ الْمُرَادُ مِنْ رَضِيْن بِهِمْ
أَزْوَاجاً لَهُنَّ كَأَنَّ مَنْ كَانَ وَقِيلَ الْمُرَادُ الَّذِينَ كَانُوا أَزْوَاجاً لَهُنَّ مِنْ قَبْلِ وَإِطْلَاقِ
الْكَلَامِ يَشْمَلُ الْمُرْدِينَ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمَا بِالْمَعْرُوفِ أَيِ بِمَا
لَا يَكُونُ مُسْتَنْكَراً فِي عَادَةٍ وَلَا خَلْقٍ وَلَا عَقْلِ، وَقِيلَ إِذَا تَرَاضَى الزَّوْجَانِ
بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ وَقِيلَ إِذَا تَرَاضِيَا بِالْمَهْرِ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَيِ عَدَمِ مَنَعِهِنَّ عَنِ النِّكَاحِ أَوْ
مُطْلَقِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِمَّا يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْمِناً بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،
تَخْصِيصُ الْمُؤْمِنِ بِالذَّكْرِ لِأَنَّهُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ أَوْ أَنَّهُ أَوْلَى بِالِاتِّعَاضِ لِإِيْمَانِهِ وَأَمَّا
غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيتَاعَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ذِكْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ
أَيِ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ مِنْ أَدْنَسِ الْأَثَامِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
لَأَنْتُمْ مَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً.

روى بعض العامة أنّ السَّببَ فِي نَزُولِهَا أَنَّ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ كَانَتْ أُخْتَهُ تَحْتَ
أَبِي الْبَدَاحِ (أَبِي الدَّحْدَاحِ خ ل) فَطَلَّقَهَا وَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ثُمَّ نَدِمَ
فَخَطَبَهَا فَرَضِيَتْ وَأَبَى أَخُوهَا أَنْ يَزَوِّجَهَا وَقَالَ وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ
تَزَوَّجْتِيهِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ مَقَاتِلُ فِدَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعْقِلًا فَقَالَ أَنْ كُنْتُ
مُؤْمِناً فَلَا تَمْنَعُ أَخْتِكَ عَنْ أَبِي الْبَدَاحِ فَقَالَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَزَوَّجْتُهَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ وَ
رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ طَلَّقَتْهَا زَوْجَهَا حَتَّى انْقَضَتْ
عِدَّتُهَا فَخَطَبَهَا فَأَبَى مَعْقِلٌ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

ثم قال الثانية اذا ثَبَّتْ هذا ففي الآية دليل على أَنَّهُ لا يجوز النكاح بغير وَلِيٍّ لأنَّ أخت معقل كان ثيباً ولو كان الأمر اليها دُونَ وَلِيِّها لزوجت نفسها ولم تحتجِ إلى وَلِيِّها معقل فالخطاب اذاً في قوله: **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ** للأولياء وأنَّ الأمر اليهم في الترويج مع رضاهنَّ، وقيل أنَّ الخطاب في ذلك للأزواج وساق الكلام إلى أن قال والأول أصح لما ذكرناه من سبب النزول انتهى.

أقول ما ذكره لا يصح أما أولاً فلأنَّ الطبري نقل في تفسيره ما ذكره القرطبي ثم رجَّح القول الثاني وهو أعلم من القرطبي وأقدم ومع ذلك هو أعرف بمواضع الكتاب والسنة.

ثانياً: ما ذكره في سبب النزول مع ضعفه مخالف لنص الكتاب حيث قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(١)** وسيأتي الكلام فيها فأَنَّ قوله فلا جناح عليكم فيما فعلنَّ بأنفسهنَّ نص في المدعى وأنَّ الثيب لا يحتاج إلى وَلِيٍّ وتفصيل البحث في موضعه إن شاء الله تعالى.

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ
إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ
بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ
اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

◀ اللغة

وَالْوَالِدَاتُ: جمع الوالدة وهى الأم.

يُرْضِعْنَ: يقال رَضَعَ المولود يَرْضَع، وَأَرْضَعَتِ المرثة كان لهما ولد يرضع
إى اقتبس ثديها.

فِصَالًا: الفصال بكسر الالف التفريق بين الصَّبِي والرِّضَاع، والباقي واضح.

◀ الاعراب

وَالْوَالِدَاتُ، الوالد، الوالدات صفتان غالبتان فذالك لا يذكر الموصوف
معها لجرهما مجرى الاسماء حَوْلَيْنِ ظرف كَامِلَيْنِ صفته له لِمَنْ أَرَادَ تقديره
ذالك لمن اراد على الْمَوْلُودِ الف واللام بمعنى الذى له قائم مقام الفاعل
بِالْمَعْرُوفِ حال من الرِّزْق والكسوة والعامل فيها معنى الإستقرار فى، على إِلَّا
وُسْعَهَا مفعول ثانٍ لِأَنَّ كَلَّفَ، تتعدى الى مفعولين تَسْتَرْضِعُوا مفعوله محذوف

تقديره أجنبيّه، أو غير الأمّ **أَوَّلَادَكُمْ** مفعول حذف منه حرف الجر تقديره، لاولادكم **فَلَا جُنَاحَ** الفاء جواب الشرط **إِذَا سَلَّمْتُمْ** أيضاً شرط وجوابه ما يدل عليه الشرط الأول وجوابه وذلك المعنى هو العامل في، اذا مَا آتَيْتُمْ يُقرأ بالمدّ والمفعولان محذوفان تقديره ما أعطيتموهنّ آياه ويقرأ بالقصر تقديره ما جئتم به فحذف وقال أبو عليّ تقديره، ما جئتم نقده أو تعجيله.

◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ عَقِبَهُ بَيَانُ أَحْكَامِ الْأَوْلَادِ مِنْ حَيْثُ الرِّضَاعُ وَالتَّحْنِيطُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ:

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ قِيلَ صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْخَبَرِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ أَيُّ لِيَرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ كَقَوْلِهِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ وَالْقَائِلُ الطَّبْرَسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ تَبَعًا لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبَيَانِ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَبَرًا لَكَانَ كَذِبًا لِجَوَازِ أَنْ يَرْضِعْنَ أَكْثَرَ مِنْ حَوْلَيْنِ أَوْ أَقَلَّ ثُمَّ قَالَ، وَقِيلَ هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ وَتَقْدِيرُهُ وَالْوَالِدَاتُ يَرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ فِي حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي أَوْجِبَهُ عَلَى عِبَادِهِ فَحَذَفَ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ بِاسْتِحْبَابِ لَا أَمْرٌ بِإِجْبَابِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُنَّ أَحَقُّ بِرِضَاعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِنَّ أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَنَا أَقُولُ لَا خِلَافَ وَلَا إِشْكَالَ عِنْدَنَا أَنَّ الْإِرْضَاعَ لَا يَجِبُ عَلَى الْأُمِّ بِقَوْلٍ مُطْلَقٍ نَعَمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ كَأَنَّ لَا تَوْجُدَ مَرْضُوعَةً سِوَاهَا أَوْ يَكُونَ الْأَبُ مَفْقُودًا وَلَا مَالٌ لِلطِّفْلِ أَوْ مَعَ وَجُودِ الْأَبِ وَفَقْرِهِ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِالْوَجُوبِ عَلَى الْأُمِّ حِفْظًا لِلصَّبِيِّ عَنِ التَّلَفِّ وَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الصُّورِ فَالْمَشْهُورُ وَجُوبُ الرِّضَاعِ عَلَى الزَّوْجِ لَا عَلَى الزَّوْجَةِ وَلِذَلِكَ عَيَّنَ الشَّارِعُ الْأَجْرَةَ لَهَا عَلَيْهِ وَيَذَلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ^(١) فَقَوْلُهُ: **فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ****

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ

حُكْمَ الطَّلَاقِ

عَقِبَهُ بَيَانُ أَحْكَامِ

الْأَوْلَادِ

مِنْ حَيْثُ الرِّضَاعُ

وَالْتَّحْنِيطُ

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

فَقَالَ:

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ

أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ

كَامِلَيْنِ

قِيلَ صِيغَتُهُ

صِيغَةُ الْخَبَرِ

وَالْمُرَادُ بِهِ

الْأَمْرُ أَيُّ لِيَرْضِعْنَ

أَوْلَادَهُنَّ كَقَوْلِهِ

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ

وَالْقَائِلُ

الطَّبْرَسِيُّ فِي

مَجْمَعِ الْبَيَانِ

تَبَعًا لِلشَّيْخِ

رَحِمَهُ اللَّهُ

فِي التَّبَيَانِ

وَاسْتَدَلَّ

عَلَى ذَلِكَ

بِأَنَّهُ لَوْ

كَانَ خَبَرًا

لَكَانَ كَذِبًا

لِجَوَازِ أَنْ

يَرْضِعْنَ

أَكْثَرَ مِنْ

حَوْلَيْنِ

أَوْ أَقَلَّ

ثُمَّ قَالَ،

وَقِيلَ هُوَ

خَبَرٌ بِمَعْنَى

الْأَمْرِ

وَتَقْدِيرُهُ

وَالْوَالِدَاتُ

يَرْضِعْنَ

أَوْلَادَهُنَّ

حَوْلَيْنِ

كَامِلَيْنِ

فِي حُكْمِ

اللَّهِ الَّذِي

أَوْجِبَهُ

عَلَى عِبَادِهِ

فَحَذَفَ

لِلدَّلَالَةِ

عَلَيْهِ

وَهَذَا أَمْرٌ

بِاسْتِحْبَابِ

لَا أَمْرٌ

بِإِجْبَابِ

وَالْمَعْنَى

أَنَّهُنَّ أَحَقُّ

بِرِضَاعِهِمْ

مِنْ غَيْرِهِنَّ

أَنْتَهَى

كَلَامُهُ

رَحِمَهُ اللَّهُ

وَأَنَا أَقُولُ

لَا خِلَافَ

وَلَا إِشْكَالَ

عِنْدَنَا أَنَّ

الْإِرْضَاعَ

لَا يَجِبُ

عَلَى الْأُمِّ

بِقَوْلٍ

مُطْلَقٍ

نَعَمْ فِي

بَعْضِ

الْأَحْوَالِ

كَأَنَّ لَا

تَوْجُدَ

مَرْضُوعَةً

سِوَاهَا

أَوْ يَكُونَ

الْأَبُ

مَفْقُودًا

وَلَا مَالٌ

لِلطِّفْلِ

أَوْ مَعَ

وَجُودِ

الْأَبِ

وَفَقْرِهِ

يُمْكِنُ

الْقَوْلُ

بِالْوَجُوبِ

عَلَى

الْأُمِّ

حِفْظًا

لِلصَّبِيِّ

عَنِ

التَّلَفِّ

وَهُوَ

أَمْرٌ

آخَرُ

وَأَمَّا

فِي

غَيْرِ

هَذِهِ

الصُّورِ

فَالْمَشْهُورُ

وَجُوبُ

الرِّضَاعِ

عَلَى

الزَّوْجِ

لَا

عَلَى

الزَّوْجَةِ

وَلِذَلِكَ

عَيَّنَ

الشَّارِعُ

الْأَجْرَةَ

لَهَا

عَلَيْهِ

وَيَذَلُّ

عَلَيْهِ

قَوْلُهُ

تَعَالَى:

فَإِنْ

أَرْضَعْنَكُمْ

فَآتُوهُنَّ

أَجُورَهُنَّ

فَقَوْلُهُ: ^(١)

فَقَوْلُهُ: **فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ**

لَكُمْ، يَدَّل عَلَى عَدَمِ وَجُوبِهِ عَلَيْهِنَّ، وَالْأَحْسَنُ حَمْلُ الْأَمْرِ عَلَى مَطْلُقِ الرَّجْحَانِ الشَّامِلِ لِلوَاجِبِ وَغَيْرِهِ وَيَدَّل عَلَى عَدَمِ الْوَجُوبِ عَلَيْهَا بَعْدَ الْآيَةِ.

ما رواه في عن سليمان بن داود المنقري قال سأل أبو عبد الله عن الرِّضَاعِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَجْبِرُ الْحَزَّ عَلَى الرِّضَاعِ لِلْوَلَدِ وَتَجْبِرُ أُمَّ الْوَلَدِ أَنْتَهَى.

وهو المفتي به بين الأصحاب وأما التقييد بالحوالين يَدَّل عَلَى أَنَّ الْحَوْلِينَ مَدَّةَ الرِّضَاعِ وَوَصَفَهُمَا بِالْكَامِلِينَ لِدَفْعِ إِحْتِمَالِ التَّجَوُّزِ فِي إِطْلَاقِ الْحَوْلِ عَلَى مَا نَقَصَ عَنْهُ عِزْمًا بَلْ وَشَرْعًا كَمَا فِي حَوْلِ الزَّكَاةِ حَيْثُ يَتَحَقَّقُ بِهِلَالِ الثَّانِي وَأَنْ لَمْ يَتِمَّ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَامِلِ الشَّمْسُ لِأَنَّهُ الَّذِي يَوْصَفُ بِهِ دُونَ الْقَمَرِيِّ لِنَقْصَانِ بَعْضِ أَشْهُرِهِ وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنَ الْبُعْدِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى جَوَازِ الْإِقْتِصَارِ فِيهِ عَلَى مَا دُونَ ذَلِكَ.

وُثِّلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ الْحَوْلَانِ الْكَامِلَانِ لَيْسَ لِكُلِّ مَوْلُودٍ بَلْ لِمَنْ وَلِدَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَأَنْ وَلِدَ لِسَبْعَةِ فَثَلَاثَةِ وَعِشْرُونَ وَأَنْ وَلِدَ لثَمَانِيَةِ فَرَضَاعِهِ أَثْنَانِ وَعِشْرُونَ شَهْرًا وَأَنْ وَلِدَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَرَضَاعُهُ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا^(١) وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ هُوَ لِكُلِّ مَوْلُودٍ وَأَنَّهُ إِذَا اِخْتَلَفَ وَالِدَاهُ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَمَدُ لِلْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ وَ لِقَوْلِهِ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ وَلِلزَّوَايَاتِ وَأَمَّا لِقَوْلِهِ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَقَلِّ مَدَّةِ الْحَمْلِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَلَا تَنَافِي بَيْنَ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ مِنْ كَوْنِ مَدَّةِ الْحَمْلِ قَدْ تَكُونُ سِتَّةَ وَقَدْ تَكُونُ سَبْعَةً وَقَدْ تَكُونُ ثَمَانِيَةً وَهَكَذَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ والمراد بالمولود له، الأب لأنه الذي ينسب اليه الولد حقيقة الأم فهي وعاء ومع ذلك ففي التعبير بذلك دون الزوج تنبيه على أن الزوج قد يكون غير المولود له، كالمطلق ولا نفقة عليه وإنما يجب من حيث كونه والدًا والنفقة عليه من هذه الحيثية، ولفظ على، يقتضي الوجوب عليه، والمراد بالرزق هو ما يحتاج اليه من المأكل والمشروب وفي إضافة الرزق والكسوة اليهن إشارة إلى أن المعتبر فيهما حالها بحسب شأنها وزيتها وقوله: بِالْمَعْرُوفِ هو قيل للرزق والكسوة أي أن قدر الواجب منهما أن لا يتجاوز المعروف عند أهل العرف ففيه دلالة على أن ذلك من قبيل أجرة المثل وقوله تعالى:

لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا إشارة إلى أنه لا يجوز أن تنقص النفقة عما تناسب حال مثلها من الأجرة وأنه لا يجب على الزوج إلا ما دخل في وسعه وكان من قدرته ولا سقطت عنه النفقة ويفهم من ذلك عدم وجوب نفقة الرضاع على الأب اذا كان فقيراً وأنها تجب على الأم وهذا كله مع إعسار الطفل وإلا فلا نفقة عليهما بل هي من ماله وحيث ظهر من الآية لزوم النفقة للمرضعة على الوالد من حيث كونه والدًا أو أن نفقة ولده عليه وأن الإرضاع ليس بواجب على الأم ظهر لك أنه يجوز للأم الحرة أن تأخذ الأجرة على الإرضاع وأنه يجوز للوالد إستيجارها لذلك سواء كانت في حباله او مطلقة هذا هو المشهور بين الاصحاب المدلول عليه بقوله تعالى: فَأَنزَوْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ ولاكن نقل عن الشيخ في المبسوط القول بالمنع وكذاك قال ابوحنيفة ذاك ان الزوج لك منافع الزوجة كالاجير الخاص فلا يجوز ان يوقع عليهما عقد اجارة فعلى هذا فعلى هذا يكون الرزق والنفقة المذكورة في هذه الآية لِنَفَقَةِ الزَّوْجِيَّةِ لا أَجْرَةَ الرِّضَاعِ ولا يخفى ما فيه لأن الزوج أنما يملك البضع دون سائر المنافع وأما قوله تعالى:

لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ أَنَّمَا قِيلَ، تَضَارَّ، والفعل من واحدٍ قيل لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة من اثنين وذلك لأنه يضربه أن رجع عليه منه ضرورة فكأنه قيل لا تَضَارَّ والدته من الزوج بولدها وكذلك فرض الوالد

و عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أي لا يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده، يعني لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضرب ذلك بالأب وقيل، لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا بأن ينزع الولد منها ويسترضع امرأة أخرى مع إجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ أي لا تمتنع هي من الإرضاع إذا أعطيت أجرة مثلها والأولى حمل الآية على عموم ذلك قاله الشيخ في التبيان وقيل معناه أن على الوالدة ألا تَضَارَّ بولدها فيما يجب عليها من تعاوده والقيام بأمره ورضاعه وغذاؤه وعلى الوالد أيضاً ألا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه وعلى أمه وفي حفظه وتعاوده، نقله الشيخ أيضاً في التبيان وقال القرطبي المعنى لا تأبى الأم أن ترضعه إضراراً بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ولا يحل للاب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع انتهى.

أقول والكل محتمل ولكل وجه أعلم أن تَضَارَّ أصله تضار بكسر الراء الأولى بالبناء للفاعل أي لا تمنع زوجها من الجماع بسبب مخافتها على ولدها وكذا المولود له لا يجوز له أن يترك جماعها لذلك ويحتمل جعلها من المبني للمفعول وعلى الأول، والدته، مرفوع على الفاعلية وكذا، مولود له، وعلى الثاني على النيابة عنه ويدل على هذا المعنى.

ما رواه في الكافي عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ فقال عليه السلام كانت المراضع مما يدفع إحداهن الرجل

إذا أراد الجماع تقول لا أدعك أني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا
الذي أرضعه و كان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أجامعك
فأقتل ولدي فيدعها فلا يجامعها فنهي الله عز وجل عن ذلك بأن
يضار الرجل المرأة انتهى.

فالتنهي على هذا المعنى يحتمل أنه على الكراهة أو التحريم بناءً على أن
في تركه مضرة كالمرض والوقوع في الزنا ونحو ذلك أو بعد الأربعة أشهر
بالنسبة إلى المرأة فإنه لا يجوز ترك جماعها زيادةً عليها قيل وهاهنا وجه آخر
يفهم من الرواية المذكورة وهو أن المضارة منعها من الأجرة إذا أرضعته و
مضارة المولود له، هي أن تكلفه زيادةً على أجرة المثل أو خلاف قدرته فهو
من قبيل البيان لقوله: لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا وفي المقام وجه آخر وهو
أن لا توقع به الضرر بأن تترك إرضاعه تعتأ أو غيضاً على أبيه فأنها أشفق عليه
من الأجنبية ولا يوقع الأب أيضاً الضرر بولده بأن ينزعه من أمه و يمنعها من
إرضاعه فعلى هذا تكون المضارة بمعنى الإضرار ويكون الإتيان بصيغة
المفاعلة لجهة المبالغة و أمّا قوله:

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَقِيلَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ الْخ وَالْمَعْنَى أَنَّ
وارث المولود له وهو الأب، بعد موته يقوم مقامه في لزوم رزق المرضعة و
كسوتها وأن يكون ذلك بالمعروف و تجنبه المضارة على ما مرّ بيانه، فعن
تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال سألته عن قوله
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ قَالَ عليه السلام لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول لا
أدع ولدها يأتيها ويضار ولدها أن كان له عندهم شيء ولا ينبغي أن يقتر عليه
انتهى.

و أيضاً عنه عن أحدهما قال سألته وعلى الوارث مثل ذلك، قال عليه السلام هو
في النفقة على الوارث مثل ما على الوالد انتهى.

وقد عرفت ممّا أشرنا اليه فيما مرّ أنّ نفقة الولد على الوالد ومع فقدّه فعلى الجدّ وهكذا ثمّ على الأمّ وأنه مع يسار الولد فنفقته على نفسه لأنّه غنيّ و عليه فالمراد بالوارث الأقرب من أجداد الأب من باب إطلاق وإرادة المقيدّ و يدلّ عليه إطلاق الروايتين ويحتمل أن يكون المراد بالوارث وارث الأب أي الطفل كما يدلّ عليه قوله في الرواية الأخيرة أن كان لهم عنده شيء، و ما رواه في الفقيه أنّه قضى أمير المؤمنين في رجل توفى وترك صبيّاً واسترضع له أنّ أجر رضاع الصبي ممّا يرث من أبيه وأمه انتهت.

و ما رواه في الصحيح عن ابن سنان عن أبي عبد الله في رجل مات وترك إمراة و معها منه ولد فألقته على خادم لها فأرضعته ثمّ جاءت تطلب رضاع الغلام من الوصي فقال أجر مثلها ولى للوصي أن يخرج من حجرها حتّى يدرك ويدفع اليه ماله ويكون الذي يلي هذا الأمر الولي والوصي والحاكم انتهت.

ويحتمل أن يكون المراد ما يشمل الطفل أن كان ذا مال، وأجداده للأب أن لم يكن له مال، ويحتمل أن يكون المراد ما يشمل الأم على الترتيب الذي أشرنا اليه سابقاً وقيل المراد بالوارث الباقي من الأبوين والمعنى على الباقي من الأبوين الرزق والكسوة ويحتمل أن يكون المراد من الوارث مطلق الوارث، قال في مجمع البيان وفي أخبارنا أنّ على الوارث كائناً من كان النفقة قال وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة وأحمد بن إسحاق انتهت.

أقول الأقوال من العامة والخاصة كثيرة جداً وليس في المقام قول يعتمد عليه في تفسير الآية وذلك لأنّه قد ثبت أنّ نفقة الولد على الوالدين وعليه فما معنى قوله: **وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ** بناء على أن يكون قوله: **وَعَلَى الْوَارِثِ** معطوفاً على المولود له ولازم العطف أنّه يجب على الوارث من النفقة والكسوة على المرضعة مثل ما كان واجباً على المولود وهو الأب وهذا

هو الاشكال الذى اوقع المفسرين فى الحيص والبيص فقالوا فى معنى الآية قالوا ووقعوا فيما وقعوا فتارة حملوا الوارث على الجد وتارة على الأم وتارة على علي وارث الصبي لو مات وتارة عليه لأنه الوارث بعد موت أبيه وتارة على مطلق الوارث كائناً من كان وهكذا وهكذا ومن العامة من قال بأنها منسوخة فهذه الاحتمالات كلها ظنيات بل وهميات لا يمكن الإعتماد عليها والزكون بها تفسير كلام الله تعالى اللهم إلا أن يقال أن وجوب الثقة والكسوة على المولود له وهو الأب، مشروط بحياته فلو مات الأب فهو على الوارث كائناً من كان كما يظهر ذلك من بعض الأخبار المذكورة سابقاً، هذا كله إذا كان قوله و على الوارث مثل ذلك معطوفاً على قوله وعلى المولود له وما بينهما إعتراض لبيان تفسير المعروف كما هو المشهور بين المفسرين ونص عليه صاحب الكشف فيلزم المولود له، كما مرّ بيانه مفصلاً.

و أما إذا قلنا أن قوله: وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ معطوف على قوله: لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وكان المشار اليه، بذلك، هو عدم الأضرار فيكون المعنى وعلى الوارث من تحريم الأضرار على الأم ما على الأب أي كما أن الأضرار عليها من جانب الأب كان ممنوعاً محرماً كذلك من جانب الوارث وعليه فلا يرجع، ذلك الى جميع ما تقدّم حتى يشمل الثقة والكسوة بل يرجع الى تحريم الأضرار ويؤيد هذا الإحتمال أنه لو أراد الجميع من الإرضاع والإنفاق وعدم الضرر لقال وعلى الوارث مثل هؤلاء و حيث لم يقل فهو دليل على أنه معطوف على المنع من المضارة والله تعالى أعلم بالمقصود.

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا.

أي فأن أراد الوالد والوالدة، فصلاً، أي فطاماً عن الرضاع أي عن الإغتذاء بلبن أمه الى غيره من الأقوات، قالوا الفِصال والفصل الفطام وأصل الفطام

التفريق بين الصبي وثدي أمه ومنه سُمي الفصيل لأنه مفصول عن أمه عن تراضي منهنهما قبل الحولين فلا جناح عليهما، أي في فصله وذلك لأن سببانه لما جعل مدة الرضاع حولين بين أن فطامهما هو الفطام وفصالهما هو الفصال ليس لأحدٍ عنه فنزع إلا أن يتفق الأبوان على أقل من ذلك العدد من غير مضارة بالولد وظاهر قوله عن تراضي منهنهما عدم كفاية الرضا عن أحدهما سواء كان الراضي بالفصال هو الأب أم الأم وهو كذلك والمراد بتشاورهما تشاور الأبوين بما يصلح حال الطفل وعدم إضراره ثم أن إعتبار رضا الأب لا شك فيه لأنه وليه وأما الأم فكذلك لأن لها فيه حق بل هي أعرف بحال الطفل غالباً مع كثرة شفقتها ويستفاد من مفهوم الآية أن الفصال قبل الحولين إذا كان فيه ضررٌ على الطفل ففيه جناح، أن قلت أن الله تعالى أضاف الرضا بهما فقال عن تراضي منهما، أي من الأبوين وأما التشاور فلم يضيف إليهما فلم يقل وتشاورهما، قلت لعل الوجه أن التشاور ينبغي أن يكون مع العارفين بحال الصبي كالطبيب مثلاً أو من كان له تجربة في أمثال هذه الأمور فإن أكثر الآباء والأمهات لا علم لهم بحقيقة الأمر وهو واضح.

وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف.

أي أن أردتم أن تسترضعوا المراضع أولادكم بأن تطلبوا لهم مرضعة غير الأم فحذف أحد المفعولين إكتفاءً بما دل عليه من القرائن والخطاب للأزواج بالرخصة لهم بذلك ويكون الإطلاق مقيداً بما إذا كانت الأم مفقودة أو أبت عن قبول إرضاعه أو نحو ذلك من المحاذير ويحتمل أن يكون لهم أي لجميع الآباء والأمهات فإن ذلك حقٌ لهما وفي قوله تعالى: إذا سلمتم الخ إشارة إلى أن المراضع إذا سلمتم اليهن الأجرة بالفعل أو مؤجلاً فلا إشكال فيه فيصير المعنى أن أردتم الإسترضاع لأولادكم فلا جناح أي ولا إثم عليكم في ذلك

الإسترضاع اذا سَلَّمْتُم الى تلك المراضع، ما آتَيْتُم، أي ما أردتم إعطاؤه إِيَّاهن و شرطتم لهنَّ بالمعروف أي بالوجه المتعارف الحسن شرعاً و عقلاً فكأنَّ جزاء الشَّرْط محذوف، والتَّقْيِيد للْحَثِّ والتَّغْيِيب على إعطاء الأُجرة وغاية الإهتمام بإعطاء حقوق النَّاس أو الإهتمام بتربية الصَّبِيِّ فأنَّها مع الأخذ بتصير راضية بالرَّضاع فتعمل غاية الجُهد كما في المَهر، لا لعدم الجواز والصَّحة بدونه على ما قالوه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ مبالغة في المحافظة على ما شرَّع من أمر الأطفال والمراضع بل في مطلق الواجبات والمحرمات، وقوله وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْخَبِيرُ وتهديد و خوف و وَعْد و أَنَّهُ لا يخفى عليه شيء ممَّا تقولون أو تعملون.



وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي
أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ (٢٣٤)

◀ اللغة

يُتَوَفَّوْنَ: التوفي كناية عن الموت أي يموتون.
يَذَرُونَ: يقال فلان يذر الشيء أي يقضه لقلة اعتداده به لم يستعمل ماضيه.
أَزْوَاجًا أزواج جمع زوج وهو يقال لكل واحد من القرينتين من الذكر و
الانثى في الحيوانات المتزاوجة.
يَتَرَبَّصْنَ: التربص التأني والتصبر عن النكاح الاعراب.

◀ الإعراب

في هذه الآية أقوال:

أحدها: أَنَّ الَّذِينَ، مبتدأ والخبر محذوف، تقديره وفما يتلى عليكم حكم
الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ منكم ومثله، السَّارِق والسَّارِقَة والزَّانِيَة والزَّانِي وقوله، يَتَرَبَّصْنَ
بيان الحكم المتلّو وهذا قول سيبويه.

ثانيها: أَنَّ المبتدأ محذوف و الَّذِينَ قام مقامه، وتقديره وأزواج الَّذِينَ
يُتَوَفَّوْنَ منكم، والخبر يَتَرَبَّصْنَ و دَلْ على المحذوف قوله: وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا.
ثالثها: أَنَّ الَّذِينَ، مبتدأ، و، يَتَرَبَّصْنَ، الخبر والعائد محذوف، تقديره بعدهم
أو بعد موتهم.

رابعها: أَنْ، الَّذِينَ، مبتدأ وتقدير الخبر، أزواجهم يترَبَّصْنَ، فأزواجهم مبتدأ و يترَبَّصْنَ الخبر، فحُذِفَ المبتدأ لدلالة الكلام عليه.

خامسها: أَنَّهُ ترك الأخبار عن الأذنين، وأخبر عن الزوجات المتَّصِل ذكرُهُنَّ بالَّذِينَ، لأنَّ الحديث معهنَّ في الإعتداد بالأشهر فجاء الأخبار عما هو المقصود وهذا قول القراء والجمهور على ضمَّ الياء في، يتوفَّون على ما لم يسمَّ فاعله و يقرأ بفتح الياء على تسمية الفاعل والمعنى يستوفون آجالهم منكم في موضع الحال من الفاعل المضمر وعشراً أي عشر ليالٍ لأنَّ التاريخ يكون باللييلة اذا كانت هي أوَّل الشهر واليوم تبع لها بالمعروف حال من الضمير المؤنث في الفعل أو مفعول به أو نعت لمصدر محذوف وقد تقدَّم مثله.

◀ التفسير

لَمَّا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ عِدَّةَ الطَّلَاقِ وَاتَّصَلَ بِذِكْرِهَا الْإِرْضَاعَ ذَكَرَ عِدَّةَ الْوَفَاةِ لئَلَّا يَتَوَهَّم أَنَّ عِدَّةَ الْوَفَاةِ مِثْلُ عِدَّةِ الطَّلَاقِ فَقَالَ:

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَيِ وَالرِّجَالُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً أَيِ يَتْرُكُونَ أَزْوَاجاً، أَيِ وَلَهُمْ زَوَاجَاتٌ يَتَرَبَّصْنَ الْأَزْوَاجَ بَعْدَهُم وَالتَّرَبُّصُ التَّنَاصُحُ وَالتَّصَبُّرُ عَنِ النِّكَاحِ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ عَنِ مَسْكَنِ النِّكَاحِ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا تَفَارِقُهُ لَيْلًا بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا قِيلَ تَعْتَبِرُ الْأَلْشَّهْرَ بِالْهَيْلِ مَا أَمَكْنَ فَلَوْ مَاتَ فِي أَوَّلِ جُزْءٍ مِنَ الشَّهْرِ إِغْتَبِرَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ وَخَرَجَتْ عَنِ غُرُوبِ الشَّمْسِ مِنَ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ فَلَوْ مَاتَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْهُ بَلَ وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهُ فَهُوَ كَذَلِكَ لِصَدَقَهُ عِزْمًا عَلَى ذَلِكَ وَأَنَّ مَضَى مِنْهُ جُزْءٌ وَالْأَحْوَاطُ أَنَّ يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا مَضَى مِنَ الْكُسْرِ وَكَذَا لَوْ مَاتَ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرَةُ أَيَّامٍ بِالْزِيَادَةِ وَلَا نَقْصَانٍ فَأَنْهَا تَخْرُجُ مِنَ الْعِدَّةِ

بهلال الشهر الخامس و أمالومات وقد بقي منه أكثر من العشرة أو أقل فيجري فيه الخلاف المذكور في عدة الطلاق وفي عد المنكسر ثلاثين والإكتفاء بما فات منه خاصة والأحوط مراعاة العد ثلاثين فيه فإذا بلغن أجلهن أي اذا إنقضت العدة فلا جناح ولا إثم عليكم فيما فعلن الأزواج في أنفسهن بالمعروف يريد به التزوج من التزني وإطراح الأحداد وقوله بالمعروف أي بما أذن فيه الشرع من إختيار الأزواج وتقدير الصداق وأمثال ذلك والله بما تعملون خبير أعلم أن هنا مسائل:

الأولى: كانت عدة الوفاة في صدر الإسلام سنة والنفقة والإسكان على ما قاله تعالى: **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ** وسيأتي الكلام فيها ثم نسخت بقوله:

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا وعليه فالآية المبحوثة عنها في المقام ناسخة لها وأن كانت متقدمة عليها في التلاوة وعند الشافعي الإسكان ثابت ولم ينسخ وقال أبو مسلم الأصفهاني أن حكمها باق في الحامل وكل ذلك باطل عندنا للأخبار المروية عن أئمتنا الدالة على النسخ.

الثانية: ظاهر الآية بإطلاقها يتناول كل زوجة توفى عنها زوجها دائماً أو منقطعاً مسلمة أو كافرة حائلاً أو حاملاً صغيرة أو كبيرة مدخولة بها أم لا حرة أو أمة زوجها صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً وقد خرج عن هذا العموم أمور:

الأول: المستمتع بها فقد نقل عن المفيد والمرتضى أن عدتها شهران وخمسة أيام لمرسلة علي بن شعبة الحلبي عن أبيه عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن رجل تزوج امرأة متعة ثم مات عنها ما عدتها قال عليه السلام خمسة وستون يوماً أنتهى.

وهذه الرواية ضعيفة بالإرسال لا تصلح لتخصيص القرآن مع أنه قد ورد في صحيحة زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام ما عدة المتعة اذا مات عنها الذي تمتع بها قال عليه السلام: أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا قَالَ ثُمَّ قَالَ عليه السلام يازرارة كلّ النكاح اذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة أو على أي وجه كان النكاح متعةً أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر وعشراً و عدة المطلقة ثلاثة أشهر والأمة المطلقة عليها نصف ما على الحرّة وكذلك المتعة عليها ما على الأمة وروي ابن بابويه في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن المرأة يتزوجها الرجل متعةً ثم يتوفى عنها هل عليها العدة فقال تعتد أربعة أشهر وعشراً انتهى.

والى هذا القول ذهب الأكثر وهو الأقوى.

الثالثة: الحامل فإن عدتها أبعد الأجلين على المشهور بين الأصحاب لأنه مقتضى الجمع بين الأيتين، قال المحقق في الشرائع ولو كانت حاملاً اعتدت بأبعد الأجلين، وقال صاحب الجواهر في الشرح، من وضع الحمل وقضى الأربعة أشهر وعشراً ثم قال المحقق فان وضعت قبل استعمال الأربعة الأشهر وعشرة الأيام صبرت الى انقضائها قال الشارع وكذا العكس وان مضت الأربعة الأشهر وعشراً ولم تضع صبرت الى ان وضعت الحمل وهذا مجمع عليه بين الاصحاب بل ادعى عليه الاجماع بقسمه مضافاً الى النصوص المستنفضة او المتواتره بل قيل أنه مقتضى الجمع بين آيتي الإحمال والوفاة لدخول الحامل ح تحت عامين فإمتثالهما الأمر فيهما يحصل بإعتدائها بأبعد الأجلين.

الرابعة: أن الظاهر وجوب العدة من حين الوفاة وقيل من حين وصول الخبر الى الزوجة وهو الأقوى أمّا أولاً فللإجماع، وثانياً لأن قوله تعالى:

يَتَرَبِّصْنَ أَيْضاً إِشَارَةَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ حَبَسَ النَّفْسَ عَلَى الْعِدَّةِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ بِدُونِ وَصُولِ الْخَبَرِ لَا يُمْكِنُ وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الضَّعْفِ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَبَسَ النَّفْسَ عَلَى الْعِدَّةِ الَّذِي يَسْتَفَادُ مِنَ التَّرَبُّصِ لَا يَنَافِي إِحْتِسَابَ الْمُدَّةِ مِنْ حِينَ الْفَوْتِ بَعْدَ ظَهْوَرِهِ فَقَوْلُهُ: يَتَرَبِّصْنَ لَا دَلَالَةَ لَهُ عَلَى الْمَدْعَى نَعَمْ لَوْ ثَبَتَ الْإِجْمَاعُ فَهُوَ وَإِلَّا فَالْقَوْلُ بِوُجُوبِ الْعِدَّةِ مِنْ حِينَ الْوَفَاةِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ.



وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةٍ
النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ
تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ
حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ
كَالِيمٌ (٢٣٥)

◀ اللغة

عَرَّضْتُمْ: التعريض ضد التصريح وهو إفهام المعنى بالشئ المحتمل له و
غيره وهو من عرض الشئ وهو جانبه وقيل هو من قولك عرضت الرجل أي
أهديت إليه تحفة.

خُطْبَةِ النِّسَاءِ، الخُطْبَةُ: بكسر الخاء فعل الخاطب من كلام وقصد و
إستلطاف بفعل أو قول يقال خُطِبَها يخطبها خُطْباً وَخُطْبَةً وَرَجُلٌ خُطَّابٌ
كثيراً التصرف في الخُطْبَةِ.

أَكُنْتُمْ: الإكِنان الستر والإخفاء يقال كُنْتَهُ وَأَكْنَتَهُ بمعنى واحد و عليه
فقوله: أَكُنْتُمْ، أي سَتَرْتُمْ وَأَضْمَرْتُمْ من التزوج بها بعد إنقضاء عدتها.
وَلَا تَعْزِمُوا: العزم القصد أي ولا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة.

◀ الإعراب

مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ الجار والمجرور في موضع الحال من الهاء المجرورة
فيكون العامل فيه عَرَّضْتُمْ، ويجوز أن يكون حالاً من ما، فيكون العامل فيه
الإستقرار مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ مصدر مضاف الى المفعول والتقدير من خطبتكم

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ أَوْ، للإباحة والمفعول محذوف تقديره، أو أَكُنْتُمْوه سِرّاً مفعول به لأنه بمعنى النِّكَاحِ أي لا تواعدوهنَّ نكاحاً وقيل هو مصدر في موضع الحال تقديره مستخفين بذلك والمفعول محذوف تقديره لا تواعدوهنَّ النِّكَاحِ سِرّاً ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي مواعدة سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَفْعُولِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَقِيلَ مَتَّصِلٌ وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةً أَيْ عَلَى عُقْدَةِ النِّكَاحِ، والعقدة بمعنى العقد فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول.

٤ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ عِدَّةَ النِّسَاءِ وَجَوَازَ الرِّجْعَةِ فِيهَا لِلْأَزْوَاجِ عَقِبَ الْكَلَامِ بَيَانَ حَالِ غَيْرِ الْأَزْوَاجِ فَقَالَ تَعَالَى:

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيْ لَا حَرَجَ وَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ يَامَعْشَرَ الرِّجَالِ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ الْمَعْتَدَاتِ بَأَن تَذْكُرُوا لَهُنَّ مَا يَدُلُّ عَلَى رَغْبَتِكُمُ الْيَهْنَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ بِهِ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ لَهَا أَنِّي أُرِيدُ النِّكَاحَ، أَوْ أَنَّكَ لَجَمِيلَةٌ، أَنَّكَ لَصَالِحَةٌ، أَنِّي فِيكَ لِرَاغِبٍ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ التَّعْرِضَاتِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَيْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بِالتَّزْوُجِ بِهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا لِأَنَّ النِّكَاحَ مَشْرُوعٌ مَرَّغَبٌ فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّهْجِ النَّقَرَّرِ فِي الشَّرِيعَةِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ إِمَّا سِرّاً وَآمَّا إِعْلَاناً فِي نَفُوسِكُمْ وَبِالْسَّتِّكُمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَخْطُبُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُهُنَّ سِرّاً أَيْ عَلَى سِرِّ فَحَذَفَ الْحَرْفَ لِأَنَّهُ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ أَحَدُهُمَا بِحَرْفٍ جَرَّ ثَمَّ أَنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: سِرّاً، فَقِيلَ مَعْنَاهُ نِكَاحاً أَيْ لَا يَقِلُّ الرَّجُلُ لِهَذِهِ الْمَعْتَدَةِ تَزْوِجِيْنِي بَلْ يَعْزِضُ أَنَّ الْمُرَادَ وَلَا يَأْخُذُ مِيثَاقَهَا وَعَهْدَهَا عَلَى أَنْ لَا تَنْكَحَ غَيْرَهُ فِي إِسْتِسْرَارٍ وَخَفِيَةٍ وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ جَبْرِ وَمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ،

وعلى هذا التأويل فقوله، سرّاً نصب على الحال أي مستسرّين وقيل السرّ الزنا أي لا يكونن منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزوج بعدها وبه قال الضحاك والنخعي وقتادة وأختره الطبري ومنه قول الأعشى.

فلا تقرّين جارةً أنّ سرّها عليك حرامٌ فأنكحن أو تأبداً
وقال الحطيئة.

ويُحرم سرّ جارتهم عليهم ويأكل جارههم أنف الإقصاع
وقيل السرّ، الجماع أي لا تصفوا أنفسكم لهنّ في النكاح فإن ذكر الجماع مع غير الزوج فحشٌ وهذا قول الشافعي - قال أمرؤ القيس.

ألا زعمت بسبابة اليوم إتنى كبرت وإلا يحسن السرّ أمثالي
وقيل السرّ عقدة النكاح سرّاً كان أو جهراً قال الأعشى.

فلن يطلبوا سرّها إلغنى ولكن يسلموها لإزهادها
والمعنى لن يطلبوا نكاحها لكثرة مالها ولن يسلموها لقلة مالها فهذه هي الأقوال المنقولة في تفسير السير.

إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا يعنى التعريض الذى الاحه الله تعالى و الا
بمعنى لاكن لان ما قبلها هو المعنى عنه وما بعد ما هو الماذون فيه وتقديره و
لاكن قولوا قولاً معروفاً ولا تغزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله
تقديره على عقدة النكاح حذف، على، لدلالة الكلام عليه لأنه لا يكون إلا
على معزوم عليه كما يقال ضربه الظهر والبطن أي على الظهر والبطن قاله في
التبيان والمعنى ولا تعتدوا عقدة النكاح لأن معنى، تغزموا، وتعتدوا، واحد و
قوله: حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ معناه حَتَّى انقضت العدة والكتاب الذي يبلغ
أجله هو القرآن ومعناه، فرض الكتاب أجله، ويجوز أن يكون الكتاب نفسه هو
الفرض ذكره الزجاج و وجه ثالث أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب
الدين ذكره الحبائي قال القرطبي والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر

الَّذِي رَسَمَ مِنَ الْمُدَّةِ سَمَاهَا كِتَاباً أَذْ قَدْ حُدَّهُ وَفَرَضَهُ كِتَابَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى
كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةُ وَكَمَا قَالَ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً
فَالْكِتَابَ الْفَرَضُ أَيَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْفَرَضُ أَجَلَهُ، وَقِيلَ فِي الْكَلَامِ حَذَفَ وَتَقْدِيرُهُ
حَتَّى يَبْلُغَ فَرَضَ الْكِتَابِ أَجَلَهُ فَالْكِتَابَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ بِمَعْنَى الْقُرْآنِ وَعَلَى
الْأَوَّلِ لَا حَذَفَ فَهُوَ أَوْلَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ أَيَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ
أَسْرَارَكُمْ وَضُمَائِكُمْ لِأَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاحْذَرُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِ أَوْ
فَاحْذَرُوا عَنِ التَّفَاقُ أَوْ فَاحْذَرُوا عَنْ عِقَابِهِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَى مَخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ
وَارْتِكَابِ نَوَاهِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ غَفُورٌ لِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ
جَمِيعاً، حَلِيمٌ لِأَنَّهُ يُمَهِّلُ الْعُقُوبَةَ الْمَسْتَحَقَّةَ وَلَا يُعَجِّلُ لَهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ وَلِنَشْرَ إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ، عَنْ كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ
بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّانِي عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ
يَقُولُ فِيهِ وَأَمَّا فَأَشْرَطَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عِدَّتُهُنَّ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا، يَعْنِي إِذَا تَوَفَّى
عَنْهَا زَوْجُهَا فَأَوْجِبَ عَلَيْهَا إِذَا أُصِيبَتْ بِزَوْجِهَا وَتَوَفَّى عَنْهَا مِثْلُ مَا أَوْجِبَ
عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ إِذَا لَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَعَلِمَ أَنَّ غَايَةَ صَبْرِ الْمَرْأَةِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فِي تَرْكِ
الْجَمَاعِ فَمَنْ ثُمَّ أَوْجِبَ عَلَيْهَا وَلَهَا أَنْتَهَى.

وَعَنْ تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خَطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فَهُوَ أَنْ يَقُولَ
الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا تَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا لَا تَحْدِثِي حَدَثًا وَلَا يَصْرَحْ لَهَا
النِّكَاحَ وَالتَّزْوِيجَ فَتَنْهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَالسَّرْفِ فِي النِّكَاحِ فَقَالَ:
لَا تُؤَاوِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَالَ مِنَ السَّرِّ أَيْضًا
أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ فِي عِدَّةِ الْمَرْأَةِ لَهَا مَوْعِدُكَ بَيْتَ فُلَانٍ أَنْتَهَى.

وعن الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الرَّجُل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدتها أو أعدك بيت فلان، ليعرض لها بالخطبة، ويعني بقوله: إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا التَّعْرِيزُ بِالْخُطْبَةِ وَلَا يَعْزِمُ عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجْلَهُ انْتَهَى.

وأسناده عن علي بن أبي حمزة قال سألت أبا الحسن عن قول الله عزَّ وجلَّ، ولكن لا تؤاعدوهن سِرًّا، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الرَّجُلُ أو أعدك بيت آل فلان يفرض لها بالرفث ويرفث يقول الله عزَّ وجلَّ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا والقول المعروف التَّعْرِيزُ بِالْخُطْبَةِ عَلَى وَجْهٍهَا وَجِلَّهَا (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ أجله انتَهَى) ^(١)

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ
تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ
عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّاعاً
بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)

◀ اللغة

تَمَسُّوهُنَّ: التمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس وكُنِيَ به عن النكاح.
تَفْرِضُوا: الفرض في الأصل قطع الشيء والتأثير فيه كفرض الحديد وفرض
الزئد والقرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال إعتباراً بوقوعه وثباته والقرض
بقطع الحكم فيه قاله الراغب في المفردات ثم قال وكل موضع ورد فرض الله
عليه ففي الإيجاب الذي أدخله الله فيه انتهى وهو في المقام وأمثاله كناية عن
المهر الذي أوجبه الزوج على نفسه.

المُوسِعُ: يقال أوسع فلان إذا كان له الغنى وصار ذا سعة.

قَدَرُهُ: القدر بفتح القاف والدال مصدر يقال قَدَرَ وَقَدَّرًا، الطاقة والقوة.

الْمُقْتِرِ: بضم الميم اسم فاعلٍ من إقتر بمعنى الفقر وذلك لأن القتر تقليل
النفقة وهو بأزاء الإسراف يقال قد قترت الشيء وأقترته وقترته أي قللته وأصله
من القطار.

◀ الإعراب

مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ما، مصدرية والزمان معها محذوف وتقديره في زمن ترك
مَسَّهُنَّ وقيل، ما، شرطية أي أن لم تَمَسُّوهُنَّ فَرِيضَةً يجوز أن تكون مصدرًا
وأن تكون مفعولاً به، وفعلية هنا بمعنى مفعوله والموصوف محذوف تقديره
متعة مفروضة وَمَتَّعُوهُنَّ معطوف على فعلٍ محذوف وتقديره فطَلَقُوهُنَّ

ومتعوهنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ والجمهور على الرَّفْع والجملة في موضع الحال من الفاعل تقديره بقدر الوُسْع و في الجملة محذوف تقديره على الموسع منكم ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة لا موضع لها و يقرأ، قدره بالنصب وهو مفعول على المعنى و القدر لغتان و قد قرأ بها و قيل القدر الطَّاقَة والقدر بالتحريك المقدار متاعاً إسم للمصدر والمصدر التمتع وإسم المصدر يجري مجراه حقاً مصدر حق ذلك حقاً وعلى متعلقة بالنائب للمصدر.

التفسير

إِعلم أنَّ هذه الآية أيضاً نزلت لبيان أحكام المطلقات حيث بين الله تعالى فيها حكم الطلاق قبل الغرض والمسييس فهي ابتداء إخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض والمعنى أنَّ عده مس الزوجة لا يمنع عن صحة الطلاق فكذا عدم ذكر المهر فقال تعالى:

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِي لَاتِهِم وَلَا حَرَجَ إِلَيْهَا الرِّجَالُ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ وَالمراد بالمس الجماع أو تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً إِي مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ وَلَمْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الصَّدَاقِ وَتَمَّعُوهُنَّ إِي أَفْطَوْهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ إِي عَلَى الْغِنَى مَا يَنَاسِبُ حَالَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ إِي عَلَى الْفَقْرِ مَا يَنَاسِبُ حَالَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ أَي مَتَّعُوهُنَّ مَتَاعاً، بِالْمَعْرُوفِ، لَيْسَ فِيهِ إِسْرَافٌ وَلَا تَقْتِيرٌ وَقِيلَ مَتَاعاً مَعْتَبِراً بِحَالِ الرَّجُلِ فِي الْيَسَارِ وَالْإِقْتَارِ، مَعْتَبِراً بِحَالِهِمَا جَمِيعاً إِذَا لَا يَسُوِي بَيْنَ حَرَّةٍ شَرِيفَةٍ وَبَيْنَ أُمَةٍ مُعْتَقَةٍ لِيَكُونَ ذَلِكَ خَارِجاً عَنِ التَّعَارُفِ، حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ أَي أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى الَّذِينَ يَحْسِنُونَ الطَّاعَةَ وَيَجْتَنِبُونَ الْمَعْصِيَةَ وَالتَّخْصِصَ بِالْمُحْسِنِينَ لِأَجْلِ التَّشْرِيفِ لَا أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ.

إِعلم أنَّ المطلقات أربع.

بَابُ التَّلَاقِ فِي نِصْفِ الْبَيِّنَاتِ

جزء ٢

بَابُ التَّلَاقِ

الأولى: المطلقة المدخولة بها المفروض لها المهر وقد ذكر الله تعالى حكمها قبل هذه الآية وأنه لا يسترد منها شيء من المهر وأن عدتها ثلاثة قروء.

الثانية: المطلقة غير مفروض لها المهر ولا مدخول بها فهذه الآية في شأنها وحكمها أن لا مهر لها بل أمر الرب بإمتاعها بحسب الوسع والقدرة.

الثالثة: المطلقة التي فرض لها مهر ولكنها غير مدخول بها ذكر حكمها بعد هذه الآية وسيأتي بيانه.

الرابعة: المطلقة التي دخل بها ولكن لم يفرض لها مهر ذكرها الله تعالى في قوله: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ^(١) هكذا قيل والحق أن الرابعة ليست من أقسامها على ما يأتي بيانه وعلى أي حال ذكر الله تعالى في هذه الآية والتي بعدها مطلقة قبل الميسس وقبل الفرض ومطلقة قبل الميسس وبعد الفرض فجعل للأولى المتعة وجعل للثانية نصف الصداق على ما يأتي الكلام فيه ولا بد لنا في المقام من التنبيه على أمور.

الأول: أن المراد بالمس في الآية في قوله: **مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ**، الجماع أو هو كناية عنه وذلك لأنه هو المتبادر الشائع في عرف الشرع وفي الكتاب العزيز، كقوله: **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** وقوله تعالى: **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** ونحو ذلك.

ويدل على ذلك ما رواه الشيخ في الصحيح عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ملامسة النساء هي الإيقاع بهن انتهى.

وعن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله قال سمعته يقول لا يوجب المهر إلا الوقاع في الفرج انتهى.

وعن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام متى يجب المهر فقال عليه السلام: إذا دخل بها انتهى.

و في الكافي بأسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل
دَخَلَ بِأَمْرَةٍ قَالَ عليه السلام: إِذَا لَتَقِيَ الْخَتَانَانِ وَجَبَ الْمَهْرُ وَالْعِدَّةُ انْتَهَتْ.
و في رواية داود بن سرحان إِذَا أَوْلَجَهُ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ وَالْجِلْدُ
وَالزَّحْمُ وَوَجَبَ الْمَهْرُ انْتَهَى.

و أمثال ذلك من الأخبار و أمّا المسّ بمعناه اللّغوي أو العرفي فلا يوجب
شيئاً من ذلك وعليه فلو مسّ المرأة ولم يدخل بها ولو بالتقبيل فليس عليه
شيء ويدل عليه ما روى.

في الموثق عن يونس بن يعقوب قال: سألت أبا عبد الله عن رجل
تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَأَعْلَقَ بِأَبَاً وَأَرْخَى سِتْرًا وَلَمَسَ وَقَبَّلَ ثُمَّ طَلَّقَ أَيُوجِبُ
عَلَيْهِ الصَّدَاقُ قَالَ عليه السلام لَا يُوجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَاقُ إِلَّا الْوَقَاعُ انْتَهَى.

والأخبار الدالة على أنّ المعتبر في وجوب المهر هو الجماع دون الخلوة
كثيرة ويفهم منها أنّ الوقاع في الدبر مثل الوقاع في القبل في إثبات الحكم وبه
صرح المحقق في الشرائع.

الثاني بعض الأخبار يدل على أنّ الخلوة في حكم الجماع.
منها ما رواه الشيخ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ عليه السلام: إِذَا
تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَأَعْلَقَ بِأَبَاً وَأَرْخَى سِتْرًا ثُمَّ طَلَّقَهَا فَقَدْ وَجَبَ
الصَّدَاقُ وَخَلَاؤُهُ بِهَا دَخُولُ انْتَهَى.

و نحوها رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: وَغَيْرُهَا مِنْ
الْأَخْبَارِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ إِشْكَالٍ.

أمّا أولاً: فلأنّ الخلوة معها لا تلازم المسّ العرفي فضلاً عن الجماع الذي
قلتم أنّ المسّ في الآية بمعناه أو هو كناية عنه.

ثانياً: أنّ الجماع والوقاع لا يتحقق إلا بالتقاء الختانين وقد ثبت أنّ الغسل لا
يجب إلا به فكذا المهر لعدم القول بالفعل اللهم إلا أن تدعى المرأة الوقاع بها

والرَّجُلَ يَنْكُرُهُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ لَا يَبْعُدُ الْقَوْلُ بِهِ مَعَ نِكُولِ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِ الزَّوْجِ وَلِذَلِكَ اِخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ فِيهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ.

الأول: أَنَّ الْخُلُوةَ تَقُومُ مَقَامَ الدَّخُولِ فِي إِسْتِقْرَارِ الْمَهْرِ وَلِزُومِ الْعِدَّةِ حَكَاهُ الشَّيْخُ فِي الْخِلَافِ وَالْمَبْسُوطِ وَكِتَابِي الْأَخْبَارِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا وَنَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى الصَّدُوقِ وَمُسْتَنْدَهُمُ الْأَخْبَارُ الْمَذْكُورَةُ.

القول الثاني:، ذَهَبَ ابْنُ الْحُبَيْدِ إِلَى إِشْتِرَاطِ قَيْدٍ آخَرَ مَعَ الْخُلُوةِ الْأَوَّلِ الْوَقَاعِ.

الثاني: إِنْزَالُ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ إِيْلَاجٍ أَوْ لِمَسِّ عَوْرَةٍ أَوْ نَظَرٍ إِلَيْهَا أَوْ قَبْلَةٍ فَأَنْ تَلْذَذَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ خَصِيًّا كَانَ أَوْ عَنِينًا أَوْ فَحْلًا لَزِمَهُ الْمَهْرُ وَمَعَ عَدَمِ ذَلِكَ فَلَا يَحِلُّ لَهَا أَكْثَرُ مِنَ النَّصْفِ وَأَنْ وَجِبَ قَبُولُ قَوْلِهَا فِي الطَّاهِرِ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ هُنَاكَ مَانِعٌ كَالْعَنَنِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَوَانِعِ وَنَقَلَ عَنِ الشَّهِيدِ فِي الْمَسَالِكِ عَدَمَ الْوُقُوفِ عَلَى شَاهِدٍ لَهُ.

الثالث: ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى عَدَمِ إِعْتِبَارِ الْخُلُوةِ وَمَقْدَمَاتِهَا عَمَلًا بِالْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ وَصَرَّحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الزَّوْجِ مَعَ يَمِينِهِ إِذَا أَنْكَرَهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُهُ.

الرابع: عَدَمُ إِعْتِبَارِ الْخُلُوةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكِنَّ الْخُلُوةَ لَمَّا كَانَتْ مَظْنَةً لَهُ بِحَيْثُ لَا تَنْفَكُ عَنْهُ غَالِبًا وَجِبَ أَنْ لَا يَنْفَكَ عَنْ إِيْجَابِ كِمَالِ الْمَهْرِ الْمُسْتَنْدِ إِلَى الدَّخُولِ غَالِبًا وَهُوَ كَمَا تَرَى فَهَذِهِ هِيَ الْأَقْوَالُ الْمُنْقُولَةُ فِي الْمَقَامِ وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالتَّنْقُلُ هُوَ ثُبُوتُ الْجَمَاعِ وَالْوَقَاعِ بِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ فَأَنْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِهِ فَهُوَ وَإِلَّا فَهُوَ مَدْفُوعٌ بِالْأَصْلِ وَلِبَسُطِ الْكَلَامِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرُ.

الثالث: أَنَّ الْغَرَضَ فِي قَوْلِهِ: **أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ قَرِيبَةً** التَّسْمِيَةُ بِالْفَرِيضَةِ الْمَهْرِ الْمَقْدَرِ، فَفَعِيلٌ هُنَا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَالتَّاءُ لِلتَّنْقُلِ إِلَى الْإِسْمِيَّةِ فَتَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ، وَأَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَيْ وَتَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، وَجِزَاءُ الشَّرْطِ، لَا جَنَاحَ،

المقدّم ذكره أو محذوف أي لا إثم عليكم في الطلاق قبل المسّ والغرض كما لا إثم فيه بعده وخصّه بالتنبيه عليه لأنه فطنة للإثم حيث لم يقع الغرض من النكاح المندوب اليه ولأن الآيات السابقة في هذه السورة دلّت على الإباحة بعده أو لأن الطلاق الواقع بعده يحتاج الى امر آخر كاشتراط كونه في ظهر الغير الموافقة ويجوز ان يكون المعنى لاتعة عليكم من ايجاب وهو في هذا ويمكن ان يكون أو في الآية بمعناها على أن المراد رفع الجناح على سبيل منع الخلو فقط وجوّز بعضهم كونه بمعنى، إلا، أي إلا أن ترضوا الهنّ فريضة وكيف كان.

ففي رواية أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلها نصف مهرها وأن لم يكن سمّي لها مهر فمتاعاً بالمعروف على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليس لها عدّة تتزوج من شاءت من ساعتها وفي الآية دلالة على صحّة العقد مع إخلائه عن المهر وهو المسمّى في عرف الشرع بتفويض البضع وهو مجمع عليه بين الأصحاب.

الرابع: المتعة والإمتاع بمعنى النفع والجملة معطوفة على الجزاء أي أن طلقتموهنّ في هذه الحال فأعطوهنّ من مالكم ما يمتّعهن به جبراً لإباحش الطلاق والإنكسار الحاصل منه وقد قلنا أن الموسع الغني والمقتر القليل المال من القطار وهو الغبار سمّي بذلك لمشابهة له في القلة أو التغير أحواله فكأن عليه غبار.

روي الشيخ عن جابر عن أبي عبد الله في قوله تعالى فمتّعوهنّ وسرحوهنّ سراحاً جميلاً، قال عليه السلام: متّعوهنّ أي جمّلوهن ممّا قدرتم عليه من معروفٍ فأنّهن يرجعن بكأبةٍ وحياوهنّ عظيم وشماتة من أعدائهن فأنّ الله كريمٌ يستحي ويحبّ أهل الحياء أنّ أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم.

الخامس: أَنَّ الآية دالة على أَنَّ المعتبر في المتعة حال الزوج لا حال الزوجة و من المعلوم أَنَّ الجمع بين الحالين أولى وأحسن وقال بعض الأصحاب بالإستحباب.

السادس: الظاهر من الآية إنقسام حال الزوج الى أمرين اليسار والإعتسارالأصحاب فقد قسّموها الى ثلاثة نظراً الى الواقع عزمًا وعَيْنُوا الكُلَّ مرتبة أشياء فالغني بالدابة والعبد والأمة والثوب المرتفع والدّار ونحو ذلك، والوسط بالثوب الوسط، والفقير بالخاتم والدينار والحنطة والزبيب وأمثالها والأخبار خالية عن ذكر الوسط.

السابع: إطلاق الآية والأخبار يقتضي أن يمتّع الزوج بذلك وأن زاد عن نصف مهر المثل بل وعن تمامه وهو كذلك ومنع أبو حنيفة فيما زاد على النصف وهو باطل عاقل لعدم الدليل عليه.

الثامن: مقتضى الإطلاق والأصل اختصاص الحكم بالمطلقة قبل المسيس والفرض فلو جعلت البينونة بينهما بفتح أو موتٍ أو لعانٍ أو غير ذلك من قبله أو قبلها فلا مهر ولا متعة واليه ذهب أكثر الأصحاب وهو الأقوى.

التاسع: يظهر من إطلاق الآية أنه لو خلا العقد من المهر ثم فرضه بعد ذلك ثم طلقها قبل المسيس أنها داخلة في المفروض لها لأنّ قوله تعالى: **أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً** ظاهر في فرضها حين العقد وأما بعده فالآية لا تشملها وهو ظاهر.

العاشر: دلّت الآية بمفهومها على أنه لو طلقها بعد المس وقبل الفرض فليس لها المتعة وأما قوله: **مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ** فالمراد به ما يليق بحال الزوج وقد مرّ الكلام فيه هذا ما فهمناه من الآية والعلم عند الله.

وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ
يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ
تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

◀ اللّغة

يَعْفُونَ: العفو هو التجافي عن الذنب قال تعالى: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى.

وَلَا تَنْسُوا: النسيان ترك الإنسان ضبط ما إستودع أمّا لضعف قلبه وأمّا عن
غفلة وأمّا عن قصدٍ حتّى يَنحذف عن القلب ذكره.
الْفَضْلُ: الزيادة عن الإقتصار.

◀ الإعراب

وَقَدْ فَرَضْتُمْ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ فَنِصْفُ أَيِ فَعَلَيْكُمْ نِصْفٌ، أَوْ فَالْوَاجِبُ
نِصْفٌ وَلَوْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ فَوَجْهَهُ، فَأَدَّوْا نِصْفَ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ
وَالْفِعْلُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ وَالتَّقْدِيرُ فَعَلَيْكُمْ نِصْفٌ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا فِي حَالِ الْعَفْوِ
وَالنَّوْنُ فِي، يَعْفُونَ، ضَمِيرُ جَمَاعَةِ النِّسَاءِ وَالْوَاوُ قَبْلَهَا لَامُ الْكَلِمَةِ لِأَنَّ الْفِعْلَ هُنَا
مَبْنِيٌّ فَهُوَ مِثْلُ يَخْرُجُونَ وَيَقْعَدُونَ.

فَأَمَّا قَوْلُكَ الرِّجَالُ يَعْفُونَ أَصْلُهُ يَعْفَوْنَ مِثْلُ يَخْرُجُونَ فَحَذَفَتِ الْوَاوُ الَّتِي
هِيَ، لَامُ وَقَيْتِ وَאו الضَّمِيرِ وَالنَّوْنُ عَلَامَةُ الرَّفْعِ وَفِي قَوْلِكَ النِّسَاءُ يَعْفُونَ لَمْ
يَحْذَفْ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ أَنْ تَعْفُوا مُبْتَدَأٌ وَأَقْرَبُ خَبَرُهُ وَلِلتَّقْوَى مُتَعَلِّقٌ،
بِأَقْرَبِ وَتَاءِ التَّقْوَى مُبَدَّلَةٌ مِنْ وَاوٍ وَءَاءِهَا مُبَدَّلَةٌ مِنْ يَاءٍ لِأَنَّهُ مِنْ وَقَيْتِ بَيْنَكُمْ
ظَرَفٌ لَتَنْسُوا وَحَالٌ مِنَ الْفَضْلِ.

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ قَبْلَ الْمَسِّ وَالْفَرْضَ بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ بَعْدَ الْفَرْضِ وَقَبْلَ الْمَسِّ وَقَدْ قُلْنَا أَنَّهُمْ إِنْ تَنَقَّوْا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسِّ الْجَمَاعَ وَالْوَقَاعَ أَمَّا حَقِيقَةُ أَوْ كُنَايَةُ فَقَالَ تَعَالَى:

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ أَيْ أَنْ طَلَّقْتُمُ الْأَزْوَاجَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلُوا بِهِنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً أَيْ أَنْتُمْ قَدْ فَرَضْتُمْ وَأَوْجَبْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَهُنَّ أَيْ لِلْأَزْوَاجِ فَرِيضَةٌ أَعْنِي بِهَا الصَّدَاقُ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ أَيْ فَعَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ مِنَ الْمَهْرِ لَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَغْفُوَ النِّسَاءُ فَيَتْرَكْنَ مَا يَجِبُ لَهُنَّ مِنْ نِصْفِ الصَّدَاقِ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مِنْكُمْ شَيْئاً أَوْ يَغْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَهُوَ الْوَلِيُّ لِأَنَّهُ لَا وِلَايَةَ لِأَحَدٍ عِنْدَنَا عَلَى الْبِكْرِ غَيْرِ الْبَالِغِ إِلَّا الْأَبُ أَوْ الْحَدُّ فَأَمَّا مَنْ عَادَاهَا فَلَا وِلَايَةَ لَهُ إِلَّا بِتَوَلِيَّةٍ مِنْهُمَا وَأَنْ تَغْفُوا خُطَابَ لِلزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ جَمِيعاً أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى لِإِتِّعَاءِ ظَلَمِ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ مِمَّا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ قِيلَ فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى إِسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ عَمَّنْ كَانَ مُحْتَاجاً مِنَ الزَّوْجِينَ.

إِعْلَمُ أَنَّهُمْ قَالُوا أَنَّ الْفَرْضَ تَقْدِيرُ الْمَهْرِ تَفْصِيلاً أَوْ إِجْمَالاً فَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ تَزَوَّجَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسِتَّةَ نَبِيٍّ إِذَا هُوَ مَقْدَرٌ بِخَمْسِ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَيَنْتَصِفُ بِالطَّلَاقِ قَبْلَ الدَّخُولِ وَيَدْخُلُ فِيهِ مَفْوضُ الْمَهْرِ وَهِيَ أَنْ يَقَعَ الْعَقْدُ بِحُكْمِ أَحَدِ الزَّوْجِينَ فَلَوْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدَّخُولِ أُلْزِمَ مِنْ إِلَيْهِ الْحُكْمُ الْحَكْمُ وَيَكُونُ لَهَا نِصْفُ ذَلِكَ، عَمَلًا بِالْآيَةِ أَمَّا الْآيَةُ وَعَلَيْهِ فَتَوَى الْأَصْحَابُ وَلَوْ مَاتَ الْحَاكِمُ قَبْلَ الدَّخُولِ فَلَا قَهْرَ لَهَا وَلَكِنْ لَهَا وَعَلَيْهِ دَلَّتْ صَحِيحَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَلَى مَا فِي الْكَافِي وَالْفَقِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي رَجُلٍ تَزَوَّجَ عَلَى حُكْمِهَا أَوْ عَلَى حُكْمِهِ فَمَاتَ أَوْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا الْمَتَاعُ وَالْمِيرَاثُ لَا قَهْرَ لَهَا قُلْتَ

فان طَلَّقَهَا وقد تزَوَّجَهَا على كلها قال **عَلَيْهَا** اذا طَلَّقَهَا وقد تزَوَّجَهَا على حكمها لم يجاوز بحكمها عليه أكثر من وزن خمس مائة درهم فَضَّة مهوَر نساء النَّبِيِّ وبه أفتى أكثر الأصحاب وقال بعضهم لها مهر المثل وقال آخر لا مهر لها ولا متعة، والحاصل أَنَّ المَطْلُقة قبل المَسِّ بعد الفرض لها نصف المهر وأما بعد المَسِّ بدون الفرض لها مهر المثل وبعد المَسِّ والفرض تستحق جميع المهر وكذا لو ماتت او مات ويدل عليه مع مفهوم هذه الآية الايات التي اشرنا اليها والروايات المستفيضة والإجماع هكذا قالوا ثم أَنَّهُمْ ذكروا في المقام مسائل.

الأولى: تملك المرأة المهر بالعقد وأن لم يستقر قبل الدَّخول لأنَّ المهر عوض البضع والزَّوج يملكه بالعقد والمرأة تملك العوض وهو المهر ويدل عليه.

قال الله تعالى: **وَإِنُّوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** (١)

قال الله تعالى: **فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ**.

قال الله تعالى: **وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً** (٢) فأنَّه شامل لما قبل الدَّخول إلا ما خرج عنه بدليل وعليه فلها أن تمنع من الدَّخول بها حتَّى تقبض المهر ومقتضى ذلك أَنَّها تملكه وهكذا يدل على المدعى الروايات الدَّالة على أَنَّ المتوفى عنها زوجها قبل الدَّخول تستحق جميع المهر.

الثَّانية: ردَّة الزَّوج قبل الدَّخول فقد صرح جماعة من الأصحاب بأنَّه يستقر جميع المهر بالعقد فيجب الحكم بإستمراره الى أن يعلم المسقط.

الثَّالثة: موت الزَّوج قبله فأنَّ مقتضى إطلاق الأيات أيضاً يقتضيه والتَّصنيف أنما يكون بالطلاق.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

الرابعة: العفو أعمّ من الإبراء والهبّة فأن كان متعلّقة ما في الذّمة كأن يكون المهر ديناً فهو الإبراء وأن كان عيناً فهو هبة وقد تطلق الهبة على ما في الذّمة.

الخامسة: إتفقوا على أنّ المراد بقوله: **إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ النِّسَاءُ الْمَطْلَقَات** ومعناه إلا أن يتركن النّصف الذي وجب لهنّ عند الزّوج قالوا والإستثناء منقطع لأنّ عفوهنّ عن النّصف ليس من جنس أخذهنّ وأمّا قوله:

أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ فالمراد به الولي وهو الأب والجّد لا غير وذهب بعض العامّة الى أنّ وليّ عقدة النّكاح الزّوج وإختاره أبو حنيفة والشافعي والحقّ ما ذهبنا اليه ثمّ أنّ الرواية ثابتة لهما على البكر اذا كان غير بالغٍ وأمّا بعد البلوغ فيعتبر رضاه وأمّا بالنسبة الى الثّيب فلا ولاية مطلقاً.



حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

◀ اللغة

حَافِظُوا: المحافظة هي المداومة على الشيء والمُواظبة عليه.
الْوُسْطَى: بَضَم الواو تأنيث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله.
قَانِتِينَ: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع.

◀ الإعراب

لِلَّهِ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ اللَّامُ، بِقُومُوا، وَأَنْ تَتَعَلَّقَ بِقَانِتِينَ وَالتَّقْدِيرُ قُومُوا قَانِتِينَ لِلَّهِ.

◀ التفسير

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ أي داؤوا وواظبوا عليهنّ بإتيانهنّ في مواقيتهنّ من غير تضييع وتفريطٍ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى هي صلاة الظهر وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ أي طائعين خاضعين، ففي الآية حثٌّ على مراعاة الصلاة ومواقيتهنّ وألا يقع فيها تضييعٌ وتفريطٌ وفيها ثلاث مسائل.

الأولى: في تفسير قوله: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ الصَّلوات بالواو جمع الصلاة وهي في أصل اللغة الدعاء ثم إستعملت في الشرع في الأركان المخصوصة مع النية والتّقرب بها الى الله تعالى فأن قلنا بثبوت الحقيقة الشرعية بمعنى أنّ الشارع عزلها عن معناها اللّغوي ووضعها للأركان المخصوصة فهو وألا فهو حقيقة في معناها اللّغوي مجاز في المعنى الشرعي ومن هذا القبيل لفظ الزكاة والصّوم والحجّ وأمثالها والحق أنّ الحقيقة الشرعية لم تثبت في الأصول وكيف كان فالمعنى حافظوا أي داوموا وواظبوا على

الصلوات والمراد بالمحافظة عليها شدة الإعتناء بها بأن يداوم عليها ولا يتركها وأن يأتي بمقدماتها وأفعالها على الوجه الكامل أو الأكمل وأن يحافظ على أدائها في أوقاتها فيأتي بها على الحدود المقررة في الشريعة التي أمر بها الشارع فيأتي بها في أوقاتها ولا يؤخرها من غير عذر لأن أول الوقت رضوان الله وأخر الوقت غفران الله، ولنذكر بعض ما ورد في الباب.

قال الصادق عليه السلام: الصلاة لها أربعة آلاف حد، وعن الرضا عليه السلام لها أربعة آلاف باب.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله: دخل المسجد وفيه أناس من أصحابه فقال صلى الله عليه وآله: أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وآله: أن ربكم يقول أن هذه الصلوات الخمس المفروضات من صلاتهن لوقتتهن وحافظ عليهن لقاني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنة ومن لم يصلهن لوقتتهن ولم يحافظ عليهن فذلك إلي أن شئت عذبت به وأن شئت غفرت له انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: أن العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ عليها إرتفعت بيضاء نقية تقول حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وإن لم يُصَلِّها لوقتتها ولم يحافظ عليها إرتفعت سواد مظلمة تقول ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ انتهى.

وعن أبي بصير قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول أن أول ما يُحاسب به العبد الصلاة فأن قبلت قبل ماسواها وأن الصلاة إذا إرتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وإذا إرتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سواد مظلمة تقول ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ انتهى.

وقال أبو جعفر عليه السلام: لأبي بصير ما خدعوك فيه من شيء فلا يخدعونك في العصر صلّها والشمس بيضاء نقيّة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الموثور أهله وماله من ضيّع صلاة العصر قيل له عليه السلام وما الموثور أهله وماله قال لا يكون له أهل ولا مال في الجنة قال وما تضييعها قال عليه السلام يدعها حتّى تصفر أو تغيب الشمس انتهى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منّي من استخف بصلاته لا يرد عليّ الحوض لا والله انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: صلواتهم دائمون قال عليه السلام: هي النافلة انتهى.
والأخبار الواردة في فضلها والحافطة عليها ومراعاة حدودها وشرائطها كثيرة جداً.

الثانية: قوله تعالى: وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى الْوُسْطَى معنى التوسط بين الصلوات أو الوسطى في الفضيلة أي كثيرة الفضل وخصّها بالذكر تخصيصاً بعد التعميم إهتماماً بحفظها لافضليتها أو لأمر آخر كوقوعها في وقت شديد يصعب على المكلف الاتيان بها فيه ثم أنّهم اختلفوا فيها على أقوالٍ فقليل أنّها صلاة الظهر وهو المروي عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله أيضاً وبه قال أبو حنيفة وقيل أنّها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام وبه قال بعض أئمة الزيدية.

الثالث: أنّها صلاة العصر عن ابن عباس.

الرابع: أنّها صلاة المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنّها وسط في الطول والقصر من بين الصلوة.

الخامس: أنّها صلاة العشاء لأنّها بين صلواتين لا يقصران.

سادسها: أنّها صلاة الفجر، وبه قال معاذ وابن عباس وغيرهما وهو قول الشافعي.

سابعها: أنها إحدى الصَّلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصَّلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان وإسمه الأعظم في جميع الأسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة وهذه الأقوال نقلها الطبرسي رحمته الله في تفسيره وقد زاد القرطبي في تفسيره بعد نقله ما نقلناه أقوالاً ثلاثة.

أحدها: أنها الصُّبح والعصر معاً قاله الشيخ أبو بكر الأبهري واحتج بقول رسول الله ﷺ حيث قال، يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. ثانيها: أنها العشاء والصُّبح.

ثالثها: أنها الصَّلوات الخمس بجملتها. والذي يستفاد من أخبارنا وعليه المعول في تفسير كلام الله هو أنها صلاة الظهر.

منها ما عن تفسير العياشي عن زرارة ومحمد بن مسلم أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى قَالَ عليه السلام صلاة الظهر انتهى.

ومنها ما عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصَّلَاة الوسطى هي الوسطى من صلوات النهار وهي الظهر انتهى.

ومنها ما عن الكافي، والفقيه والتَّهذيب في الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ وهي وسط النهار ووسط الصَّلَاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر انتهى.

وعن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له الصَّلَاة الْوُسْطَى فقال عليه السلام: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وصلاة العصر و قوموا لله قانتين والوسطى هي الظَّهْر كذلك كان يقرأوها رسول الله انتهى.

والأحاديث نقلناها عن آيات الأحكام للجزائري رحمته الله أقول نقل الطبري أخباراً كثيرة في تفسيره لهذه الآية ثم إختار ما إختارناه من أنها صلاة الظَّهْر قال وأتما قيل لها الوسطى لتوسطها الصَّلوات المكتوبات الخمس وذلك أنَّ قبلها صلاتين وبعدها صلاتين وهي بين ذلك وسطاهنَّ والوسطى الفعلى من قول القائل وسطت القوم أسطهم سطةً ووسطاً إذا دخلت وسطهم ويقال للذكر فيه هو أوسطنا للأُنثى هي وسطانا انتهى ما ذكره.

الثالثة: قوله تعالى: **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** قال بعضهم معنى القنوت الطَّاعة، وقال آخرون القنوت في هذه الآية السَّكوت، وقولٌ ثالث أنَّ القنوت في الآية الرُّكوع في الصَّلَاة والخشوع فيها أي قوموا لله في صلاتكم خاشعين خافضين الأجنحة غير عابثين ولا لاعبين، وقيل القنوت في الآية الدَّعاء أي قوموا لله راغبين في صلاتكم نقل هذه الأقوال الطبري في تفسيره ثم قال وأولى هذه الأقوال بالصَّواب في تأويل قوله: **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** قول من قال تأويله مطيعين وذلك أنَّ أصل القنوت الطَّاعة وقد تكون الطَّاعة لله في الصَّلَاة بالسَّكوت عمّا نهى الله من الكلام فيها وساق الكلام الى أن قال فتأويل الآية، أذن.

خَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ فِيهَا مطيعين بترك بعضكم فيها كلام بعض وغير ذلك من معاني الكلام سوى قراءة القرآن فيها أو ذكر الله بالذي هو أهله أو دعاء فيها غير عاصين لله فيها بتضييع حدودها والتفريط في الواجب لله عليكم فيها وفي غيرها من فرائض الله انتهى كلامه وقال بعضهم القنوت هو القيام وقال الآخرون القنوت عبارة عن الدَّوام على الشَّيِّ والصَّبْر عليه والملازمة له وهو في الشَّريعة صار مختصاً

بالمداومة على طاعة الله والمواظبة على خدمته وعلى هذا التقدير يدخل فيه جميع ما قاله المفسرون هذه الأقوال كلها منقول عن العامة.

أقول القنوت يطلق في اللغة على معانٍ خمسة، الدعاء، والطاعة، والسكون، والقيام في الصلاة، والإمساك عن الكلام وأما عندنا فهو ذكرٌ مخصوص في موضع معيّن من الصلاة سواء كان معه رفع اليدين أم لا وربما يطلق على الذكر مع رفع اليدين ثمّ أنّهم أي علمائنا اختلفوا في المعنى المراد في الآية الشريفة فقليل معناه قوموا لله في الصلاة ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن يذكر الله قائماً وقليل كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا عنه، وقليل هو الركود وكفّ الأيدي والبصر وقليل غير ذلك.



فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا
 اللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

◀ اللغة

فان خفتم: الخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة وضده الأمن.
 فرجالاً أو ركبناً: جمع راجلٍ وراكبٍ.
 امنتم: الأمن ضد الخوف.

◀ الإعراب

فرجالاً حال من المحذوف تقديره فصلوا رجالاً ركبناً معطوف على
 الرجال أي فصلوا ركبناً أي فصلوا ركبناً (كما علمكم) في موضع نصب أي
 ذكراً مثل الأصحاب في صلاة ما علمكم.

◀ التفسير

ما غامر الله بالآتيان على الوجه المقرر في الشرح اعصبة بما يدل على أن
 ذلك مخصوص لغير مال الضرورة واما فيها فلا حرج بل يجوز الاتيان بهما
 ناشياً أو ركبناً على أي كفيته اكلست كما ذكره الاصحاب لاختلاف وقوله:

فإذا امنتم فأدكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون أي وعند الأمن
 يؤتى بها على الطريقة التي أمر الله بها من المحافظة على الإتيان بها في
 حدودها وأوقاتها كما عرفت.

إعلم أن الآية الشريفة تدل على مشروعية صلاة الخوف ولا بأس بالإشارة
 إليها إجمالاً فنقول قال العلامة رحمته في القواعد، الفصل الرابع في صلاة الخوف
 وفيه مطلبان:

الأول: في الكيفية وهى أنواع، الأول صلاة ذات الرقاع وشروطها أربعة.
الأول: كون الخصم في غير جهة القبلة أو الحيلولة بينهم وبين المسلمين بما يمنع من رؤيتهم لو هجموا.

الثانى: قوته بحيث يخاف هجومه على المسلمين.

الثالث: كثرة المسلمين بحيث يفترون فرقتين يقاوم كل فرقة العدو.

الرابع: عدم الإحتياج الى زيادة التفريق فينحاز الإمام بطائفة الى حيث لا تبلغهم سهام العدو فيصلّي بهم ركعة فإذا قام الى الثانية إنفردوا واجباً وأتموا الأخرى تحرسهم ثم يأخذ الأولى مكان الثانية وتنحاز الثانية الى الإمام ينتظرهم فيقتدون به في الثانية فإذا جلس في الثانية قاموا فأتموا ولحقوا به و يسلم بهم ويطول الإمام القراءة في إنتظار إتيان الثانية والتشهد في إنتظار فراغها وفي المغرب يصلّي بالأولى ركعتين وبالثانية ركعة أو بالعكس والأول أجود لثلاث تكلف الثانية زيادة جلوس وللإمام الإنتظار في التشهد أو في القيام الثالث ويخالف هذه الصلاة غيرها في إنفراد المؤتم وإنتظار الإمام إتمام المأموم وإتمام القائم بالقاعد.

الثانى: صلاة بطن النخل وهى أن لا يكون العدو في جهة القبلة فيفرّقهم فرقتين فيصلّي بأحدهما ركعتين و يسلم بهم والثانية تحرسهم ثم يصلّي بالثانية ركعتين نافلة له وهى لهم فريضة ولا يشترط في هذه الخوف.

الثالث: صلاة عسفان بأن يكون العدو في جهة القبلة فيرتبهم الإمام صفين ويحرم بهم جميعاً ويركع بهم ويسجد بالأول خاصّة ويقوم الثانى للحراسة فإذا قام الإمام بالأول سجد الثانى ثم ينتقل كل من الصفين الى مكان صاحبه فيركع الإمام بهما ثم يسجد بالذي يليه ويقوم الثانى الذي كان أولاً لحراستهم فإذا جلس بهم سجدوا و سلم بهم جميعاً.

الرابع: صلاة شدة الخوف و ذلك عند إلتحام القتال و عدم التمكن من تركه فيصلي على حب الإمكان و أن كان راكباً مستدبراً ولو تمكن من الإستقبال وجب وإلا فبالتكبير وإلا سقط و يسجد على قربوس سرجه أن لم يمكن النزول ولو عجز عنه أو ماء ولو اشتد الحال عن ذلك صلى بالتسبيح عوض كل ركعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر و سقط الركوع والسجود ولا بد من النية وتكبير الإحرام والتشهد والتسليم انتهى.

إذا عرفت أقسام الصلاة فيه فقد علمت أن المراد بالآية الشريفة هو القسم الرابع منها و قد عبروا عنها بالصلاة المطاردة و قد تسمى صلاة شدة الخوف و هي التي يكون المكلف مأموراً بإتيانها رجالاً أو ركباناً واقفاً أو ماشياً بل أو مضطجعا.

قال المحقق رحمته الله في الشرائع.

وأما صلاة المطاردة وتسمى صلاة شدة الخوف مثل أن ينتهي الحال الى المعانقة والمسالفة يصلي على حسب إمكانه واقفاً أو ماشياً أو ركباناً.

قال الشارح أو مضطجعا أو غير ذلك ضرورة عدم السقوط عنه لأنها لا تسقط في حال ولا يسقط الميسور بالمعسور وما لا يدرك كله لا يترك كله و قال الله تعالى: **فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا** و قوله **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**^(١)، مضافاً الى الإجماع محصلاً ومنقولاً على ذلك انتهى.

أقول قال رسول الله ﷺ بعثت الى الشريعة السهلة السهلة، و قال تعالى: **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**^(٢).

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي
أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

◀ اللغة

يُتَوَفَّوْنَ: أي يموتون.

يَذَرُونَ: أي يتركون.

وَصِيَّةً: قال الرَّاغب، الوَصِيَّةُ التَّقَدُّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظٍ من قولهم أَرْضٌ وَاصِيَةٌ مُتَّصِلَةٌ النَّبَاتِ.

إِلَى الْحَوْلِ: أصل الحَوْلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ وَإِنْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ ثُمَّ أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى السَّنَةِ تَحَوُّلَ وَحَالَاتِ الدَّارِ تَغْيِيرًا.

◀ الإعراب

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ الَّذِينَ مَبْتَدَأُ والخبر محذوف تقديره يوصون وصية هذا على قراءة من نصب، وصية، وأما من رفع فالتقدير وعليهم وصية، وعليهم المقدرة، خبر لوصية لأزواجهم، نعت للوصية وقيل هو خبر الوصية وعليهم، خبر ثانٍ أو تبيين له مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ مصدر لأنَّ الوصية دَلَّتْ عَلَى يوصون ويوصون بمعنى يمتعون ويجوز أن يكون بدلاً من الوصية على قراءة من نصبها، أو صفة الوصية، وإلى الحول.

مَتَعْلَقٌ، بمتاع، أو صفة له، وقيل متاعاً، حال، أي متمتعين، أو ذوي متاع غَيْرِ إِخْرَاجٍ غير هنا تنتصب إنتصاب المصدر عند الأخفش تقديره لا إخراجاً، وقال غيره هو حال، وقيل هو صفة متاع وقيل التَّقدير من غير إخراج.

﴿التفسير﴾

إِعلم أنَّ هذه الآية منسوخة بالحكم بالآية المتقدمة أعني بها قوله تعالى: وَ
الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^(١)
قال الشيخ في التبيان بلا خلاف في نسخ العدة إلا باحذيفة فإنه قال العدة
اربعة اشهر وعشراً وما زاد على الحول يثبت بالوصيته والنفقة فان امتنع الورثة
من ذلك كلن لهما ان تسرف في نفسها انتهى.

قال القرطبي ذهب جماعة من المفسرين في تاويل هذه الآية ان المتوفى
زوجها كانت يجلس في بيت المتوفى عنها حولا وينفق عليها من ماله ما لم
تخرج من المنزل فان خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها
ثم نسخ الحول بالأربعة أشهر والعشر ونسخت النفقة بالربيع والثلث في سورة
النساء قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد والربيع ثم نقل عن الطبري
أن هذه الآية محكمة لانسخ فيها والعدة كانت قد تثبت أربعة أشهر وعشراً ثم
جعل الله لهن وصية عنه سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة فان شاءت المرأة
سكنت في وصيتها وأن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل: غَيْرَ إِخْرَاجٍ
فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ قال ابن عطية وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ
المتفق عليه، وقال القاضي عياض، والإجماع فنعقد على أن الحول منسوخ
وأن عدتها أربعة أشهر وعشر إنتهى كلام القرطبي.
إذا عرفت وعلمت أن الآية منسوخة فلنرجع الى تفسير الفاظ الآية.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَي الَّذِينَ يَمُوتُونَ لأن المتوفى لا يؤمر ولا يُنهى
وَيَذَرُونَ أَي يَتَرَكُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ أَي فليُوصُوا وَصِيَّةً
لأزواجهم وأما على الرّفْع فالمعنى وعليهم وصية لهن مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ أَي

في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

ما يكفي لهن حولاً كاملاً من النفقة والكسوة والسكن غير إخراج أي ليس لأولياء الميت إخراجهن وقيل لا يخرجن من بيوت الأزواج فإن خرجن من البيوت بإختيارهن قبل الحول فلا جناح عليكن أي لا حرج لأحد من أولياء الميت، وقيل لا جناح في قطع النفقة عنهن، وقيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد إنتضاء العدة في ما فعلن في أنفسهن بالخروج من البيوت واللّه عزيرٌ حكيمٌ صفة تقتضي الوعيد لمن خالف الحد، حكيمٌ، حيث يضع الأشياء في موضعها فهو محكمٌ لما يريد من عباده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يُسئلون.



وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُتَّقِينَ * (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

◀ اللّٰغَة

واضحة.

◀ الإعراب

وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ مبتدأ وخبر حَقًّا مصدر وقد ذكر مثله قبل كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ قد ذكر في آية الصَّيَامِ فلا نعيده.

◀ التفسير

نقل في التبيان عن سعيد بن المسيب أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ وَقَالَ سعيد بن جبير وأبو العالية والزَّهْرِي المتعة
واجبة لكل مطلقة وبه قال أبو حنيفة وقال الحسن هي للمطلقة التي لم يدخل
بها ولم يفرض لها صداق وقال عطاء ومجاهد للمدخل بها وعن أبي علي أنها
للمطلقة البائنة قال الشيخ بعد نقله الأقوال المذكورة و عندنا أنها مخصوصة
بتلك أن نزلت معاً وأن كانت تلك متأخرة فالأمر على ما قال سعيد بن المسيب
أنها منسوخة لأنَّ عندنا لا تجب المتعة إلا للتي لم يدخل بها ولم يتم لها
مهر وأن سمي لها مهر فلها ما سمي وأن لم يدخل بها فأن فرض لها مهرأ
كان له نصف مهرها ولا متعة لها في الحالين فلا بد من تخصيص هذه الآية
إنتهى.

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

إن قلت ما وجه تكرار المتعة في الأيتين، قلت أجابوا عنه بأن ذكرها في

الآية المتقدمة^(١) خاصّ بالمسلمين أو بما اذ طلق الرجل امرأته قبل المسيس والفرض وأما في المقام فذكرها عامّاً ليدخل فيه الأمة وغيرها هكذا قيل، والحقّ أنّ الكفار مكلفون بالفروع كما ثبت في محله فذكر المتعة في الآية المتقدمة لا يمكن أن يكون خاصّاً بالمسلمين وأما كونه خاصّاً بالطلاق قبل المسّ والفرض فهو في محله وكيف كان فالمتعة على قدر وسع الرجل بظاهر الآية حيث قال وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقد مرّ الكلام فيه، وقوله بِالْمَعْرُوفِ فقيل أنّه إشارة الى كون المتعة بين الإفراط والتفريط على قدر الميسرة وتخصيصه بالمتقين تشریف لهم بالذكر اختصاصاً وأن كان واجباً على الفاسقين أيضاً وقال بعض المحققين أثبت الله المتعة للمطلقات جميعاً في هذه الآية بعد ما أوجبها لواحدة منهنّ في الآية المتقدمة وعليه فالآية المتقدمة من قبيل الخاصّ وهذه الآية من قبيل العامّ فإن ثبت نزول المتقدمة بعد هذه الآية فلاشكّ أنّ العامّ يحمل على الخاصّ بمعنى أنّ الخاصّ تخصيص العامّ فالقاعدة تقتضي رفع اليد عن العامّ أو الأخذ بالخاصّ.

وأما أن لم يثبت هذا فالأخذ بالعامّ بعد الخاصّ مسلّم فنرفع اليد عن الخاصّ ونأخذ بالعامّ لدخول الخاصّ تحت العامّ وعليه بالمتعة واجبة أو مستحبة على اختلاف فيه لكلّ المطلقات سواء كانت قبل المسّ والفرض أو بعدهما فإنّ قوله تعالى:

وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ يَدُلّ على إعطاء المتعة لهنّ بقولٍ مطلق وأن كانت زائدة على الصّداق في بعض الموارد والسّر فيه هو أنّ الصّداق أو مهر المثل دين على ذمّة الرجل للمطلقة ولا بدّ له من تسليمه إليها فليس داخلًا في قوله، مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وأما يدخل فيه ما زاد عليه ألا ترى أنّ الله تعالى قال في الآية المتقدمة حقّاً على المحسنين وفي هذه الآية حقّاً على الْمُتَّقِينَ أليس في قوله تعالى إشعار بما ذكرناه.

ويؤيد ما ذكرناه واستخرجناه من الآية مارواه في الفقيه عن الباقر عليه السلام قال متعة النساء واجبة دخل بها أولم يدخل بها وتمتع قبل أن يطلق انتهى.
وقال الشيخ في التهذيب المتعة للتي لم يدخل بها وأما التي دخل بها فيستحب تمتعها اذا لم يكن لها في ذمته مهر والأول قبل الطلاق والثاني بعد إنقضاء العدة وفيه عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن المطلقة التي يجب على زوجها المتعة فكتب عليه السلام البائنة وأمثال ذلك من الأخبار الدالة على استحبابها بقول مطلق ومحصل الكلام هو أن هذه الآية تدل على استحباب المتعة لكل مطلقة من المطلقات ليدخل الزوج بها في سكك المحسنين والمتقين وأما قوله تعالى:

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فيه اشارة بل تصريح بالتعقل في الآيات والتدبر فيها وهو واضح.

فقول الشيخ قده وغيره من المفسرين عندنا لا يجب المتعة إلا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها فهو الى الآخر ما قال او قالوا فهو صحيح الا انا نقول ان هذه الآية ليست لبيان حكم الوجوب فيها لانه قد ثبت في الآية المتقدم قد ان قلنا باستفادة الوجوب منها في قوله ومتعهن أو باستفادته من الأخبار والإجماع، وأنما هي بصدد بيان مطلق الرجحان الذي يشمل الاستحباب أيضاً والفرق بين المقامين واضح هذا ما استفدناه من الآية والعلم عند الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ
أُلُوفٌ حِذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ
أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

◀ اللّغة

أُلُوفٌ: جمع ألف.

حِذَرَ الْمَوْتِ: الحذر إحتراز عن مخيف والباقي واضح.

◀ الإعراب

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ الْأَصْلُ فِي، تَرَى، مثل تَرَعَى، وَاتَّفَقُوا عَلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَخْفِيفًا وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَمَّا حَذَفَتِ الْهَمْزَةُ بَقِيَ آخِرُ الْفِعْلِ أُلُوفًا فَحَذَفَتْ فِي الْجَزْمِ وَالْأَلْفُ مُنْقَلَبَةٌ عَنْ يَاءٍ فَأَمَّا فِي الْمَاضِي فَلَا تَحْذِفُ الْهَمْزَةُ وَأَمَّا عَدَاهُ، هُنَا، بِإِلَى، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَلَمْ يَنْتَهَ عِلْمُكَ إِلَى كَذَا وَالرُّؤْيَا هُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَالْهَمْزَةُ فِي أَلَمْ، إِسْتِفْهَامٌ وَهُوَ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّفْيِ صَارَ إِجْبَابًا وَتَقْرِيرًا وَلَا يَبْقَى الْإِسْتِفْهَامُ وَلَا النَّفْيُ فِي الْمَعْنَى ثُمَّ أَحْيَاهُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى فِعْلِ مُحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ فَمَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَ أَلْفٌ إِحْيَاءٌ مُنْقَلَبَةٌ عَنْ يَاءٍ.

◀ التفسير

روى في الكافي بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا قَالَ عليه السلام أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا فِي مَدِينَةٍ مِنْ
مَدَائِنِ الشَّامِ وَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ وَكَانَ الطَّاعُونَ يَقَعُ فِيهِمْ فِي
كُلِّ أَوَانٍ فَكَانُوا إِذَا أَحْسَسُوا بِهِ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْأَغْنِيَاءُ لِقَوْتِهِمْ وَبَقِيَ

ففيها الفقراء لِضَعْفِهِمْ فَكَانَ الْمَوْتُ يَكْثُرُ فِي الَّذِينَ أَقَامُوا وَ يُقَلُّ فِي
الَّذِينَ خَرَجُوا لَوْ كُنَّا أَقْمَنَّا لَكُنْزُ فِينَا الْمَوْتُ وَيَقُولُ الَّذِينَ أَقَامُوا لَوْ
كُنَّا خَرَجْنَا لَقَلَّ فِينَا الْمَوْتُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ جَمِيعاً أَنَّهُ إِذَا
وَقَعَ الطَّاعُونَ فِيهِمْ وَأَحْسَنُوا بِهِ خَرَجُوا كُلُّهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا
أَحْسَنُوا بِالطَّاعُونَ خَرَجُوا جَمِيعاً وَتَنَحَّوْا عَنِ الطَّاعُونَ حِذْرَ الْمَوْتِ
فَسَارُوا فِي الْبِلَادِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَنَّهُمْ مَرُّوا بِمَدِينَةٍ خَرِبَةٍ قَدْ خَلَا
أَهْلُهَا عَنْهَا وَأَفْنَاهُمُ الطَّاعُونَ قَنَزِلُوا لَهَا فَلَمَّا أَحْطَوْا رَحَالَهُمْ
وَإِطْمَأَنَّنَا قَالَ لَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوْتُوا جَمِيعاً فَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ
وَصَارُوا رَمِيماً تَلُوحُ وَكَانُوا عَلَى طَرِيقِ الْمَارَّةِ فَكَنَسَتْهُمْ الْمَارَّةُ
فَنَحَّوْهُمْ وَجَمَعُوهُمْ فِي مَوْضِعٍ فَمَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ حَزْقِيلُ فَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعِظَامَ بَكَى وَاسْتَعْبَرَ وَ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ لَأَحْيَيْتَهُمُ السَّاعَةَ كَمَا أَمَّتْهُمْ فَعَمَّرُوا بِلَادَكَ وَ لَدُّوا
عِبَادَكَ وَ عَبَدُوكَ مَعَ مَنْ يَعْبُدُكَ مِنْ خَلْقِكَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ
أَفْتَحَبَّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ يَارَبِّ فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ فَأَوْحَى اللَّهُ أَن قُلْ كَذَا وَكَذَا
فَقَالَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَقُولَهُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَ هُوَ الْإِسْمُ
الْأَعْظَمُ فَلَمَّا قَالَ حَزْقِيلُ ذَلِكَ الْكَلَامَ نَظَرَ إِلَى عِظَامٍ يَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ فَعَادُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ عَزَّ وَذَكَرَهُ
وَ يُكَبِّرُونَهُ وَ يُهَلِّلُونَهُ فَقَالَ حَزْقِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ قَالَ عَمْرُو بْنُ يَزِيدٍ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.
وَ عَنْ غَوَالِي اللَّئَالِي عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ يَذْكُرُ فِيهِ فَيُرَوِّدُ
الْفَرَسَ، وَ فِيهِ أَنَّ نَبِيَّاً مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ أَن يُحْيِيَ الْقَوْمَ
الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حِذْرَ الْمَوْتِ فَأَمَاتَهُمْ
فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ صَبَّ الْمَاءَ فِي مِضْجَعِهِمْ فَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فِي هَذَا

اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً فصار صبّ الماء في اليوم النّيروز سنة ماضية لا يعرف سببها إلا الرّاسخون في العلم انتهى^(١)
وعن الإحتجاج للطبرسي في حديث الصادق عليه السلام أنّه أحصى الله قوماً خرجوا من أوطانهم هاربين من الطّاعون لا يُحصى عددهم فأماهم الله دهرأ طويلاً حتّى بليت عظامهم وتقطّعت أوصالهم وصاروا تراباً فبعث الله في وقتٍ أحبّ أن يرى خلقه قدرته نبياً يقال له حزقيل فدعاهم فاجتمعت أبدانهم ورجعت فيها أرواحهم وقاموا كهيئة يوم ماتوا لا يفتقدون من أعدادهم رجلاً فعاشوا بعد ذلك دهرأ طويلاً^(٢)

قال القرطبي في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هَذِهِ رُؤْيَا القلب بمعنى ألم تعلم وبه قال الطبري والمعنى عند سيويه، تنبيه إلى أمر الذين الخ ولا تحتاج هذه الرّؤية إلى مفعولين إلى أن قال قصّة هؤلاء أنّهم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء وكانوا بقرية يقال لها (داوردان) فخرجوا منها هاربين فنزلوا وادياً فأماهم الله تعالى قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا من الطّاعون وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت فأماهم الله تعالى فمرّ بهم نبي فدعا الله تعالى فأحياهم وقيل أنّهم ماتوا ثمانية أيّام وقيل سبعة والله أعلم وقال عند قوله تعالى: وَهُمْ أَلُوفٌ قال الجمهور هي جمع ألف قال بعضهم كانوا ستّ مائة ألف وقيل كانوا ثمانين ألفاً وقيل سبعين ألفاً وساق الكلام في نقل كلماتهم حتّى قال والصّحيح أنّهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى: وَهُمْ أَلُوفٌ وهو جمع الكثرة ولا يقال في عشرة فما دونها ألاف ثمّ نقل عن بان زيد أنّه قال في لفظة ألاف، أنّها معناها وهم مؤتلفون أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم أنّما كانوا مؤتلفين فخالفت هذه الفرقة فخرجت فرارا من الموت وإبتغاء

الحياة بزعمهم فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم، فألوف على هذا جمع، ألف، كجلوس جمع جالس وقعود جمع قاعد انتهى.

وكيف كان فالآية الشريفة دالة على أمرين:

أحدهما: قدرة الله وأنه قادر على الإقامة كما هو قادر على الأحياء وهو كذلك لأنه على كل شيء قدير.

ثانيهما: أن الفرار من الموت لا ينفع للكفار.

قال الله تعالى: **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ** ^(١).

قال الله تعالى: **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ** ^(٢)

و سيأتي الكلام فيه من المستقبل بوجه البسط و أمّا قوله:

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ فيستفاد منها أيضاً أمران.

أحدهما: أن الله تعالى ذو فضل على الناس.

الثاني: أن أكثر الناس لا يشكرون بل يكفرون به أو يغفلون عنه وهو عجيب.

الأول: أعني أنه ذو فضل على الناس فيدل عليه العقل والنقل.

أمّا العقل، فلأنّ الفضل على ما فسره الرّاعب في المفردات هو الزيادة من الإقتصار قال والفضل إذا أستعمل لزيادة أحد الشئيين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب، فضل من حيث الجنس كفضل الحيوان على النباتات وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على الحيوان وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر فالأولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه كالفرس والحصان

هذا
الفرقان في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خصّ بها الإنسان والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على إكتسابه انتهى.

إذا عرفت هذا فأعلم أنّ الله تعالى ذو فضل على الناس بجميع أقسامها، لأنّ فضل الإنسان على النبات والجماد جنساً وعلى الحيوان نوعاً.

وأما القسم الثاني: أعني الفضل الإكتسابي فهو أيضاً لا يحصل لأحد من النّاس إلّا بتوفيقه وإعانتة وهو واضح لا خفاء فيه فالإنسان من بدو وجوده مشمول لفضله وعنايته أن قلت الفضل على ما فسره الرّاعب الزيادة عن الإقتصار فأين الزيادة في المقام، قلت كلّ ما أعطاه الله لنا من الوجود والعلم والقدرة والرّزق وأمثالها فهو فضل لكونه زائداً على الإستحقاق بل المخلوق على قول بعض المتكلمين لا يستحق شيئاً فكّل ما أعطاه الله أيّاه فهو من فضله ورحمته ولذلك قالوا أنّ وجوده وإحسانه على الإطلاق بمحض التّفصل منه والإمتنان إذ لم يسبقه سؤال ولا إستحقاق بل هو تعالى يبتدأ بالنعم قبل إستحقاقها كما قيل بالفارسية.

داد حقّ را قابليت شرط نيست بلکه شرط قابليت داد اوست والوجه فيه هو أنّه قد ثبت في العلوم العقلية أنّ الفعل مقدّم على القوة بجميع أنحاء التّقدم إذ لا قوة حيث لا فعل فما لم يستفص الأشياء في العين بالفيض المقدّس لم يحصل لها قوة كما أنّها مالم تقرّر في العلم بالفيض الأقدس لم يثبت لها قابلية ولا لسان إستعداد وسؤال ولا إمتنان لأمر الحقّ تعالى فإنّ القابليات وأن كانت للأشياء ذاتيات لكن ظهورها أنّما هو بنور منبع الفعليّات.

وأما النقل:

قال الله تعالى: **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (١)

قال الله تعالى: **وَ اللَّهُ يَخْتِصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (١)

قال الله تعالى: **وَ اتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** (٢)

والآيات كثيرة وقد ورد، يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالعطية، وأمثال ذلك من الأدعية الماثورة كقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا من هو في إحسانه قديم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يا من ملكه قديم يا من فضله عميم، وقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يا ذا الجود والنعم يا ذا الفضل والكرم الخ.

الثاني: أعني به قوله: **أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**، فهو أوضح من أن يخفى على أحد كيف وحقيقة الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه في موضعه ومن يقدر عليه وقد تكلمنا في معنى الشكر وأقسامه وكيفية وما يتعلق به في أوائل سورة الحمد عند الفرق بين الحمد والشكر وسيأتي الكلام فيه في تفسير الآيات الواردة فيه إن شاء الله.



وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

◀ اللغة

وَقَاتِلُوا: المقاتلة المحاربة وتَحْرِي القتل.
سَمِيعٌ: قال الرَّاغِب السَّمِيع، السَّامِع، المُسْمَع وهو للمبالغة أحد الأسماء الحسنى وهكذا العليم.

◀ الأعراب

وَقَاتِلُوا المعطوف عليه محذوف تقديره، فأطيعوا وقاتلوا أو فلا تحذروا الموت كما حذره من قبلكم ولم ينفعهم الحذر.

◀ التفسير

قيل أَنَّ الآية خطاب لأمة مُحَمَّد ﷺ بالقتال في سبيل الله، وقيل الخطاب للذين أحيوا من بني إسرائيل على ما مرَّ في الآية السابقة أي بعد ما أحياهم الله بدعوة النبي أمرهم بالقتال في سبيله وعليه فالواو في قوله: وَقَاتِلُوا عاطفة على الأمر المتقدم وفي الكلام حذف تقديره وقال لهم قاتلوا، أو فأطيعوا وقاتلوا، وأما على القول الأول وهو أن يكون الخطاب لأمة مُحَمَّد ﷺ فالواو للاستئناف أو أنها عاطفة جملة كلام على جملة تقدّم ولا حاجة إلى إضمار في الكلام وكيف كان فالآية حائّة على الجهاد في سبيله لأنَّ عِزَّة الدِّين وشرف المسلمين في ظلال السيوف وقوله: أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إشارة إلى أَنَّ الله تعالى يسمع قولكم ويعلم مرادكم ولا يخفى عليه شيء أي أَنَّهُ تعالى عالم بالمسموعات والضَّمائر وستتكلّم إن شاء الله في معنى السَّمع والبصر في حقّه تعالى في موضعه بما لا مزيد عليه و أَنَّ علمه يرجع إلى سمعه وبصره لا أَنَّهُما يرجعان إليه كما توصّوه.

مَنْ ذَٰلَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ
أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

◀ اللّٰغَة

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: يقترض بضم الياء من اقترض نقرض اقراضاً، قال
الزّاعب، القرض ضربٌ من القطع وسمي قطع المكان و تجاوزه قرضاً كما
سمي قطعاً وسمي ما يدفع الى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً.
فَيُضَاعِفُهُ: الضّعف من الألفاظ المتضايقة الذي يقتضي وجود أحدهما
وجود الآخر كالنصف والزّوج، وهو تركب قدرين متساويين ويختص بالعدد
فاذا قيل أضعفت الشّيء وضعفته وضاعفته ضمنت اليه مثله فصاعداً قال
بعضهم، ضاعفت أبلغ من ضعفتُ و لذلك قال تعالى: فيضاعفه ولم يقل
فَيُضَعِّفُهُ.

يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ: القبض تناول الشّيء بجميع الكفّ نحو قبض السيف
والبسط خلافه والمعنى يسلب تارّة ويعطي أخرى أو يسلب قوماً ويعطي
قوماً، أو يجمع مرةً ويفرق أخرى أو يميت ويحيي وقد يكتنى به عن الموت
فيقال قبضه الله والإيقباض جمع الأطراف ويُستعمل في ترك التّبسط.

◀ الإعراب

مَنْ ذَٰلَّذِي من إستفهام في موضع رفع بالإبتداء و ذا خبره، والذي، نعت،
لذا او بدل منه يُقْرِضُ صلة الذي و لا يجوز ان تكون من و ذا بمنزلة اسم
واحد كما كانت ماذا لأنّ ما اشدّ ابهاماً من من اذا كانت من لمن يعقل
والقرض اسم للمصدر ومصدر على الحقيقة الاقراض ويجوز و ان يكون

القرض بمعنى المقرض كالخلق بمعنى المخلوق فيكون مفعولاً به حَسَنًا يجوز
وان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا قراضاً حَسَنًا ويجوز أن يكون صفة للمال ويكون بمعنى الطَّيِّب أو
الكثير فَيُضَاعَفُهُ يقرء بالزَّع عطفًا على، يقرض، أو على الإستئناف أي فالله
يضاعفه، و يقر بالنَّصْب وفيه وجهان.

أحدهما: أن يكون معطوفاً على مصدر يقرض، في المعنى ولا يصح ذلك
إلا باضمار أن يصير مصدرًا معطوفاً على مصدر تقديره، من ذا الذي يكون منه
قرض فمضاعفة من الله.

والوجه الثاني: أن يكون جواب الإستفهام على المعنى لأنَّ المستفهم عنه
كان المقرض في اللفظ فهو عن الإقراض في المعنى فكأنه قال أقرض الله
أحد فيضاعفه أَضْعَافًا جمع ضعف والضعف هو العين وليس بالمصدر وإنما
المصدر الأضعاف والمضاعفة فعلى هذا يجوز أن يكون حالاً من الهاء في
يُضَاعَفُهُ ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى لأنَّ معنى، يُضَاعَفُهُ، يصيره
إضعافاً ويجوز أن يكون بجمع ضعف والضعف إسم وقع موقع المصدر
كالعطاء فأنه إسمٌ لِلْمُعْطَى وقد إستعمل بمعنى الإعطاء قال القطامي:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرِّتَاعَا

فيكون إنتصاب إضعافاً على المصدر، فأن قيل فكيف جُمع، قيل
الإختلاف جهات التَّضْعِيف بحسب إختلاف الإخلاص وإختلاف أنواع
الجزاء يَبْسُطُ يُقرء بالسَّين وهو الأصل وبالضاد على إبدالها من السَّين لتجانس
الطاء في الإستعلاء.

◀ التفسير

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا قال ابن زيد القرض الذي دَعَا الله
إليه الجهاد أقول أن كان مراده من الجهاد معناه العام الشامل للمال أيضاً فهو

مِمَّا لَا بَأْسَ بِهِ وَأَنْ كَانَ مَرَادُهُ الْجِهَادَ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ حَمَلَ الْقَرْضَ عَلَيْهِ فَهُوَ بَعِيدٌ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَحَقَّ الْكَلَامُ أَنْ يُقَالَ مِنْ ذَا الَّذِي يُجَاهِدُ فِي جِهَادٍ حَسَنًا وَحَيْثُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِمَرَادٍ إِلَّا عَلَى مَا قُلْنَا مِنْ تَعْمِيمِ اللَّفْظِ ثُمَّ أَنْ قَوْلَهُ يُقْرِضُ اللَّهُ قِيلَ أَنَّهُ مُجَازٍ فِي اللَّغَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْقَرْضِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْحَاجَةِ وَهِيَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى مُحَالٌ وَالْحَقُّ أَنَّهُ قَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْحَاجَةِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَخْلُطَنَّ جَنْثِيَّاتٍ بِطَيْبَةٍ

وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأُنَحِّ عَرِيَانَا

كُلَّ إِمْرٍ سَوْفَ يَجْزِي قَرْضُهُ حَسَنًا

أَوْ سَيِّئًا وَمَدِينًا كَالَّذِي دَانَا

فإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه فالمراد الأمر وليس بقرض حاجة على ما ظنّه اليهود كما حكى عنهم بقوله تعالى: **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**^(١) بل سمى الإنفاق قرضاً تلطفاً للدعاء إلى فعله وتنبهها على أنه يرجع إليهم ولا يفوتهم وفيه حث لهم على فعله حيث كان هو سبحانه المطالب به وأنما وصفه بكونه حسناً إشعاراً بأن القرض الحسن هو المقرون بالإخلاص الذي لا يبتغي به سوى الله وقيل أن القرض الحسن ما تستره وتصغره عندك، وقيل ما كان من الحلال ولا يفسده بمن ولا أذى، أو ما نوي به وجه الله ويكون طيباً به نفسه أو ما كان حسن الموقع عند الإنفاق والأحسن حمل اللفظ على العموم فيندرج فيه جميع الطاعات الواقعة لوجهه تعالى البدنية والمالية ومن ذلك إقراض المؤمنين المحتاجين المال فتدّل على مشروعية القرض ورجحانه بل على شدة التحريض عليه والتّغريب بإعتبار ما رتب عليه من الأضعاف الكثيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

المجلد الثاني

فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ قَالَ ﷺ نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ أَرْنِي يَدَكَ، فَنَاولَهُ - قَالَ فَأَنْتِي أَقْرَضْتُ اللَّهَ حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهُ - فَنَادَاهَا يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ قَالَتْ لَبَّيْكَ قَالَ أَخْرِجِي، قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ وَنَقَلَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَ مَنْ ذَلِكَ يُقْرِضُ اللَّهَ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَقْرِضُنَا وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْقَرْضِ قَالَ ﷺ نَعَمْ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَكُمْ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ فَأَنْتِي أَقْرَضْتُ رَبِّي قَرْضًا يَضْمَنُ لِي بِهِ وَلِصَبِيَّتِي الدَّحْدَاحَةَ مَعِيَ الْجَنَّةَ قَالَ ﷺ نَعَمْ فَنَاولَنِي يَدَكَ فَنَاولَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ أَنَّنِي لِي حَدِيقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالسَّافِلَةِ وَالْأُخْرَى بِالْعَالِيَةِ وَاللَّهُ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا قَدْ جَعَلْتُهُمَا قَرْضًا لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْعَلُ أَحَدَهُمَا لِلَّهِ وَالْأُخْرَى دَعَاهَا مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ قَالَ فَأَشْهَدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّنِي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ حَائِطٌ فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ قَالَ ﷺ إِذَا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ فَاِنْطَلِقْ أَبُو الدَّحْدَاحِ حَتَّى جَاءَ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صَبِيَّانِهَا فِي الْحَدِيقَةِ تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ فَاِنْشَأَ يَقُولُ:

هَذَاكَ رَبِّي سَبِيلَ الرَّشَادِ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّادِدِ
بَيْنِي مِنَ الْحَائِطِ بِالْوُدَادِ فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِ
أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى إِعْتِمَادِي بِالطَّوْعِ لِأَمْنٍ وَلَا إِرْتِدَادِ
إِلَّا رَجَاءَ الضَّعْفِ فِي الْمَعَادِ فَإِرتَحَلِي بِالنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْبَرِّ لِأَشْكَ فَاخِيرُ زَادٍ قَدَمَهُ الْمَرءُ إِلَى الْمَعَادِ

قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ رَجَعَ بَيْعُكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ ثُمَّ أَجَابَتْهُ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدّى ما لديه ونصح
 قد منع الله عيالي و منح بالعجوة السوداء والزّهُو البلح
 والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما إجترح
 ثمّ أقبلت أمّ الدّحداح على صبيانها تُخرج ما في أفواههم وتنفض ما في
 أكمامهم حتّى أفضت الى الحائط الآخر فقال النبي ﷺ كم من عذقي رداح و
 دار فياح لأبي الدرداء

قال بعض العُرفاء إنقسم الخلق بحكم الخالق وحكمته وقدرته ومشئته
 وقضاءه وقدره حين سمعوا هذه الآية أقساماً فتفرّقوا فرقاً ثلاثة:

الفرقة الأولى: الرذلي، قالوا أنّ ربّ محمّدٍ محتاج فقير الينا ونحن أغنياء
 فهذه جهالة لا تخفى على ذي لبّ فردّ الله عليهم بقوله: **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ^(١)

الفرقة الثانية: لما سمعت هذا القول أثرت الشح والبخل وقدمت الرغبة
 في المال فما الفقت في سبيل الله ولا فكت اسيراً ولا اعانت احداً تكاسلاً
 عن الطاعة وكوّنوا الى هذه الدار.

الفرقة الثالثة: لما سمعت بادرت على امثاله و آثر المجيب منهم بسرعة
 بماله كابي الدصلاح.

وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قيل المعنى والله يقبض الرزق عن
 أقوامٍ بن يقتره عليهم ويبسطه على الآخرين بأن يوسّعه عليهم وقيل أنّه تعالى
 يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها أجلاً وعاجلاً، وقول ثالث أنّه يقبض
 الرزق بموت واحد ويبسطه لوارثه واليه ترجعون، أي الى الله تعالى رجوعكم
 بالآخرة بعد الموت قال تعالى: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، فإنّ كلّ شيء يرجع الى
 أصله كما قيل:

في القرآن في تفسير القرآن



في القرآن

لقد سألوا وقالوا ما النهاية فقلت هي الرجوع الى البداية
ثم بعد الرجوع لايه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره ولنذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار فمن الآيات:

قال الله تعالى: **يَنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ^(١)

قال الله تعالى: **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ^(٢)

قال الله تعالى: **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ^(٣)

قال الله تعالى: **وَأَمِنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ^(٤)

والآيات كثيرة.

و من الأخبار مارواه في معاني الأخبار عن أبي أيوب الخزاز بسنده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام: لما نزلت آية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله رب زدني فأنزل سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يارب زدني فأنزل من ذلك الذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أَنْ الْكَثِيرُ مِنَ اللَّهِ لَا يَخْفَى وَلَيْسَ لَهُ مُنْتَهَى.

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لأن أقرض قرضاً أحب إلي من أن أتصدق بمثله و كان يقول من أقرض قرضاً و ضرب له أجلاً فلم يؤت به عند ذلك الأجل كان له من الثواب في

كَلَّ يَوْمٍ يَتَأَخَّرُ عَنْ ذَلِكَ الْأَجَلِ بِمِثْلِ صَدَقَةِ دِينَارٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ
انتهى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنِ الْفَضِيلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا مِنْ مُسْلِمٍ
أَقْرَضَ قَرْضًا حَسَنًا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَسِبَ لَهُ أَجْرَهَا كَحِسَابِ
الصَّدَقَةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله
مَنْ أَقْرَضَ مُؤْمِنًا قَرْضًا يَنْظُرُ بِهِ مِيسُورُهُ كَانَ مَالُهُ فِي زَكَاةٍ وَكَانَ
هُوَ فِي صَلَاةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي حَدِيثٍ قَالَ عليه السلام: وَمَنْ أَقْرَضَ
أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَقْرَضَهُ وَزَنَ جَبَلٍ أَخَذَ مِنْ جِبَالِ
رَضْوَى وَطُورِ سَيْنَاءَ حَسَنَاتٍ وَأَنْ رَفَقَ بِهِ فِي طَلْبِهِ تَعَدَّى (جَازَ)،
بِهِ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ اللَّامِعِ بَغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ وَ
مَنْ شَكَى إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ فَلَمْ يَقْرَضْهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ يَوْمَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ انْتَهَى ^(١).

وَرَوَى بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَلْفَ دِرْهَمٍ أَقْرَضَهَا مَرَّتَيْنِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهَا
مَرَّةً وَكَمَا لَا يَحِلُّ لَغَرِيمِكَ أَنْ يَمْطَلَكَ وَهُوَ مُؤَسَّرٌ فَكَذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ
أَنْ تَعْسِرَهُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهْ مَعْسُرٌ انْتَهَى ^(٢).

وغير ذلك من الأخبار الواردة في الباب.



أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ
 مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
 الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

◀ اللّغة

إِلَى الْمَلَأِ: الملاء بفتح الميم واللام جماعة يجتمعون على رأي.
 تَوَلَّوْا، التَوَلَّى: الإدبار والإعراض، أي أدبروا وأعرضوا.

◀ الإعراب

مِنْ بَنَى إِسْرَآئِيلَ مَنْ، تتعلّق بمحذوف لأنها حال أي كائناً من بني إسرائيل
 مِنْ بَعْدِ متعلّق بالجَارِ الأول أو بما يتعلّق به الأول والتقدير من بعد موت موسى
 واذ بدل من بعد لأنهما زمانان نُقَاتِلُ الجمهور على التَّوْنِ والجزم على جواب
 الأمر وقد قرأ بالرفع في الشاذ على الاستثناف وقرأ بالياء والرفع على أنه صفة
 لملك، وبالياء والجزم على الجواب عَسَيْتُمْ الجمهور على فتح السّين ويُقرأ
 بكسرهما وهي لغة والفعل منه عسى مثل خشى وإسم الفاعل، عسّ مثل عمّ،
 حكاه ابن الإعرابي وخبره أَلَّا تُقَاتِلُوا والشَّرْطُ معترض بينهما ما كنّا ما
 إستفهام في موضع رفع بالابتداء و، لنا، الخبر ودخلت الواو ليبدّل على ربط هذا
 الكلام بما قبله وهو إستفهام في اللفظ وإنكار في المعنى أَلَّا نُقَاتِلَ تقديره في
 أن لا يقاتل أي في ترك القتال، فتعلّق، في، بالابتداء أو بنفس الجار فيكون أن

لا نقاتل، في موضع نصب عند سيويه و جرّ عند الخليل قَدْ أَخْرَجْنَا جملة في موضع الحال والعامل، يقاتل وَأَبْنَاءُنَا معطوف على ديارنا وفيه حذف مضاف تقدّيره و من بين أبناءنا.

◀ التفسير

ذكر الله تعالى قصّة أخرى على القتال جرت في بني إسرائيل فقال:
أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ أَلَا تَعْلَمُ لأنّ الرؤية هنا بالقلب والمعنى، تَعْلَمُ، لأنّ
 النَّفْيَ في النَّفْيِ يفيد الإثبات كقوله تعالى: **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**
قَدِيرٌ ^(١) أي تعلم قطعاً وقوله أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا الآية أي قد آن و أمثال ذلك
 كثيرة **إِلَى الْمَلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ** والملاء الجماعة من الناس وقيل
 الأشراف منهم كأنهم ممتلئون شرفاً، والمراد به في المقام، القوم مِنْ بَعْدِ
 مُوسَى أي من بعد وفاته **إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ** قيل هو شمويل بن علقمة و
 يعرف بابن العجوز ويقال فيه شمعون سَمْعُون بالسّين والسّين تصوير شيئاً بلغة
 العبرانية وهو من ولد يعقوب و قال مقاتل هو من نسل هرون و قال قتادة هو
 يوشع بن نون وعن المحاسبي وأنّ اسمه إسماعيل وكيف كان فهذه الآية خبرٌ
 عنهم حيث نالتهم ذلّة بغلبة عدوّ عليهم فطلبوا الإذن في الجهاد وأن يؤمر
 به يوفر به فلمّا امرّو صبرّتهم الاقل فمنضّرهم الله **أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلَ فِي**
سَبِيلِ اللَّهِ و إنّما سألوا ملكاً ليكون آخرّاً عليهم حتّى يستقيم ما لهم في جهاد
 عدوهم كما قال تعالى: **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا**
تُقَاتِلُوا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ أي لعَلَّكم أن فرض عليكم المحاربة تحت لواء الملك
 أن لا تقاتلوا، أي أن لا تفوا بما تقولون **قَالُوا أَيُّ الْمَلَاءِ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي**
سَبِيلِ اللَّهِ أي أي شيء لنا في ترك القتال أو ليس لنا ترك القتال وَقَدْ أَخْرَجْنَا

بِالنَّفْيِ فِي مَوْضِعِ الْإِثْبَاتِ

جزء ٢

بِالنَّفْيِ فِي مَوْضِعِ الْإِثْبَاتِ

مَنْ دِيَارِنَا أَيْ وَالْحَالُ إِنَّا أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا أَيْ أَدْبَرُوا عَنْهُ فَلَمْ يِقَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ عَلَى مَا يَأْتِي وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ بِتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْقَلِيلُ سِتِّينَ أَلْفًا، وَأَيْضًا عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَغَيَّرُوا دِينَ اللَّهَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَكَانَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فَلَمْ يَطِيعُوهُ، وَرَوَى أَنَّهُ أَرْمَا النَّبِيَّ فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ وَهُوَ مِنَ الْقَبْطِ فَأَذْلَهُمْ وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَاسْتَعْبَدَ نِسَاءَهُمْ فَفَزَعُوا إِلَى نَتِيبِهِمْ وَقَالُوا سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَانَتِ النَّبُوءَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فِي بَيْتِ آخِرٍ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ النَّبُوءَةَ وَالْمَلِكُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَمَنْ ذَلِكَ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ إِبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَكْتُبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَا تَقَاتِلُوا فَقَالُوا وَمَا لَنَا لَا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَهَذَا شَأْنُ الْأُمَمِ الْمُنْتَعِمَةِ الْمَائِلَةِ إِلَى الدَّعَةِ تَمْتَنِي الْحَرْبَ أَوْقَاتِ الْأَنْفَةِ فَإِذَا حَضَرَتِ الْحَرْبُ كَعَبَ وَانْقَادَتْ لَطَبْعَهَا.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ
 مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ
 أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ
 إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
 وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)

◀ اللغة

بَسْطَةً: بَسَطَ الشَّيْءُ نَشْرَهُ وَتَوَسَّعَ فَتَارَةً يَتَصَوَّرُ مِنْهُ الْأَمْرَانِ وَتَارَةً يَتَصَوَّرُ مِنْهُ
 أَحَدُهُمَا يُقَالُ بَسَطَ الثَّوبَ، نَشْرَهُ وَمِنْهُ الْبَسَاطُ.

◀ الإعراب

طَالُوتَ إسم أعجمي فلذلك لم ينصرف وليس بمشتق من الطول كما أن
 إسحاق ليس بمشتق من السحق وأنما هي ألفاظ تقارب ألفاظ العربية مَلِكًا
 حال وَاَنَّى بمعنى أين أو بمعنى كيف وموضعها نصب على الحال من الملك
 والفاعل فيها، يكون، ولا يعمل فيها واحد من الطرفين لأنه عالم معنوي فلا
 تتقدم الحال عليه يَكُونُ يجوز أن تكون ناقصة فيكون الخبر له وَعَلَيْنَا حال من
 الملك والعامل فيه يكون، أو الخبر، ويجوز أن تكون تامة وَنَحْنُ أَحَقُّ فِي
 موضع الحال، والباء و من، يتعلقان بأحقَّ سَعَةً أصا السعة وسعة بفتح الواو و
 حَقَّهَا فِي الْأَصْلِ الكسر وأنما حذفت في المصدر لما حذفت في المستقبل و
 أصلها، في المستقبل الكسر وهو قولك، يسع، فالفتحة عارضة فأجرى عليها
 حكم الكسرة وأنما فتحت من أجل حرف الحلق، ثم جعلت في المصدر
 مفتوحة لتوافق الفعل ويدل ذلك على ذلك أَنَّ قولك، وعد يعد مصدره، عدة،

بالكسر على أصله مِّنَ الْمَالِ نَعَتْ لِلْسَّعَةِ فِي الْعِلْمِ يجوز أن يكون نعتاً للبسطة وأن يكون متعلقاً بها وَاسِعٌ قِيلَ هو على معنى النسب أي هو ذو وسعة وقيل جاء على حذف الزائد والأصل أَوْسَعُ فهو مُوسِعٌ، وقيل هو فاعل من، وَسِعَ فالتقدير على هذا واسع الحكم لأنك تقول وسعنا علمه.

التفسير

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ أَي أجابكم الى ما سألتهم، قيل، كان طالوت سقاًً وقيل دباغاً، وقيل مكاريا وكان عالماً فلذلك رفعه الله وكان من سبط بنيامين ولم يكن من سبط النوبة ولا من سبط الملك وكانت النوبة في بني لاوي، والملك في سبط يهوذا فلذلك أنكروه نُقِلَ عن وَهَب بن مبنه أَنَّهُ قال، لَمَّا قال الملاء من بني إسرائيل لشمويل بن بال نا قالوا سأل الله تعالى أن يبعث اليهم ملكاً ويدلّه عليه فقال الله تعالى له، أنظروا الى القرن الذي فيه الدّهن في بيتك فإذا دخل عليك رجل فنش الدّهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فأدهن رأسه منه ومَلَكه عليهم قال وكان طالوت دباغاً فخرج في إبتغاء دابةً أَضْلَهَا فقصّد شمویل عسى أن يدعو له في أمر الدابة أو يجد عنده فرجاً فنش الدّهن على ما زعموا، قال فقام اليه شمویل فأخذه ودهن منه رأس طالوت وقال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى بتقديمه ثم قال لبني إسرائيل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، وطالوت وجالوت إسمان أعجميان معربان ولذلك لم ينصرفا وكذلك داوود.

قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ أَي لَمَّا جعل الله تعالى، طالوت، ملكاً عليهم وكان ذلك بسبب سؤالهم كما مرّ إعترضوا وقالوا كيف يملكنا ونحن أحقّ وأولى بالملك منه وهو مع ذلك فقير لا مال وهذا الكلام منهم جرئ على سُنتهم في تعنتهم و

تمردّهم للإبياء كما كانوا لموسى ولم يعلموا أنّ المال والعشيرة والنسب و أمثالها من الأقوال الإعتباريّة لا دَخل لها في ذلك ولذلك قال لهم نبيهم.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ أَيَّ أَنَّ اللَّهَ إِخْتَارَهُ وَ جَعَلَهُ مَلَكًا (وزاده بسطةً في العلم والجسم وفيه اشارة الى أنّ الملاك عنه الله تعالى هو هذين الوصفين اعنى بهما العلم والجسم لاما زعموه من المال والنسب وهما موجودان فيه دونكم.

وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ أَيَّ لَنَّهُ تَعَالَى ذُو سَعْدٍ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ نَعْمَةٍ عَلِيمٌ بِمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْتِيَهُ الْفَضْلَ أَمَّا لِلْإِسْتِعْلَاحِ أَوْ أَمَّا لِلْإِخْتِيَارِ قَالَ الْبَلْخِي فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى فُسَادِ قَوْلٍ مِنْ قَالَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ وَرَاثَةٌ لِأَنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ التَّعْلِيلِ عَلَيْهِمْ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ النُّبُوَّةِ وَلَا الْمَمْلَكَةِ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ يَجِبُ بِالْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ لَا بِالْوَرَاثَةِ انْتَهَى.

و عندنا أنّ في الآية دلالة على أنّ من شرط الإمام أن يكون أعلم رعيته و أفضلهم في خصال الفضل لأنّ الله تعالى علّل تقديمه بكونه أعلم و أقوى فلو لا أنّه شرط فلا معنى له، و دلالة أخرى وهى أنّ الإمام مجعول منصوب من قبل الله تعالى ولذلك سألوا ربّهم بواسطة النّبي أن يجعل لهم ملكاً، فأجابهم الله تعالى: وَبَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، فلو صحّ أن يكون هذا الأمر بيد الناس لقال لهم نبيهم إجعلوا لأنفسكم ملكاً و حيث لم يقل لهم ذلك علّمنا أنّ الأمر بيد الله تعالى دون الناس، و دلالة ثالثة وهى أنّ الإمام إذا كان أعلم الناس و أقواهم كما في الآية فكلّ من لا يكون كذلك فهو ليس بإمام للزّومه تقديم المفضول على الفاضل و هو قبيح عقلاً و لتفصيل الكلام فيه موضع آخر، قال ابن، عبّاس كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني اسرائيل و جملة و أتمّه و زيادة الجسم ممّا يهيب العدو و قيل سُمّي طالوت لطوله و قيل زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير و الشّجاعة ولم يرد عظم الجسم كما قال الشّاعر:

تَرَى الرَّجُلَ الْتَحِيفَ فَتَزِدْهُ وَ فِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَظُور
وَيَعْجَبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيَخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لَبٍ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْعَظْمِ الْبَعِيرُ
فَعَن كِتَابِ الْإِحْتِجَاجِ لِلطَّبْرَسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ كَلَامٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَسْمَعُوا مَا أَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ
الْمُرْسَلِ لَتَتَّعَظُوا فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ عِظَةٌ لَكُمْ فَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ
وَإِنْ جُرُوا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَقَدْ وَ عَظْمُكُمْ بِغَيْرِكُمْ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ، أَلَمْ تَرَ
إِلَى الْمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عِبْرَةٌ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ
الْخِلَافَةَ وَالْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وَ
قَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِإِصْطِفَاءِهِ زِيَادَةَ بَسْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
فَهَلْ يَجِدُونَ اللَّهَ إِصْطَفَى بَنِي أُمِّيَّةٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَزَادَ مَعَاوِيَةَ
عَلَى بَسْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ انْتَهَى.

وَعَنْ أُمِّ الْيَسْرِ الشَّيْخِ بِأَسْنَادِهِ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ أَرْبَعَ أَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى تَصْدِيقِي بِهَا فِي كِتَابِهِ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُلْتُ قَدْرًا وَقَالَ قِيَمَةُ
كُلِّ إِمْرٍ مَا يَحْسُنُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ أَنَّ اللَّهَ إِصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ انْتَهَى.

وَعَنْ الْعِيُونِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ
وَالْأَئِمَّةَ يُوفِّقُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ
غَيْرُهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ كُلِّ عِلْمٍ أَهْلِ زَمَانِهِمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْآخِزِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ^(١) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي طَالُوتَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ

زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ انْتَهَى.

أقول وقد روي أَنَّ طَالُوتَ كَانَ أَعْظَمَهُمْ جِسْماً وَكَانَ شَجَاعاً قَوِيّاً وَكَانَ
أَعْلَمَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيراً فَعَابُوهُ بِالْفَقْرِ وَقَالُوا لِمَ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ.



وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

◀ اللغة

آيَةَ: الآية العلامة

مُلْكِهِ: المُلْك بضم الميم الحق الدائم لله ولذلك قال تعالى. له المُلْك وله
الخمد وقيل الملك ضبط الشئ المتصرف فيه بالحكم والملك كالجنس للملك
فكل ملك ملك ولا عكس قاله الراغب في المفردات.
التَّابُوتُ: معروف بيننا وقيل كان شيئاً مَنُحُوتاً من الخشب فيه حكمة عبارة
عن القلب و السكينة و عما فيه من العلم و سمي القلب سَفَط العلم و بيت
الحكمة و تابوته و وعاءه و صندوقه.

سَكِينَةٌ: السكينة بفتح السين والسكن واحد وزوال الرعب قاله الراغب في
المفردات ثم قال وعلى هذا قوله: أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ.

◀ الإعراب

أَنْ يَأْتِيَكُمُ خبر أن التَّابُوتُ أصل وزنه فاعول، ولا يعرف له اشتقاق فيه
سَكِينَةٌ الجملة في مفعول الحال وكذلك تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ وقوله: مِّن رَّبِّكُمْ
نعتٌ للسكينة وقوله: مِمَّا تَرَكَ نعت، لبقية، وأصل البقية، لبقيته ولام الكلمة،
ياء.

◀ التفسير

اختلفوا في المراد بالتَّابُوت والسَّكِينَة إختلافاً شديداً لا يكاد يضبط فقال بعض المفسرين من العامة أَنَّ التَّابُوت أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده الى أن وصل الى يعقوب عليه السلام فكان في بني إسرائيل يغلبون به مَنْ قاتلهم حتَّى عصوا فغلبوا على التَّابُوت غلبهم عليه العمالقة جالوت وأصحابه في قول السَّدي و سلبوا التَّابُوت منهم نقل هذا القول القُرطبي في تفسيره ثم نقل عن النَّحاس أَنَّ الآية في التَّابُوت أَنَّهُ كان يسمع فيه أُنَيْنٌ فاذا سمعوا ذلك ساروا لحربهم و اذا هَدَّ الأُنَيْن لم يسيروا ولم يسر التَّابُوت، و قيل كانوا يضعونه في مأزق الحرب فلا تزال تغلب حتَّى عصوا فغلبوا و أخذ منهم التَّابُوت و ذلَّ أمرهم فلما رأوا آية الإِصْطِلام و ذهاب الذِّكر أنف بعضهم و تكلموا في أمرهم حتَّى إجنم ملؤهم أن قالوا للنبي الوقت أبعث لنا ملكاً فلما قال لهم، ملككم طالوت راجعوه فيه كما أخبر الله عنهم فلما قطعهم بالحبَّة سألوه البينة على ذلك انتهى كلامه.

وقال البيضاوي أَنَّهُ كان من خشب الشَّمْشَاد مُموهاً بالذَّهَب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، و قال الزَّمخشري في الكشَّاف، التَّابُوت صندوق التَّوراة و كان موسى عليه السلام اذا قاتل قَدَّمَهُ فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. و قال الطَّبْري التَّابُوت الَّذي كانت بنو إسرائيل اذا لحق عدوٌّ لهم قَدَّموه أمامهم و زحفوا معه فلا يقوم لهم معه و أمَّا عندنا فالتَّابُوت هو الَّذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أُمَّهُ فألقته في اليم فكان في بني إسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح و دَرَعه و ما كان عنده من آيات النُّبوة و أودعه يوشع و وصَّيه فلم يزل التَّابُوت بينهم حتَّى استخفوا به و كان الصَّبيان يعلبون به في الطَّرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عزٍّ و شرفٍ مادام التَّابُوت عندهم فلما عملوا بالمعاصي و استخفوا بالتَّابُوت رفعه الله عنهم فلما سألوا

النَّبِيِّ بَعَثَ اللَّهُ طَالُوتَ الْيَهُودِ مُلْكًا يُقَاتِلُ مَعَهُمْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ.

وَأَمَّا السَّكِينَةُ فَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ هِيَ فَعِيلَةٌ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّكُونِ وَالْوَقَارِ وَالطَّمَأْنِينَةِ فَقَوْلُهُ: فِيهِ سَكِينَةٌ أَيُّهُ هُوَ سَبَبُ سَكُونِ قُلُوبِكُمْ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ، وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَ سَبَبَ سَكُونِ قُلُوبِهِمْ، وَنَقَلَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَثَبٍ أَنَّهُ قَالَ السَّكِينَةُ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ تَتَكَلَّمُ فَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ نَطَقَتْ بِبَيَانٍ مَا يَرِيدُونَ وَإِذَا صَاحَتْ فِي الْحَرْبِ كَانَ الظَّفَرُ لَهُمْ، وَنَقَلُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ، هِيَ رِيحٌ هَفَافَةٌ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، أَوْ هِيَ رِيحٌ خَجُوجٌ لَهَا رَأْسَانِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ هِيَ حَيَوَانٌ كَالْهَرَلِ جَنَاحَانِ وَذَنْبٌ وَلَعَيْنِيهِ شِعَاعٌ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْجَيْشِ إِنْهَزَمَ، وَقَالَ بَنُ عَبَّاسٍ هِيَ طُسْتُ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ يَغْسِلُ فِيهَا قُلُوبَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كَثِيرَةٌ وَالْمُعْتَمَدُ هُوَ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّهَا كَانَتْ تَوْجِبُ سَكُونِ قُلُوبِهِمْ وَأَمَّا أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ مَا هِيَ فَلَا عِلْمَ لَنَا بِهِ وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَبَقِيَّةٌ فَقِيلَ أَنَّهَا عَصَا مُوسَى وَعَصَا هَارُونَ وَرِضَاضُ الْأَلْوَحِ لِأَنَّهَا إِنْكَسَرَتْ حِينَ أَلْقَاهَا مُوسَى قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ، الْبَقِيَّةُ، عَصَا مُوسَى وَثِيَابُهُ وَثِيَابُ هَارُونَ وَلَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَيُظْهِرُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَقِيَّةِ فِي آيَةِ ذُرِّيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

◀ اللغة

فَصَلَ: الفصل في الأصل أبانه أحد الشَّيئين من الآخر حتَّى يكون بينهما
 فرجة ومنه قيل، المفاصل، يقلَّ فَصَلَتِ الشَّاةُ، قطعَتْ مفاصلها، وفصل القوم
 عن مكان كذا وإنفصلوا فارقه قاله الرَّاغب وقال صاحب الكشَّاف فصل عن
 موضع كذا، انفصل عنه وجاوزه انتهى.

الْجُنُودُ: بضم الجيم جمع الجُنْد وهو العسكر.

بِنَهَرٍ: النَّهْر والنَّهْر لغتان وإشتقاقه من السَّعة ومنه النَّهَار وهو في الأصل
 مجرئ الماء الفائض وجمعه، أنهار.

اغْتَرَفَ: الغرف رفع الشَّي وتناوله، والغرفة بضم الغين ما يغترف.

فِئَةٍ: الفئَة، الجماعة من النَّاس والقطعة منهم من فأوت رأسه بالسَّيف و
 نأيته، أي قطعته.

◀ الإعراب

بِالْجُنُودِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيِ فَصْلٍ وَمَعَهُ الْجُنُودُ مُبْتَلِيكُمْ الْبَاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنْ
وَاوٍ لِأَنَّهُ مِنْ بَلَى يَبْلُو إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ إِسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْجِنْسِ وَمَوْضِعُهُ، نَصَبٌ، وَ
هُوَ، مُتَعَدٍّ عَرْفَةً بَضْمٍ الْغَيْنِ وَفَتْحَهَا وَقَدْ قُرَأَ بِهِمَا وَهُمَا لُغَتَانِ وَعَلَى هَذَا
يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْغَرَفَةُ مُصَدَّرًا بِمَعْنَى الْمَغْرُوفِ وَقِيلَ الْغَرَفَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ
الْوَّاحِدَةُ وَبِالضَّمِّ قَدْرٌ مَا تَحْمِلُهُ الْيَدُ بِيَدِهِ مُتَعَلِّقٌ بِاعْتَرَفَ إِلَّا قَلِيلًا مَنْصُوبٌ
عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَوْجِبِ طَائِفَةً مِنَ الطُّوقِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ وَعَيْنُهَا وَوَاوٍ فِي الْأَصْلِ
كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ كَمْ هُنَا خَبَرٌ وَمَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ عُلِّبَتْ خَبَرُهَا وَمِنْ زَائِدَةٍ
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، صِفَةٌ لَكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى
الْحَالِ وَالتَّقْدِيرُ بِأَذْنِ اللَّهِ لَهُمْ.

◀ التفسير

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قِيلَ فِي الْكَلَامِ حَذَفَ لِدَلَالَةِ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ
فَاتَاهُمُ التَّابُوتُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَعَدُوا بِهَا فَصَدَّقُوا وَإِنْقَادُوا لَطَالُوتَ فَلَمَّا فَصَلَ أَيِ
خَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ وَقَطَعَ الطَّرِيقَ بِالْجُنُودِ قَالَهُ الطَّبْرَسِيُّ فَتَيَّزُوا ثُمَّ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي
عَدَدِ الْجُنُودِ فَقِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا وَقِيلَ سَبْعِينَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ أَيِ قَالَ لَهُمْ طَالُوتُ كَذَلِكَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ أَنَّ الْمِيَاهَ لَا تَحْمِلُنَا فَأَدَعَ
اللَّهُ أَنْ يَجْرِيَ لَنَا نَهْرًا فَقَالَ لَهُمْ طَالُوتُ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ، أَيِ مُخْتَبِرَكُمْ بِنَهَرٍ لِأَنَّ
الْإِبْتِلَاءَ الْإِحْتِبَارُ تُغْلَى عَنْ قِتَادَةِ النَّهْرِ الَّذِي يُبْتَلاهُمْ اللَّهُ بِهِ هُوَ نَهْرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَ
فِلَسْطِينَ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي أَيِ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِي فِي هَذَا الْحَرْبِ
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي الطَّعْمُ الذَّوْقُ يُقَالُ أَطْعَمْتُ الشَّيْءَ أَيِ ذُقْتَهُ وَ
أَطْعَمْتَهُ الْمَاءُ أَيِ أَذَقْتَهُ، قِيلَ لَمْ يَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَشْرِبْهُ، حَذَرًا مِنْ تَكَرُّارِ اللَّفْظِ
فَأَنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ أَفْصَحُ اللَّغَاتِ وَإِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ عَرْفَةً بِيَدِهِ الْإِعْتِرَافُ الْأَخْذُ

من الشَّيِّ باليد وبأَلَةٍ ومنه المغرفة والغرف مثل الإغتراف والمعنى أن من إغترف غرفةً بيده فلا بأس به وقيل المعنى إلا من أخذ الماء مرةً واحدةً باليد هذا بناءً على قراءة الضمِّ فمعناه إلا من شَرِب مقداراً مَلَكَفَه قاله الطَّبْرسي في المجمع وقيل الغرفة بالفتح، بالكُف الواحد، والغرفة بالضم الكُفَّين، والحق ما ذكرناه من أنَّهما لغتان بمعنى واحد الكافر والمؤمن إلا أنَّ الكافرين إنْخزلوا عنهم وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر وهذا قَوِي لقوله تعالى بعد ذلك فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ انتهى ما قاله الشيخ في التبيان.

أقول لا نفهم وجه القوَّة في كلامه فأنَّ قوله تعالى فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، يدلُّ على أنَّ المجاوزين طالوت ومن معه من المؤمنين و أمَّا الكافرون فليس في الآية ما يدلُّ على تجاوزهم معه فالآية دالة على أنَّ المجاوزين طالوت ومن معه من المؤمنين ولأجل ذلك قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ وَأَمَّا قَالُوا ذلك لقلَّة عددهم بالنسبة إلى أصحاب جالوت فلو جاوزه الكافر والمؤمن كما قيل فلم لم يقولوا ذلك قبل المجاوزة ففيه دلالة على أنَّ المجاوزين كانوا قليلاً وهو المطلوب قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الظَّن في الآية بمعنى اليقين والمعنى قال الذين يستيقنون وهو قول السدِّي وعليه قول الشاعر حيث قال:

فقلتُ لهم ظنُّوا بألْفِي مُدَجِّجٍ سراتهم في الفارسي المُسَرَّد
أي أيقنوا.

الثاني: معناه يحدثون أنفسهم وهو أصل الظَّن لأنَّ حديث النفس بالشَّيِّ قد يكون مع الشكِّ وقد يكون مع العلم إلا أنَّه قد رُكِب ما كان مع الشكِّ.

الثالث: معناه يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ بالقتل في تلك الواقعة وفي المقام

قول رابع:

وهو أنه إستعارة فيما يكفي فيه الظن حتّى يلزم العمل فكيف المعرفة فجاء على وجه المبالغة في لزوم العمل وقال القرطبي الظن هنا بمعنى اليقين ويجوز أن يكون شكّاً لا علماً أي قال الذين يتّوهّمون أنهم يقتلون مع طالوت فيلقون الله شهداء فوقع الشك في القتل انتهى.

وقال صاحب الكشاف قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عمّا قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوح البصيرة انتهى.

أقول ذكروا في تفسير الآية وجوهاً غير ما نقلناه لا بأس بالإشارة إليها: أحدها: قول قتادة وحاصله أن المراد من لقاء الله لقاء الموت وهؤلاء المؤمنون لما وطّنوا أنفسهم على القتل وغلب على ظنونهم أنهم لا يتخلصون من الموت لقلة عددهم وكثرة عدوهم قيل في وصفهم أنهم يظنون أنهم ملائقوا الله أي الموت.

الثاني: أن الكلام بتقدير مضاف أي يظنون أنهم ملائقوا ثواب الله، بسبب هذا الطاعة وذلك لأنّ أحداً لا يعلم عاقبة أمره فلا بد أن يكون ظاناً راجياً وأن بلغ في الطاعة ما بلغ وهذا قول أبي مسلم.

الثالث: أن المضاف المحذوف في الكلام، الطاعة، أي يظنون أنهم ملائقوا طاعة الله لعدم إمكان العلم بأنّ هذا العمل مثلاً طاعة أمّا الظن بكونه طاعة فهو حاصل لكلّ أحد.

الرابع: أن التقدير ملائقوا وعد الله بالنصر والظفر.

الخامس: أنهم كانوا يعلمون و يوقنون إلا أنه أطلق لفظ الظن على اليقين على سبيل المجاز لما بين الظن واليقين من المشابهة في تأكد الاعتقاد فهذه هي الوجوه المحتملة منهم في تفسير الآية والذي يقوّي في النظر هو قول أبي مسلم يظنون أنهم ملائقوا ثواب الله أو جزاء الله، أن كان الضمير في قوله: أنهم،

و يَظُنُّونَ رَاجِعاً إِلَى غيرِ الْمُؤْمِنِينَ و بعبارةٍ أُخرى أَن كَانَ قَوْلُهُ: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ حكايةً عن قول الكافرين الَّذِينَ إِنِخِذَلُوا عَنْهُمْ فَالْكَلامُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ الثَّوَابَ لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ وَاقِعاً، وَأَمَّا أَن كَانَ الْكَلامُ حكايةً عن قول المؤمنين فَالْحَقُّ أَنَّ الظَّنَّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ وَالتَّعْبِيرُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ كَمَا مَرَّ وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ قَالَ الظَّنُّ إِسْمٌ لَمَّا يَحْصُلُ عَنْ إِمَارَةٍ وَ مَتَى قَوِيَتْ أَدَّتْ إِلَى الْعِلْمِ وَسَاقَ الْكَلَامُ إِلَى أَن قَالَ فَقَوْلُهُ: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ، فَمَنْ الْيَقِينِ وَكَذَا قَوْلُهُ: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ^(١) أَيِ عِلْمِ انْتَهَى.

و مِنْهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّنَّ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ (وَلَمَّا بَرَزُوا النَّصْرَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى الْعَدُوِّ لَيْسَ بِالْكَثْرَةِ وَ أَنَّمَا هُوَ يَحْصُلُ بِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَشِيئَةُ اللَّهِ وَتَأْيِيدُهُ.

ثَانِيهِمَا: الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ وَالِإِسْتِقَامَةُ فَالَّذِي يَحْصُلُ بِهِ النَّصْرُ هُوَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ مَعاً فَلَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا وَهُوَ وَاضِحٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ^(٢).

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وَلَمَّا بَرَزُوا لُجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

◀ اللّغة

أَفْرِغْ: الفراغ خلاف الشغل وقد فَرَعَ فراغاً وفروغاً وهو فارغ قال تعالى: وَ
أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا^(١) يقال أفرغت الدلو صببت ما فيه ومنه أُسْتُعِيرَ،
أفرغ علينا صبراً.

◀ الإعراب

لُجَالُوتَ: تتعلّق اللام بَبَرَزُوا ويجوز أن تكون حالاً، أي بَرَزُوا قاصدين
لجالات.

◀ التفسير

وَلَمَّا بَرَزُوا لُجَالُوتَ وَجُنُودِهِ أصل البروز الظهور ومنه المباشرة للقتال
الظهور من الصّف، وجالوت ملك العمالقة وأميرهم، وأما جنوده فقليل ثلاث
مائة ألف فارس وقل تسعون والمعنى لما ظهروا وتهيئوا للقتال قَالُوا رَبَّنَا
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا أي اجعلنا من الصّابرين وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وهو كناية عن
الثبات والاستقامة وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ طلب النصرة والغلبة وفيه
إشارة إلى الصبر والاستقامة والنصرة كلّها من إفاضات الحق فلا بد من القبه من
الدعّا وعلى الله الاجابة لقوله: أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وسيأتى الكلام فى هذه
الامور بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى وإنّما قدّم فى الآية الصبر على الثبات

بَابُ التَّرْقَاتِ: فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّرْقَاتِ: فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

وَالنَّصْرَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَحْصُلِ الصَّبْرُ لَا يَحْصُلِ الثَّبَاتُ وَالِإِسْتِقَامَةُ فَأَنَّ مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ
كَيْفَ يَحْصُلِ الثَّبَاتُ وَمَنْ لَا يَحْصُلُ لَهُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ أَصْلًا.



فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَاتَّاهُ
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

◀ اللغة

فَهَزَمُوهُمْ: هزم بفتح الهاء الكسر يقال هَزَمْتُ الجيش، كَسَرْتَهُ وفي الدِّعَاءِ،
هَزَمَ الأحزاب وَحَدَهُ، كَسَرَهُمْ.
دَاوُدُ: إسم أعجمي كطَالُوتَ وَجَالُوتَ.

◀ الإعراب

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ هو حال أو مفعول به وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ هو مضاف إلى
الفاعل النَّاسُ مفعوله بَعْضُهُمْ بَدَلٌ من النَّاسِ بَدَلٌ بَعْضٍ من كُلِّ بَعْضٍ هو
المفعول الثاني يتعدى إليه الفعل بحرف جرّ.

◀ التفسير

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ رَوَى فِي الْبَحَارِ بِأَسْنَادِهِ عَنِ
الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مُوسَى صَابِرًا
مِنَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى اللُّوَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ حَتَّى مَضَى مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
طَوَاغِيتٍ فَقَوَّى بَعْدَهُمْ أَمْرَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ مَنَافِقِي قَوْمِ مُوسَى بِصَفَرَاءَ
بَنَتِ شُعَيْبَ إِمْرَأَةً مُوسَى فِي مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ فَقَاتَلُوا يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ فَغَلِبَهُمْ وَقَتَلَ
مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهَزَمَ الْبَاقِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْرَ صَفَرَاءَ بَنَتِ شُعَيْبَ
يَوْشَعَ لَهَا عَفْوُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ نَلْقَى نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى فَأَشْكُو مَا لَقِيتُ

منك و من قومك فقالت صفراء واويلاه والله لو أبيحت لي الجنة لا أستحييتُ
أن أرى فيه رسول الله وقد هتكتُ حجابَه و خرجت على وصيّه بعده فأستتر
الأئمة بعد يوشع الى زمان داود أربعمائة سنة وكانوا أحد عشر وكان قوم كلِّ
واحدٍ منهم يختلفون اليه في وقته و يأخذون منه معالم دينه حتّى إنتهى الأمر
الى آخرهم فغاب عنهم ثمّ ظهر فبشّره ب داود و أخبرهم أنّ داود هو الذي
يطهر الأرض من جالوت و جنوده و يكون فرجهم في ظهوره و كانوا ينتظرونه
فلما كان زمان داود كان له أربعة إخوة و أبوهم شيخ كبير و كان داود من
بينهم خامل الذكر و كان أصغر إخوته لا يعلمون أنّه داود النبي الذي يطهر
الأرض من جالوت و جنوده و كانت الشيعة يعلمون أنّه قد ولد و بلغ أشده و
كانوا يرونه و يشاهدونه و لا يعلمون أنّه هو فخرج داود و إخوته و أبوهم لما
فصل طالوت بالجنود و تخلف عنهم داود و قال ما يصنع بي في هذا الوجه و
أستهان به إخوته و أبوه و أقام في غنم أبيه يرعيها فأشدت طت الحرب و أصاب
الناس الجهد فرجع أبوه و قال لداود أحمل الى إخوتك طعاماً يتّقون به
على العدو و كان داود رجلاً قصيراً قليل الشعر طاهر القلب أخلاقه نقيّة فخرج
و القوم متقاربون بعضهم من بعض قد يرجع كلّ منهم الى مركزه فمرّ داود على
حجرٍ فقال له الحجر بنداءٍ رفيع يا داود خُذني فأقتل بي جالوت فأني إمّا
خلقت لقتله فأخذه و وضعه في مخلاته التي كان فيها حجارته التي كان يرمي
بها غنمه فلما دَخَلَ العسكر سمعهم يعظّمون أمر جالوت فقال لهم ما تعظمون
من أمره فو الله إن عانيتَه لأقتلنّه فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت
فقال له يافتي ما عندك من القوّة و ما جرّبت من نفسك قال قد كان الأسد يعدو
على الشاة من غنمي فأدركه و أخذ برأسه و أقلب لحيه عنها فأخذاها من فيه و
قد كان الله تبارك و تعالّى أوحى الى طالوت بأنّه لا يقتل جالوت إلّا من لبس
درعك فملأها بدرعه فلبسها داود فإستوت عليه فراغ ذلك طالوت و من

حضره من بني إسرائيل فقال عسى الله أن يقتل جالوت به فلما أصبحوا و
التقى الناس قال داوود أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فرماه به فصك به
بين عينيه فدفعه وتكس عن دابته فقال الناس قتل داوود جالوت وملكه
الناس حتى لم يسمع لطالوت ذكر واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله
تبارك وتعالى عليه الزبور وعلّمه صنعة الحديد فليُنسَه له وأمر الجبال و
الطير تسبح معه وأعطاه صوتاً لم يُسمع مثله وأعطى قوة في العبادة وأقام في
بني إسرائيل نبياً، الخبر^(١)

أقول و أما العامة فقد ورد في تفاسيرهم غير ذلك إن شئت فراجعه.

وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ قيل أتاها الله أي داوود، ملك
طالوت ونبوة شمعون والذي علّمه هو صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك
من أنواع ما علّمه الله تعالى من العلوم، قاله السدي وقيل هو أن الله تعالى
أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند صومعة داوود فكان لا
يحدث في الهواء حدث إلا صلصت السلسلة فيعلم داوود ما حدث ولا يمسه
ذو عاهة إلا بري وكانت علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم
يمسحون أكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون إليها بعد داوود عليه السلام
إلى أن رفعت قال ابن عباس.

وقيل أتاها الله الملك في مشارق الأرض ومغاربها وما اجتمعت يشعر بأن
ما أتاها الله أنما هو بعد قتل داود جالوت فكأن قتله إياه صار سبباً لإعطاء
الملك والحكمة والعلم أما الملك فلا شك أن المراد به الملك بمعنى
السلطان الذي كان قبله لطالوت وهذا المعنى هو الظاهر من الآية وأما الحكمة
فقال أن المراد بها النبوة وذلك لأن الحكمة في الأصل هي وضع الأمور

مواضعها على الصواب والصّلاح وكمال هذا المعنى أنّما يحصل بالنبوة وأما العلم الذي أعطاه فهو علم الفرائض والسّنن أو كلّ ما يحتاج اليه النّاس في دينهم و دنياهم.

ثانيها: أن يكون المراد بالملك كونه مالكا لقلوب النّاس و أن شئت قلت السّلطنة على القلوب أو على ما هو أعمّ منه والملك بهذا المعنى أنسب بشأن الأنبياء من الملك الظّاهر فقط ولا سيّما أنّ الله تعالى في مقام الإمتنان يكون المراد بالحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه اذ التعبير عن النبوة بالحكمة بعيد غاية البعد وفي قوله: وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ إشارة الى العلم الذي خصّ الله تعالى به الأنبياء والأوصياء كالعلم بالمغيبات مثلاً.

ثالثها:، أن تكون الآية إشارة الى أنّ الملك اذا كان خالياً عن الحكمة والعلم لا عبرة به لأنّه قد يحصل للفاسق والكافر أيضاً وأما الملك مع الحكمة والعلم لا يحصل إلاّ للأنبياء والأوصياء قال الله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(١)

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ.

فقد اختلفوا في النّاس المدفوع بهم الفساد، فقليل هم الأبدال وهم أربعون رجلاً كلّما مات واحد بدّل الله مكانه آخر فإذا كان عند القيامة ماتوا كلّهم، إثنان وعشرون منهم بالشّام وثمانية عشر بالعراق قاله القرطبي في كتابه الذي سمّاه بالتفسير ثمّ روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول أنّ الأبدال يكونون بالشّام وهم أربعون رجلاً كلّما مات منهم رجل أبدال الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء إنتهى.

بَابُ التَّفَرُّاقِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّفَرُّاقِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

نقله عن كتاب الترمذي (نوادير الأصول) ثم زاد في الطنبور نعمة أخرى قوله، وخرج أيضاً عن أبي الدرداء قال أنَّ الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما إنقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال لم يفضلوا النَّاسَ بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم إيتغاء مرضاة الله بصبرٍ وحلمٍ ولَبِّ وتواضعٍ في غير مذلة فهم خلفاء الأنبياء قوم إصطفاهم الله لنفسه وإستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقاً منهم ثلاثون رجل على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن النَّاسِ وبهم يمتطرون ويرزقون، لا يموت الرجل منهم حتَّى يكون الله قد أنشأ من يخلفه انتهى.

أقول أنما نقلنا كلامه بطوله لتعلم مقدار جهله بالأحكام وانحرافه عن الدين ألا يستحي المسلم المؤمن بالله وبرسوله أن يتقوه بهذه الأراجيف والخرافات التي نشأت من أفكار الصوفية وكم لهم من هذه الكلمات التي لفقوها في خلساتهم ثم أدخلوها في الدين بل نسبوها إلى سيد المرسلين ولم يعلموا أنَّ هذه الأخبار من مجعولات أعداء الدين الذين لم يؤمنوا بالله طرفة عينٍ وأنما جعلوها ليسدوا بها أبواب البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وأساس هذه الفتنه من بني أمية ولا سيما معاوية ابن أبي سفيان فأنهم إستمدوا من كعب الإخبار وسمرة بن جندب وأبو هريرة وأنس بن مالك وأمثالهم لجعل هذه الأكاذيب ولذلك تُعد هذه الأخبار بالإسرائيليات ولا يعتمد عليها من له أدنى عقلٍ ودينٍ اذ لقائل أن يقول لناقل هذه الأخبار، أيها القُرطبي أين كان الشَّام محلّ الأبدال، قبل الإسلام أو بعده فإن كان قبله فلا كلام لنا فيه اذ الآية الشريفة لم تنزل على الأمم السالفة وأن كان المراد بهم بعد الإسلام كما هو ظاهر الخبرين وأمثالهما فأين الأربعون بل أين الواحد منهم

ليدفع البلاء عنا وأخرجنا عما نحن فيه من الذلة والحقارة، ثم أية خصوصية كانت في الشَّام حتَّى يجعل الله فيه الأبدال ولم يجعل واحداً منهم في المدينة ومكة، نعم لو كان مراد القائل منهم خلفاء بني أمية فلا كلام لنا معه اذ لم نعلم في الشَّام أبداً غير الأشرار وأعجب من ذلك كله تفسير كلام الله تعالى بهذه الأكاذيب أنَّ كتابنا هذا ليس موضوعاً لتحقيق هذه الموضوعات فالسُّكوت أولى.

ونقل عن ابن عباس أنه قال المعنى: **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الْعِدَّوْ بِجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ** لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد، وقال السَّفيان، هم الشَّهود الَّذِينَ تستخرج بهم الحقوق.

وقال بعض آخر المعنى، ولولا أنَّ الله يدفع بمن يصلي وبمن يتقي عَمَّن لا يتقي لأهلك النَّاسَ بذنوبهم ظاهر الآية يدل على وجود المصالح في الحروب الواقعة بين النَّاسِ في كُلِّ عصرٍ وزمانٍ.

منها أنَّ نسل البَشَرِ في مسير التَّزَايُدِ وَالتَّكَاثُرِ دائماً فلو لم تقع الحروب بين النَّاسِ يلزم الفساد في الأرض بسبب التَّراحم النَّاشِئِ عن إزدياد الخلق بل يبلغ الأمر إلى حدٍّ لا تسع الأرض لهم فلذلك يجب في نظام الكلِّ وقوع الحرب والزَّلْزَلَةُ وأمثالهما من الحوادث المُوجِبَةُ لتقليل الخلق وهو ظاهر.

ومنها - أنَّ النَّاسَ على قسمين ظالم ومظلوم فلو لا دفع المظلوم الظَّالم عن نفسه بالقتال والمحاربة للزم الفساد في الأرض وذلك لأنَّ الظَّالم إذا لم يدفع عن ظلمه والمفروض أنه يديم على ظلمه في الأرض فلا محالة يكون باعثاً على فسادها وأيُّ فسادٍ أفحش من الظُّلم وعليه فالمصلحة في الجهاد هي حِفْظُ لِنِظامِ الإِجْتِمَاعِ وصونهم عن إشاعة الفساد فالآية حائِة على الجهاد مع الأعداء.

ومنها أن يكون من دفع الباطل بالحق: **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ**

أَلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١) ومن المعلوم أن دفع الباطل بالحق لا يمكن إلا بقيام أتباع الحق لدفع أتباع الباطل ضرورة أن وجودهما في الخارج منوط بوجود أفرادهما وإلا فهما مفهومان لا وجود لهما في الخارج ولذلك يجب على كل مُكَلَّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شرائطهما وعليه فالمقصود من الكلام هو النهي عن السكوت في غير موضعه وأن هذا الدِّفع من وظائف النَّاس فيجب عليهم الدِّفاع عن الحق مهما أمكن فإن فيه مصلحة، فهذه الوجوه وأمثالها مما يستنبطها العقل من الآية الشريفة وأما ما ورد عن أهل البيت في المقام فهو الحق الحقيق بالإتباع.

فعن الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال **إِنَّمَا** أَنْ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يُصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ لَهَلَكُوا وَأَنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يُزَكِّي عَنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يُزَكِّي وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ لَهَلَكُوا، وَأَنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَحْجُّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحْجُّ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ لَهَلَكُوا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ قَوْلَ اللَّهِ مَا نَزَلْتُ إِلَّا فِيكُمْ وَلَا عَنِي بِهَا غَيْرُكُمْ انتهى.

وعن تفسير علي ابن إبراهيم كذلك إلا قوله، قَوْلَ اللَّهِ مَا نَزَلْتُ الْخ^(٢)

وفي قوله: **وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** إشارة إلى أن الله تعالى لا يفعل ولا يأمر إلا بفضلهم وكرمه وأن الخلق مشمول لعنايته.



تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

◀ اللّغة

واضحة.

◀ الإعراب

تِلْكَ مبتدأ و آيَاتُ اللَّهِ الخبر نَتْلُوهَا يجوز أن يكون حالاً من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن يكون مستأنفاً بِالْحَقِّ إمّا مفعول به و أمّا حال من ضمير الآيات المنصوب أي ملتبسة بالحقّ ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي ومعنا الحقّ أو من الكاف، أي ومعك الحقّ.

◀ التفسير

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ إشارة الى ماتقدّم من الآيات التي كلّها علامات وإمارات على وجود الصّانع الخبير والخالق اللطيف وأنّه لا يفعل شيئاً عبثاً والمراد بالآيات إمّا الآيات التكوينية و أمّا التدوينيّة أو كلّتاها فإنّ الجمع مهما أمكن أولى ولنعم ما قيل:

وفي كلّ شيء له آية - تدلّ على أنّه واحد والحاصل أنّه ليس المراد من ذكرها في الكتاب نقل القصص و الحكايات بل المراد سقّ العباد الى الواقعيّات وفي قوله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إشارة بما ذكرناه و أمّا قوله وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فهو نصّ على رسالة الرّسول وأنّ كلّ ما قاله للناس فهو من الله تعالى لأنّه لا ينطق عن الهوى كما هو شأن الرّسول و سنتكلّم في معنى الرّسالة عموماً و خصوصاً في المباحث الأتية بحول الله وقوته.

هذا آخر الكلام في تفسير الجزء الثاني من الكتاب و يتلوه الجزء الثالث
أوله، تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض الآية بعون المَلِك الوهاب.



الفهرست

سورة البقرة ٩

الآيات ١٢٢ الى ١٤٥ ٩

اللغة ٩

الإعراب ١٠

التفسير ١٢

الآيات ١٤٦ الى ١٤٨ ٣٩

اللغة ٣٩

الإعراب ٣٩

التفسير ٤٠

الآيات ١٤٩ و ١٥٠ ٤٦

اللغة ٤٦

الإعراب ٤٦

التفسير ٤٦

الآية ١٥١ ٥١

اللغة ٥١

الإعراب ٥١

التفسير ٥١

٥٣ الآية ١٥٢
٥٣ اللّغة
٥٣ الإعراب
٥٣ التّفسير
٦١ الآية ١٥٣
٦٢ الآية ١٥٤
٦٢ اللّغة
٦٢ الإعراب
٦٢ التّفسير
٧٥ الآيات ١٥٥ الى ١٥٧
٧٥ اللّغة
٧٦ الإعراب
٧٦ التّفسير
٨٨ الآية ١٥٨
٨٨ اللّغة
٨٩ الإعراب
٨٩ التّفسير
٩٢ الآية ١٥٩
٩٢ اللّغة
٩٢ الإعراب
٩٢ التّفسير
٩٩ الآيات ١٦٠ الى ١٦٢
٩٩ اللّغة
٩٩ الإعراب

التفسير	٩٩
الآية ١٦٣	١٠٢
اللغة	١٠٢
الإعراب	١٠٢
التفسير	١٠٢
الآية ١٦٤	١١٠
اللغة	١١٠
الإعراب	١١٠
التفسير	١١١
الآيات ١٦٥ الى ١٦٧	١٢٧
اللغة	١٢٧
الأعراب	١٢٧
التفسير	١٢٨
الآيات ١٦٨ و ١٦٩	١٣٨
اللغة	١٣٨
الإعراب	١٣٨
التفسير	١٣٨
الآيات ١٧٠ و ١٧١	١٤٥
اللغة	١٤٥
الإعراب	١٤٦
التفسير	١٤٦
الآيات ١٧٢ الى ١٧٦	١٥٢
اللغة	١٥٢
الإعراب	١٥٣

١٥٣	التفسير
١٦٦	الآية ١٧٧
١٦٦	اللغة
١٦٧	الإعراب
١٦٧	التفسير
١٧٢	الآيات ١٧٨ و ١٧٩
١٧٢	اللغة
١٧٣	الإعراب
١٧٣	التفسير
١٨٣	الآية ١٨٠
١٨٣	اللغة
١٨٣	الأعراب
١٨٣	التفسير
١٩٢	الآيات ١٨١ و ١٨٢
١٩٢	اللغة
١٩٢	الإعراب
١٩٣	التفسير
١٩٦	الآيات ١٨٣ و ١٨٤
١٩٦	اللغة
١٩٦	الإعراب
١٩٧	التفسير
٢١١	الآية ١٨٥
٢١١	اللغة
٢١٢	الإعراب

٢١٢	التفسير
٢١٨	الآية ١٨٦
٢١٨	اللغة
٢١٨	الإعراب
٢١٨	التفسير
٢٢٦	الآية ١٨٧
٢٢٦	اللغة
٢٢٧	الإعراب
٢٢٧	التفسير
٢٤٢	الآية ١٨٨
٢٤٢	اللغة
٢٤٢	الإعراب
٢٤٢	التفسير
٢٤٨	الآيات ١٨٩ و ١٩٠
٢٤٨	اللغة
٢٤٨	الإعراب
٢٤٩	التفسير
٢٥٦	الآية ١٩١
٢٥٦	اللغة
٢٥٦	الإعراب
٢٥٦	التفسير
٢٦٣	الآيات ١٩٢ و ١٩٣
٢٦٣	اللغة
٢٦٣	الإعراب

٢٦٣	التفسير
٢٦٨	الآية ١٩٤
٢٦٨	اللغة
٢٦٨	الإعراب
٢٦٩	التفسير
٢٧٢	الآية ١٩٥
٢٧٢	اللغة
٢٧٢	الإعراب
٢٧٢	التفسير
٢٨٦	الآية ١٩٦
٢٨٦	اللغة
٢٨٧	الإعراب
٢٨٨	التفسير
٣٠٨	الآية ١٩٧
٣٠٨	اللغة
٣٠٨	الإعراب
٣٠٩	التفسير
٣١٣	الآية ١٩٨
٣١٣	اللغة
٣١٤	الإعراب
٣١٤	التفسير
٣٢٠	الآيات ١٩٩ إلى ٢٠٣
٣٢٠	اللغة
٣٢٠	الإعراب

٣٢١	التفسير
٣٣٥	الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٦
٣٣٥	اللغة
٣٣٥	الإعراب
٣٣٦	التفسير
٣٤٢	الآية ٢٠٧
٣٤٢	اللغة
٣٤٢	الإعراب
٣٤٢	التفسير
٣٥٦	الآيات ٢٠٨ و ٢٠٩
٣٥٦	اللغة
٣٥٧	الإعراب
٣٥٧	التفسير
٣٦٣	الآية ٢١٠
٣٦٣	اللغة
٣٦٤	الإعراب
٣٦٤	التفسير
٣٦٩	الآية ٢١١
٣٦٩	اللغة
٣٦٩	الإعراب
٣٧٠	التفسير
٣٧٢	الآية ٢١٢
٣٧٢	اللغة
٣٧٢	الإعراب

٣٧٢	التفسير
٣٧٨	الآية ٢١٣
٣٧٨	اللغة
٣٧٨	الإعراب
٣٧٩	التفسير
٣٨٨	الآية ٢١٤
٣٨٨	اللغة
٣٨٨	الإعراب
٣٨٩	التفسير
٣٩٠	الآية ٢١٥
٣٩٠	اللغة
٣٩٠	الإعراب
٣٩٠	التفسير
٣٩٤	الآية ٢١٦
٣٩٤	اللغة
٣٩٤	الإعراب
٣٩٥	التفسير
٣٩٨	الآيات ٢١٧ و ٢١٨
٣٩٨	اللغة
٣٩٩	الإعراب
٣٩٩	التفسير
٤٠٧	الآية ٢١٩
٤٠٧	اللغة
٤٠٧	الإعراب

٤٠٨	التفسير
٤١٥	الآية ٢٢٠
٤١٥	اللغة
٤١٥	الإعراب
٤١٥	التفسير
٤١٩	الآية ٢٢١
٤١٩	اللغة
٤١٩	الإعراب
٤١٩	التفسير
٤٢٤	الآية ٢٢٢
٤٢٤	اللغة
٤٢٤	الإعراب
٤٢٥	التفسير
٤٢٨	الآية ٢٢٣
٤٢٨	اللغة
٤٢٨	الإعراب
٤٢٨	التفسير
٤٣٦	الآية ٢٢٤
٤٣٦	اللغة
٤٣٦	الإعراب
٤٣٦	التفسير
٤٣٩	الآية ٢٢٥
٤٣٩	اللغة
٤٣٩	الإعراب

٤٣٩	التفسير
٤٤٣	الآيات ٢٢٦ و ٢٢٧
٤٤٣	اللغة
٤٤٣	الإعراب
٤٤٤	التفسير
٤٤٨	الآية ٢٢٨
٤٤٨	اللغة
٤٤٨	الإعراب
٤٤٩	التفسير
٤٥٧	الآية ٢٢٩
٤٥٧	اللغة
٤٥٧	الإعراب
٤٥٨	التفسير
٤٦٣	الآية ٢٣٠
٤٦٣	اللغة
٤٦٣	الإعراب
٤٦٣	التفسير
٤٦٩	الآية ٢٣١
٤٦٩	اللغة
٤٦٩	الإعراب
٤٧٠	التفسير
٤٧٢	الآية ٢٣٢
٤٧٢	اللغة
٤٧٢	الإعراب

٤٧٢	التفسير
٤٧٥	الآية ٢٣٣
٤٧٥	اللغة
٤٧٥	الاعراب
٤٧٦	التفسير
٤٨٥	الآية ٢٣٤
٤٨٥	اللغة
٤٨٥	الاعراب
٤٨٦	التفسير
٤٩٠	الآية ٢٣٥
٤٩٠	اللغة
٤٩٠	الاعراب
٤٩١	التفسير
٤٩٥	الآية ٢٣٦
٤٩٥	اللغة
٤٩٥	الاعراب
٤٩٦	التفسير
٥٠٢	الآية ٢٣٧
٥٠٢	اللغة
٥٠٢	الاعراب
٥٠٣	التفسير
٥٠٦	الآية ٢٣٨
٥٠٦	اللغة
٥٠٦	الاعراب

٥٠٦	التفسير
٥١٢	الآية ٢٣٩
٥١٢	اللغة
٥١٢	الإعراب
٥١٢	التفسير
٥١٥	الآية ٢٤٠
٥١٥	اللغة
٥١٥	الإعراب
٥١٦	التفسير
٥١٨	الآيات ٢٤١ و ٢٤٢
٥١٨	اللغة
٥١٨	الإعراب
٥١٨	التفسير
٥٢١	الآية ٢٤٣
٥٢١	اللغة
٥٢١	الإعراب
٥٢١	التفسير
٥٢٧	الآية ٢٤٤
٥٢٧	اللغة
٥٢٧	الأعراب
٥٢٧	التفسير
٥٢٨	الآية ٢٤٥
٥٢٨	اللغة
٥٢٨	الإعراب

٥٢٩	التفسير
٥٣٥	الآية ٢٤٦
٥٣٥	اللغة
٥٣٥	الإعراب
٥٣٦	التفسير
٥٣٨	الآية ٢٤٧
٥٣٨	اللغة
٥٣٨	الإعراب
٥٣٩	التفسير
٥٤٣	الآية ٢٤٨
٥٤٣	اللغة
٥٤٣	الإعراب
٥٤٤	التفسير
٥٤٦	الآية ٢٤٩
٥٤٦	اللغة
٥٤٧	الإعراب
٥٤٧	التفسير
٥٤٧	الآية ٢٥٠
٥٤٧	اللغة
٥٤٧	الإعراب
٥٤٧	التفسير
٥٥٣	الآية ٢٥١
٥٥٣	اللغة
٥٥٣	الإعراب

٥٥٣	التفسير.....
٥٦٠	الآية ٢٥٢.....
٥٦٠	اللغة.....
٥٦٠	الإعراب.....
٥٦٠	التفسير.....



